أحمد حسين الطماوي

سيم العشق والعشاق والملاحن العربية

وملحق به معجم في معاني الزهور والنباتات

الطبعة الثانية

بها زيادات

٢٠١٢



بطاقة فهرسة

مكتبة جزيرة الورد
اسم الكتاب: سيم العشق والعشاق
اسم المؤلف: أحمد حسين الطماوي
رقم الإيداع :

الطبعة الثانية ٢٠١٢



القاهرة : ٤ ميدان حليم خلف بنك فيصل
ش ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا ت : ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦ _ ٢٧٨٧٧٥٧٤
Tokoboko_5@yahoo.com

مقدمة الطبعة الثانية

يتناول هذا الكتاب اللغات السرية الحافلة بالاصطلاحات المبهمة ودورها في حيوات أناس كثيرين.

واللغات السرية قد تكون منطوقة أو صامتة، وفي جميع الأحوال هي غامضة مستترة على سامعيها ومشاهديها، ما عدا طوائف في المجتمع تواطؤا على وضعها، لتخفي أغراضهم، وتحقق مطالبهم.

ومن هذه الطوائف: اللصوص، والمنجدين، وبائعو المخدرات، والصوّاغ، ومنهم العشاق المتيمون الذين نكأتهم جراح الحب، واستوروا مشاعرهم، وأمعنوا في إخفاء مقاصدهم عن الرقيب الدساس، والواشي النمام، والعذول الحاقد.

وهذه اللغات السرية استوحاها المتعاملون معها من حرفهم الوثيقة الصلة بهم، أو من حيواتهم الخاصة، وبخاصة العشاق، أو استلهموا فيها ذكاءهم، وأفادوا فيها

من خبراتهم، وخبرات السابقين عليهم، وبلغوا بها غايات، وحققوا نتائج.

وقد تعامل أناس كثيرون باللغات السرية في فترات طويلة من الزمن، وفي مجتمعات مغلقة، أو شبه مغلقة يخيم عليهم السكون لقلة السكان، وبساطة الأعمال، وهذه هي البيئة التي يصلح الحديث فيها بالسيم.

وقد استخدم كثير من الناس اللغات السرية لأنها تلائم طبيعتهم الإنسانية، فكل شخص يعمد إلى تعمية حياته، أو تغطية جانب منها، أو فترة فيها أمام غيره، ويستعين على قضاء حوائجه بالسر والكتمان، أو عملا بالقول: « إذا بليتم فاستتروا »، وحتى إذا كان عمل المرء ناجحًا مشكورًا فإنه يخشى الحسد، لذلك يعمد إلى السرية.

وتفرض السّرية نفسها في علائق الإنسان بالجنس الآخر، فيحتاط، ويكون حذرًا متنبها للأخطار، ولا يبوح بالأسرار، وإنما يواريها في أعماقه، ومعظم الناس يرون أن عالمهم الخاص يخصهم، وليس من حق الآخرين الاطلاع عليه أو الاستخبار عنه، ومن هنا يفضل كثيرون

من صّرعى الحب عدم الاعتراف بما جرى معهم إلى آخر أيامهم.

أما الطوائف الخطرة في المجتمع مثل طائفة للصوص، وطائفة تجار المخدرات فإنه يناسبهم السرية التامة أثناء ممارستهم للأعمال الضارة، وحتى إذا تابوا وندموا على ما فعلوا، وصار سلوكهم حسنا، فإن مخازيهم وخطاياهم قد تعقد ألسنتهم فلا يبوحون بشيء، ويطوون صفحة الماضي.

ويضم هذا الكتاب قدرًا من الملاحن العربية القديمة، وملاحن الطوائف الحِرفيّة، إضافة إلى ملاحن العشاق المتنوعة.

وملاحن العشاق لم تحظ بدراسات وافية شاملة، وجهد الكتّاب فيها قليل ونادر، وقد وضع نسيب المشعلاني معجمًا في معاني زهور كثيرة، وهو عمل ريادي، ولكن يعتوره أن زهوره أوربية ومعانيها كذلك ولم يوازن بينها وبين الزهور العربية من حيث المعاني والدلالات، وإنما ساقها كما استقاها من مصادرها، ويعوزه التحليل والتأمل والاستنباط، ومما يخفف من انتقاده ذكره في المقدمة لعدد

قليل من الأزهار ، وما دار حولها من حكايات وأساطير.

ويتضمن كتابنا هذا طائفة من الأشعار الغنائية وبخاصة في سيم العشق تكشف عن تجارب الشعراء والعشاق، وممارساتهم العشقية، والتخاطب بالعيون أو التراسل بالزهور، والشاعر عندما يتلقى زهرة من صاحبته لا يشاغله شكلها ولونها ورائحتها ، وإنما يطرب أو يحزن حسب ما تحمله من دلالة ، أما العيون فليست نجلاء أو دعجاء أو كحلاء ، أو واسعة وساحرة ، وإنما في السيم تتأمل وتتفكر ، وتنطق وتنصت، وتقبل وترفض، وكل هذا يتبدى في إشارات.

ولذلك فالأشعار التي أوردناها ليست غزلية، لأنه ليس فيها نسيب أو تشبيب ، ويصح أن يكون هذا النوع من الشعر غرضا مستقلا من أغراض الشعر، أو غرضا يلحق بغرض الغزل، فقول شاعرة:

صحائفنا إشاراتنا ... وأكثر رسلنا الحدق
لأن الكتب قد تقرا ... وليس برسلنا نثق

أو قول شاعر:

فسألتها بإشارة عن حالها   وعلىّ فيها للوشاة عيون
فتنفست صعدا وقالت   ما الهوى إلا الهوان أزيل عنه النون

ليس فيه غزل، وفي البيتين الأخيرين حوار بالعيون بين صاحبين، هو سأل وهي أجابت، دون غزل.

والمحصول الشعري في مجال سيم العشاق، على قلته بالنسبة لديوان الشعر العربي الكبير، من أصدق الشعر وأصفاه؛ لأن قوامه التجربة الواقعية المرئية، والقلب المنفعل المختلج أثناء حوار بين عيون شخصين، تتدخل فيه جفون تتراخى وتتعالى، وحواجب ترتفع وتنكسر، وكل هذا يشاهده الشاعر العاشق ويفهمه، ويحكيه في تعبيره عنه، ومهما يكن من أمر فشعر سيم العشاق له سمات وملامح وخصائص، تختلف عن شعر الغزل المألوف الذي يتناول القدود والخدود والخصور، وجمال العيون، والشَّعر الجثل، والردف الثقيل وغير ذلك، وينهض على الفكر والخيال في بعض الأحيان.

وقد استلفتت نظري اللغات السرية أثناء قراءاتي على مدى طويل ، حتى عرفت مداخلها ، ومسالكها وميادينها على قدر المستطاع، ورغبت في الكتابة عنها، فنشرت ثلاث دراسات في الملاحن في جريدة «أخبار الأدب» إبان صدورها ، وفي عام ١٩٩٩ هاتفني الأستاذ خيري شلبي (١٩٣٨ – ٢٠١١) ، وكان يرأس وقتها سلسلة الدراسات الشعبية بالهيئة العامة لقصور الثقافة، وسألني عن كتاب يكون من تأليفي ويناسب سلسلته، فعرضت عليه فكرة هذا الكتاب ، فرحب ، ونُشر كتاب «سيم العشق والعشاق» عام ١٩٩٩ ، وقد تفضل الأستاذ خيري رحمه الله رحمة واسعة بتزيين الكتاب وتحسينه بمقدمة كعادته في كل كتاب ينشره في سلسلته، ومرة أخرى رحم الله خيري شلبي.

وقد نفد الكتاب وقت صدوره ، فعنوانه شد الشباب فابتاعوه من باعة الصحف، ورأيت إعادة نشره مع زيادات فيه

والله ولي التوفيق

أحمد حسين الطماوي

في يوم الخميس ١٩ من يوليه ٢٠١٢

من السيم إلى علم الشفرة

بقلم خيري شلبي

لغة السيم شهيرة في العالم كله، وفي مصر على وجه التحديد شاعت لغة السيم بين الطوائف والجماعات المنحرفة كاللصوص وتجار المخدرات والشواذ جنسيًا، بل كان للطوائف ذات الحرف الشعبية الشائعة لغة السيم لا يفهمها أحد من خارج أبناء الفئة أو الطائفة ، حيث لكل مفردة من مفردات الكلام اليومي مقابل في لغة السيم، وبهذا يتمكن أهل الحرفة أو مجموعة اللصوص أو تجار المخدرات التحاور مع بعضهم البعض أمام الناس دون أن يفهم الآخرون ما يقال، وكان لابد من لغة السيم حتى لا يفهم الزبائن تفاصيل أسرار المهنة ، وحتى لا يعرف المخبرون السريون أسرار عمل اللصوص وتجار المخدرات.. إلخ.

وفي كتابه (مباحث الفولكلور) قدم الأستاذ محمد لطفي جمعة طائفة من لغة السيم الشائعة بين الطوائف.

ولكن الأستاذ أحمد حسين الطماوي يبحث في هذا الأمر بتوسع، ويصل إلى الجذور البعيدة في نشأة اللحن في اللغات قديمًا وحديثًا، عند الفراعين وإسبرطة وروما وعرب الجاهلية والمسلمين، وكيف استعمل العوام والحكام، والساسة وقواد الحروب وجواسيس الدول ورجال الأمن اللحن للإفادة منه، فيما عرف بلغة السيم، التي تطورت في عصرنا الحديث إلى ما يعرف الآن باسم الشفرة.

وفي عجالة سريعة يلم الأستاذ الطماوي بالمحاولات الدراسية التي بذلت في أوائل هذا القرن لاختراق اللغات السرية للطوائف، ويتوقف عند أهم محاولة في هذا الصدد، تلك هي دراسة نسيب المشعلاني، أو معجمه: (مخابرات الحب السرية) عام ١٨٩٧ م، فيضيفه كملحق لهذه الدراسة خدمة للمهتمين بهذا اللون من دراسة الأدب الشعبي.

وهذه الدراسة التي نقدمها اليوم تعتبر فريدة في بابها، نأمل أن تكون مفيدة للقراء والدارسين على السواء، ولا يفوتنا الإشارة إلى أن الأستاذ أحمد حسين الطماوي باحث دؤوب صبور، كثيرًا

ما يضع أيدينا على كنوز ثمينة مجهولة يقوم هو باكتشافها وتعريضها للضوء في سياق يضعها في إطارها التاريخي، وإننا لعلى يقين من أن دراسته هذه سيكون لها أصداء كبيرة بين عامة القراء.

شكرًا لكم.. والله ولي التوفيق

خيري شلبي

تمهيد

اللحن معروف عند الشعوب القديمة والحديثة، فقد استخدمه الفراعين وإسبرطة وروما وعرب الجاهلية واستعمله العوام والحكام والساسة، وأفاد منه القواد في الحروب ، وجواسيس الدول ورجال الأمن في الحد من الجريمة، وخصصت له كتب في الغرب ، ولكن الدراسات فيه عندنا ظلت قاصرة فترة طويلة في العصر الحديث، إذ انصرف معظم الباحثين إلى الكلام المفهوم ، ونحوا جانبًا غيره مما يحمل معاني سرية خفية، ويبدو أنهم عدوا اللحن من مواد التندر والفكاهة، ومن هنا رأوا أنه لا يحتاج إلى تحصيل ودراسة ، وإجهاد عقل وتحليل واستقصاء.

واللحن أو السيم قول يتفوه به شخص لآخر، فيعرف هو مغزاه ، ويلتبس على غيره معناه ، ولعل أهم الدواعي إلى اللحن هو صيانة الأسرار وحجبها عن الرقباء.

وقد مارست الدول القديمة ضروبا من اللحن للتكتم على أخبارها وإخفاء نواياها ، فكان يوليوس قيصر يعبر في مراسلاته عن كل حرف بالحرف الرابع مما يليه في ترتيب

حروف الهجاء، فيعبر مثلا عن الألف بالثاء ، وعن الباء بالجيم، وهلم جرا، وكان أغسطس قيصر «يستبدل بكل حرف ما يليه في ترتيب حروف الهجاء، فيعبر عن الألف بالباء ، وعن الباء بالتاء ، وهكذا ، ثم استخدمت بعد ذلك الأرقام السرية والرموز.

واستعمل العرب اللحن الكتابي واللفظي وتفننوا فيهما منذ الجاهلية، وذكر القرآن الكريم اللحن والسيم ، وكان النبي ﷺ يستخدم اللحن ، وفي كتب الأدب توجد نصوص غير قليلة متناثرة تدل على استخدام العرب والمسلمين للملاحن في سلوكهم ، وفي دواوين حكمهم، وفي علاقتهم بالدول الأجنبية، ودخل اللحن في دواوين الأدب ، فتجده في أشعار كثيرين من الشعراء ، كما تجده في بعض المقامات.

وغاية ما وصل إليه العرب في هذا المجال هو «الترجمة» أو «علم التعمية» وهو علم واسع وكامل وضعوا أصوله وقواعده، وسبقوا فيه غيرهم، وأهم أعلامه الكندي الفيلسوف وابن الدنينيز وابن عدلان وعلي بن الدريهم وغيرهم، والترجمة هي الشفرة حسب المصطلح الحديث، والشفرة Cipher مأخوذة من الكلمة العربية الجفر. وعلم الجفر هو علم الحروف.

والترجمة تقوم على الحروف ولأصحاب هذا العلم طرائق عديدة في استخدامها للتعمية ، ومن الكتب التي تناولت هذا العلم « شوق المستهام في معرفة رموز الأقلام» لأحمد بن وحشيه ، و«خصائص المعرفة في المعميات» لأسعد بن مماتي ، و«مقاصد الفصول المترجمة عن حل الترجمة» لابن دنينيز وغيرها.

وقد كتب العرب منذ وقت مبكر الرسائل بالحبر السري، فقد جاء في كتاب صبح الأعشى للقلقشندي جـ٩ تحت عنوان «في إخفاء ما في الكتب من السر»:

«وذلك بأن يكتب بشيء لا يظهر في الحال، فإذا وصل المكتوب إليه فعل فيه فعلا يكون مقررًا بين المتكاتبين من إلقاء شيء على الكتابة ، أو مسحه بشيء أو عرضه على النار ونحو ذلك وقد ذكروا لذلك طرقًا:

«منها أن يكتب في الورق بلبن حليب قد خلط به نوشادر فإنه لا تُرى فيه صورة الكتابة، فإذا قرب من النار ظهرت الكتابة.

«ومنها أن يكتب في الورق أيضا بماء البصل المعتصر منه فلا ترى الكتابة فإذا قرب النار أيضا ظهرت الكتابة.

أما الطوائف الشعبية فلهم ملاحن تناسبهم، ولغاتهم السرية، خليط من الفصحى واللغات الأخرى، علاوة على تأثرهم بطريقة الترجمة وغير ذلك. وقد ظلت هذه اللغات سرية إلى أن ظهر من جمع قدرًا من مصطلحاتها، وشرح معانيها.

وإذا كنا نجهل سيم الطوائف، فإن بعض كلماتهم تسللت إلينا، وشاعت بيننا، فنقول: فلان جلده (بخيل) أو على الحديدة (مفلس)، أو فشلة (سمين) أو ياكلها والعة (ذمته وحشه) مونن (مسطول)، صايع. (رديء).

ولم يقتصر السيم على الطوائف الحرفية وإنما شمل أيضا العشاق المعاميد، فللعشاق ملاحن عديدة منها الزهور والثمار والنباتات التى جعلوا لها معانى ودلالات، وصارت بينهم بمنزلة رسائل غرامية تعبر عن العواطف وتوهج الأشواق، فإذا أهدى محب إلى محبوبته وردة فكأنه قال لها: أحبك، وإذا أرسل إليها زهرة الدفلى فهو يحذرها من خطر محدق، وإذا قدم إليها ثمرة البندق فكأنه يعبر عن الصلح والوفاق بينهما وهكذا، وقد عرف العرب قديما سيم الزهور، وعبروا عنه فى أشعارهم.

وقد تناولت بعض الدوريات المصرية هذا الموضوع مثل : «الجامعة» و«الضياء» و«سركيس» و«الهلال » ، ولكنها لم تستوف الموضوع من كل جوانبه ، وخير من تحدث فى هذا الموضوع من الكتاب المبكرين أحمد تيمور، ولطفى جمعة والأخير تناول لحن الطوائف فى محاضرة سنة ١٩١٨، ولم يقدّر لها أن تطبع إلا فى عام ١٩٩٩، وفى أوائل التسعينيات أصدر على عيسى كتابه «اللغات السرية» ، ووقفه على سيم الطوائف، وفى عام ١٩٩٣ نشر كاتب هذه السطور ثلاث مقالات بجريدة «أخبار الأدب» عن الملاحن العربية وسيم الحرفيين ، ولحن العشاق ، وبين عامى ١٩٨٧، ١٩٩٦ أصدر مجمع اللغة العربية بدمشق كتابا فى جزءين هو «علم التعمية واستخراج المعمى عند العرب » وقد اقتصر على المعميات ، وهو كتاب علمى دقيق ، وفى عام١٩٩٥ نشر رابح لطفي جمعة متالا عن اللغة السرية لبعض الطوائف والمهن .

أما عن الجهد المبذول فى لحن الزهور فهو قليل ، ولعل المعنى بالبحث فى هذا الميدان يقع على شيء هنا أو هناك فى كتب التراث وبخاصة كتاب «الموشي» ، وفي العصر الحديث نجد قصيدة فى لحن الزهور نظمها شاعر يدعى أمين حمدى عام ١٩١٦، ولأحمد أمين مقالة نشرها عام ١٩٤١ تناول فيها لحن

الأزهار والثمار. وفى عام ١٩٤٦ غنت أم كثوم فى فيلم «فاطمة» من كلمات محمود بيرم التونسي ، أغنية «لغة الزهور»، ويظهر فيها أن الورد دليل الشوق ، والفل يعني الشوق والانتظار، وعيون النرجس تكشف العواذل

أما أكبر جهد بُذل في هذا المجال فهو الذي نهض به نسيب المشعلاني، إذ أصدر معجم «مخابرات الحب السرية..» عام ١٨٩٧ ، وقد رأيتُ إعادة طبعه لطرافته، وتفرده في بابه، وأهميته في مجال الدراسات الشعبية.

ودراستي التي بين يدي القارئ تناولت شيئًا عن الملاحن العربية، وسيم الطوائف ، ولحن الزهور ، وإشارات العيون مع تحليلات لكل ذلك.

ولعل في هذا فائدة.

والله المستعان

أحمد حسين الطماوي

القاهرة - ٢٤ من يونيو ١٩٩٩



اللحن عند العرب

اللحن

اللحن له ضروب كثيرة ، ولكن أشهرها قول ينساب من إنسان إلى إنسان فيدرك مضمونه ويخفى هذا على غيره.

ويعرّفه ابن رشيق القيرواني في «العمدة» بقوله:

«كلام يعرفه المخاطب بفحواه وإن كان على غير وجهه».

وواضح من كتب اللغة والأدب أن العرب الجاهليين والإسلاميين عرفوا اللحن بشكل أو بآخر، فقد ورد ذكره في القرآن الكريم ، يقول تعالى: ﴿ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ﴾ (سورة محمد – ٣٠).

وقد فسر الإمام البيضاوي هذا بقوله «لحن القول أسلوبه وإمالته إلى جهة تعريض وتورية ، ومنه قيل للمخطئ: لاحن لأنه يعدل الكلام عن الصواب».

وفي مادة «لحن» من معجم لسان العرب : «لحن له يلحن قال له قولا يفهمه عنه ويخفى على غيره لأنه يميله بالتورية عن

الواضح المفهوم . ومنه قولهم لحن الرجل فهو لحن إذا فهم وفطن لما لا يفطن إليه غيره ، وقول الطرماح :

وأدت إلى القول عنهن زولة تلاحن أو ترنو لقول الملاحن

أى تكلم بمعنى كلام لا يفطن له ، ويخفى على الناس غيرى».

وسُمى اللحن «المحاجاة » لدلالة الحجا عليه ، وضرب ابن رشيق مثلا بقول شاعر يحذر قومه:

خلوا على الناقة الحمراء أرجلكم والبازل الأصهب المعقول فاصطنعوا

إن الذئاب قد اخضرت براثنها والناس كلهم بكر اذا شبعوا

«أراد بالناقة الحمراء الدهناء وبالجمل الأصهب ، الصمان ، وبالذئاب الأعداء . يقول : قد اخضرت أقدامهم من المشى فى الكلا والخصب ، والناس كلهم إذا شبعوا طلبوا الغزو فصاروا عدوا لكم ، كما أن بكر بن وائل عدوكم»

وقد ارتبط اللحن بالفطنة والذكاء وقوة اللمح، جاء في معجم «أساس البلاغة» للزمخشري: «فلان ألحن من صاحبه، وفلان يلاحن الناس يفاطنهم ، ويغالبهم لفطنته ودهائه، وعند الزمخشري أيضًا : «هو لحن بحجته فهم فطن بها يصرفها إلى أي

وجه شاء»» ، وعلى هذا فاللحن قول يتضمن معنى خفيا يتلقاه آخر دون إفصاح وإبانة.

ومن الملاحن التى تعتمد على فطنة المتلقى، ما ذكره الوزير الآبى من أن قبيلة طيئ «أسرت غلامًا من العرب فقدم أبوه ليفديه فاشتطوا عليه ، فقال أبوه : لا والذى جعل الفرقدين يمسيان ويصبحان على جبلى طيىء ما عندى غير ما بذلته ثم انصرف وقال : لقد أعطيته كلاما إن كان فيه خير فهمه .فكأنه قال : الزم الفرقدين على جبل طيىء. ففهم الابن تعريضه وطرد إبلا لهم من ليلته ونجا»[1].

لاحن الوالد ولده، وفطن الولد إلى فحوى لحن والده ، ودبر الحيلة وهرب ، أما أهل طيىء فلم يفهموا شيئًا ، وخسروا الغلام والفدية . وهذه عاقبة من لا يعرف مغزى اللحن.

ودونك هذا المثال الذى يظهر أن اللحن يمكن أن ينقذ وطنًا، وينجّى جيشًا من الهلاك ، وهذا يتوقف على شخص يتلقى اللحن ببديهة قوية وشدة نفاذ إلى ما وراء الكلام .

---

(١) الآبي : «نثر الدر» جـ٧ ط الهيئة العامة للكتاب.

فقد حكى عن ملك أنه رغب فى التجسس على عدو له فأرسل إليه جاسوسا محنكا، فلما دخل الجاسوس بلد العدو وجده قويا حصينا، بيد أن ملك هذه البلدة أحس به فقبض عليه ، ثم أمره أنه يحرر كتابا إلى من أرسله يفيده فيه بأنه وجد القوم ضعفاء ، ويزين له غزوهم ، وهدده بالقتل إن لم يفعل ذلك ، فامتثل وكتب يقول : «أما بعد فقد أحطت علما بالقوم وأصبحت مستريحًا من السعي في تعرف أحوالهم ، وأنى قد استضعفتهم بالنسبة إليكم . وقد كنت أعهد من أخلاق الملك المهلة فى الأمور والنظر فى العاقبة ، ولكن ليس هذا وقت النظر فى العاقبة فقد تحققت أنكم الفئة الغالبة بإذن الله وقد رأيت من أحوال القوم ما يطيب به قلب الملك نصحت فدع ريبك ودع مهلك والسلام ».

فلما وصل الكتاب إلى الملك وعرضه على حاشيته قويت قلوبهم ، أما هو فقد أنكر ظاهر اللفظ وفطن إلى ما في باطنه ، ورأى فى قول جاسوسه : أصبحت مستريحا من السعى أى أنه محبوس. وقوله: استضعفتهم بالنسبة إليكم يريد أنهم ضعفنا لكثرتهم. وقوله: إنكم الفئة الغالبة بإذن الله يشير إلى قوله تعالى: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ﴾ ، وقوله : رأيت من أحوال القوم

ما يطيب به قلب الملك فإني تأملت ما بعده فوجدت أنه يريد بالقلب العكس ، لأن الجملة الآتية مما يوهم ذلك فقلبت الجملة وهى قوله : نصحت فدع ريبك ودع مهلك فإذا مقلوبها كلهم عدو كبير عدد فتحصن[1] .

وكانت فطنة الملك دافعا له عن الإحجام عن الغزو، وإنقاذ جيشه من الهلاك المحتم .

ومما روى أنه «كان لشاعر عدوّ ، فبينما هو سائر ذات يوم فى بعض الطرق إذا هو بعدوه ، فعلم الشاعر أن عدوه قاتله لا محالة ، فقال له يا هذا: أنا أعلم أن المنية قد حضرت ، ولكن سألتك الله إذا أنت قتلتني أن امض إلى داري، وقف بالباب وقل: «ألا أيها البنتان إن أباكما» فقال : سمعا وطاعة ، ثم إنه قتله فلما فرغ من قتله أتى إلى داره ، ووقف بالباب وقال : «ألا أيها البنتان إن أباكما» ، وكان للشاعر ابنتان ، فلما سمعتا قول الرجل : «ألا أيها البنتان إن أباكما» أجابتاه بفم واحد «قتيل : خذا بالثأر ممن أتاكما» ، ثم تعلقتا بالرجل ، ورفعتاه إلى الحاكم ،

---

(١) مجلة الضياء للشيخ اليازجي . السنة السابعة جـ١ .

فاستقرره فأقر بقتله فقتله[1].

وربما كانت هذه الحكاية موضوعة ، لأن من يظفر بعدوه يقتله دون أن يكون بينهما هذا الحوار الرقيق والعهد الوثيق ، والاستجابة من القاتل لما يرغب فيه القتيل ، ثم إن القاتل بطبيعة الحال يقتل ويمضى لحال سبيله دون أن يلتزم بتنفيذ ما وعد به ، لأنه إذا كانت قد تمثلت فيه كل هذه الخصال ما قتل، ومع كل ذلك فإن هذه الحكاية اللطيفة تظهر أن اللحن

(١) السيد أحمد الهاشمي: «جواهر الأدب في أدبيات لغة العرب» جـ١.
وهناك حكاية شبيهة بهذه الحكاية عن مهلهل، فقد جاء في كتاب «العمدة» لابن رشيق أنه لما غدر عبدا مهلهل به، وقد كبرت سنّه، وشق عليهما ما يكلفهما من الغارات ، وطلب الثارات، فأرادا قتله، فقال: أوصيكما أن ترويا عني بيت شعر ، قالا: وما هو؟ قال:

من مبلغ الحيين أن مهلهلا لله دركما ودر أبيكما.

فلما زعما أنه مات، قيل لهما: هل أوصي بشيء، قالا: نعم ، وأنشدا البيت المتقدم ، فقالت ابنته : عليكم بالعبدين ، فإنما قال أبي:

من مبلغ الحيين أن مهلهلا أمسى قتيلا بالفلاة مجندلا
لله دركما ودور أبيكما لا يبرح العبدان حتى يقتلا

فاستقروا العبدين فأقرا أنهما قتلاه ، ورويت هذه الحكاية لمرقش.

اللفظى أو الكتابى يعتمد على الفطنة الشديدة وقوة اللحظ دون قاعدة تحكمه، أو علامات تظهره. وهذا الضرب من اللحن قد يخذل فى بعض الأحيان، إذ ليس كل الناس يتمتعون بذكاء خارق، وفطرة نقية.

***

ولكن ليس هذا هو الشكل الوحيد للملاحن، فإن هناك أشكالًا أخرى منها ما يقوم على الاتفاق.

وهذا الضرب تتفق فيه جماعة معينة لها اتجاه محدد على رموز تكون وسيلتهم في التفاهم والتواصل والحوار، ومن ثم يصعب على الآخرين أن يعرفوا ما تواطأت عليه هذه الجماعة إلا أذا أفشى أحد أفرادها سرها في ظروف قاسية، أو نجحت جهة في دس فرد على أفراد هذه الجماعة ووافها بالأخبار والأسرار، وغالبًا ما يلجأ المجرمون والجواسيس إلى التواطؤ فيما بينهم على رموز أو رسوم معينة حتى لا ينكشف أمرهم.

فقد يستخدم الجواسيس وبخاصة أثناء الحروب لحن الرسوم الرمزية لذكر أشياء تفيد جيوشهم، وتخفى على أعدائهم، ومن هذا ما فعله الجواسيس الألمان في الحرب العالمية الأولى، وذلك عندما رسموا على جدران المنازل والأبواب

صورة بقرة على أشكال مختلفة ، تارة رابضة ، وأخرى راكضة أو ممددة إلى غير ذلك ، وكل شكل منها في نظر الألمان الذين يأتون إلى تلك الجهات عبارة عن خبر أو استعلام يتعلق بتحركات الجيش المعادي طبقًا لاصطلاحات موضوعة[1] .

وهذه الرسوم يصعب فهمها، والذكاء الإنساني يضل فى حل لغزها، لأنها مثل الشفرات التى تم التواطؤ عليها بين أناس وأناس ، لذلك تلجأ الدول إلى تجنيد جواسيس والزج بهم داخل أجهزة التجسس المعادية لمعرفة دلالة مثل هذه الشفرات والرموز المستغلقة ، وبغير هذا لا يمكن التكهن بما تعنى البقرة الواقفة ، والبقرة النائمة .

واللحن بالرسم لم يقتصر على الجواسيس ، وإنما شمل اللصوص والمجرمين كذلك ، وقد عرضت مجلة «الجامعة» دراسة للدكتور «هانس كروس» القاضي النمساوي عن لغة المجرمين ورموزهم السرية، جاء فيها هذا الرسم الذي سجله أحد اللصوص على جدار كنيسة) |||| ←—— وهو عبارة عن سهم يشير إلى اتجاه البيت المزمع اقتحامه وسرقته، وأربعة خطوط رأسية تبين أن البيت الرابع خلف الكنيسة هو الذي

(١) مجلة الهلال. مارس ١٩١٥ .

سيقع عليه الهجوم ، وهلال، والغرض منه أن السطو سيكون عند ظهور الهلال في السماء ، والعبارة هي: «إنه عازم حين طلوع الهلال على مهاجمة البيت الرابع الكائن وراء تلك الكنيسة ، وجاء تحت الرسم توقيعات المجرمين الذين فهموا هذه الرموز، وأظهروا رغبة فى المشاركة ، وكانت التوقيعات عبارة عن رسوم لعصفور وكشتبان ومفتاح وقِدْر وسلسلة . وهكذا ضمن اللص الكبير أن خمسة لصوص آخرين سيشاركون معه في اقتحام المنزل لسرقته عند طلوع الهلال ، وبذلك تقوم اللغة السرية سواء أكان رموزًا أم لحنًا أم شفرة بدورها في التخاطب والحوار.

وأظهرت دراسة د. هانس أن للمجرمين لغات أخرى يتخاطبون بها في السجون ، مثل : «القرع على الجدران» أو بالتصويت أصواتًا متقطعة معروفة المعنى عندهم ،أو بالكتابة على الورق بعصير الليمون الحامض ثم توضع الورقة على لهيب شمعة فيظهر الخط واضحًا ، أو بالكتابة بالبول أو باللبن ثم يذر على الورقة تراب فتظهر الكتابة»[1] .

فمثل هذه الرسوم والأصوات لا يجدي في فهمها ذكاء أو فراسة، وما لم يكن هناك تواطؤ بشأنها بين هؤلاء القوم

(١) مجلة الجامعة لفرح أنطون عدد فبراير ١٩٠٠ .

الشاذين، فلا أمل في إدراك مغزاها.

وعلى ذكر المسجونين ولحنهم الصوتي، وكتاباتهم على الـورق بالبول وخلافه نـذكر أن لهـم كـذلك سيمًا لفظيًـا معروفـا بينهم يتخاطبون به داخل السجن، وقد سجلت مجلـة سركيس عـددًا من مصطلحاتهم نوردها على النحو التالى:

صابك : انتظموا فى خط مستقيم

طويلك : حاسب (للتنبيه)

الدبش : السجان

ضرب عليه : سرق من جيبه.

أم على : جوزة الحشيش.

صون : آخر ورقة اللعب[1].

ومما يجدر ذكره أن سليم سركيس صـاحب مجلـة «سركـيس» سجن فى سجن الحوض المرصود في أواخر القرن التاسـع عـشر بـسبب انتقـاده سياسـة الملـك غليـوم الألمـانى. ومـن الجـائز أنـه تعرف على هذه الكلمات أثناء سجنه .

ومـن الأدبـاء الآخـرين الـذين أحـاطوا بمـصطلحات المسجونين الأستاذ العقاد وذلـك أثنـاء سـجنه بتهمـة العيـب فى

(١) مجلة سركيس لسليم سركيس عدد أكتوبر ١٩٠٩.

الذات الملكية عام ١٩٣١ . فقد ذكر فى كتابه «عالم السدود والقيود» بعضا من كلماتهم مثل :

العين : النار من ثقاب أو من غير ثقاب

الزمارة : السيجارة.

العربة : الحارس.

الكاركى : الذى يسجن لأول مرة .

وأرى أن اللحن اللفظى للمسجونين فى سجنهم لا فائدة منه لهم ، وذلك راجع لطول بقائهم فى السجن ، وعدم تجاوزهم له.

ومن المعروف أنهم يتحدثون بالسيم ليخفى مرادهم على حراس السجن وإدارته ، ولكن ملازمتهم للسجن وتكرير نطقهم لسيمهم يجعل حراس السجن ، بمرور الوقت يعرفون مصطلحات هذا السيم ودلالاته ، وإذا كان العقاد الذى سجن تسعة أشهر عرف سيم السجناء، ألا يعرف العسكر والقائمون بالحراسة والإدارة لحنهم.

لذلك فإنه يتساوى حديثهم الواضح مع حديثهم المعمى، ويظل السيم خفيا فعلا ما دامت الطائفة التى تتحدث به فى عزلة عن الناس ، أو قليلة الاختلاط بالمجتمع .



سيم الطوائف

سيم الطوائف

وإذا كنا قد أوضحنا فى الحديث السابق أن هناك ملاحن تعتمد على الفطنة ، وغيرها رمزية وشفرية تستند إلى التواطؤ. فإن شكلًا ثالثًا من اللحن أو السيم له قاعدة أو شبه قاعدة ، لأنه يأتي في شكل مصطلحات ذات دلالات ثابتة ، فإذا عرف المرء معنى المصطلح فطن إلى مضمون السيم .

وهناك طوائف في المجتمع لها لغاتها السرية التي يتخاطبون بها ، ويتفاهمون مع بعضهم البعض بواسطتها ، تخفى أسرارها على غيرهم من سامعيها ، ومن يخالط طائفة ، وتطول مخالطته بهم لا يجد صعوبة فى تفهم لغتهم لأنها على وضع ثابت ، إذا لا يغيرون مصطلحاتهم بين وقت وآخر، ومن هنا لكل طائفة وبخاصة طوائف الحرفيين معجمها الخاص بها ، فإذا أمكن جمع مفردات هذا المعجم ، وتفهم معانى مصطلحاته ، صارت اللغة المعماة مكشوفة معروفة .

وهناك من جمع عددًا كبيرًا من مصطلحات عديد من الطوائف ، وصارت بمنزلة معجم صغير يمكن الرجوع إليه للتعرف على معانى مصطلحات الحرفيين مثل ما فعله محمد لطفي جمعة عند ما جمع «قاموس ملاحن السوقة»[(١)] . ، ولأن لحن الطوائف الحرفية على وضع ثابت فإنه من الممكن للدارس والمتابع معرفة لفظ «أفقس» عند الجواهرجية بمعنى: اصرف الزبون ، و«الحوة» عند العوالم بمعنى الفلوس ، والزيتون عند تجار المخدرات بمعنى الأفيون ، وهكذا لم يعد السيم بعد معرفة معنى المصطلح في حاجة إلى فطنة شديدة، أو إلى جهد خارق لحل شفرته وقد يقول قائل : إن لغة الطوائف هي أيضًا نتيجة تواطؤ واتفاق ورموز بين أبناء كل طائفة ، وربما يكون هذا صحيحًا ، ولكن هذه اللغات السرية صارت موروثًا شعبيًا أو «فلكلور» له صفة الثبات والرسوخ، فمنجد هذه الأيام الذي ينطق بسيم المنجدين لا يعرف قطعا من الذى ابتدع المصطلحات التى يردد ها، أما الرسوم التى يستخدمها الجواسيس واللصوص فإنها يمكن أن تتغير فترة بعد أخرى، ومن هنا لا تتسم بالثبات وليست على قاعدة أو شبه قاعدة ، كما

(١) محمد لطفي جمعة كتاب «مباحث في الفلكلور» صدر عن «عالم الكتب ١٩٩٩ ، وعن هيئة قصور الثقافة ١٩٩٩.

أن لصوص مكان قد تكون لهم رسوم ورموز تختلف عن رسوم ورموز لصوص آخرين في مكان مجاور؛ لأنهم هم الذين يتفقون فيما بينهم على أشكال الرسوم ودلالاتها، وعلى أية حال فإن ملاحن الطوائف الحرفية اتسمت مصطلحاتها بالثبات، أما الرسوم والأصوات والكتابة على الورق بالطرق الخفية، فمتغيرة، ومن هنا فإنه بعد جهد يفهم سيم الحرفيين، أما ما عداه فمستغلق مبهم عليه.



نشأة اللحن:

ولا يمكن التكهن بزمن نشأة سيم الطوائف ، ولا بكيفية تكوينه ، وما يمكن تخيله أنه نشأت لغة ، عبر الزمن ، بين أبناء كل طائفة استوحت مفرداتها من طبيعة الحرفة التي تزاولها، ثم أضيفت إليها كلمات دخيلة نتيجة احتكاك أبناء طائفة بغيرهم. وهذه الكلمات الجديدة رمزوا بها لأشياء فى مهنتهم أو تتصل بها ، ونتيجة الممارسات العملية جرى تغيير وتبديل وتحريف في معجم كل طائفة حتى استقرت أو كادت تستقر على حال .

فإذا نظرت في لحن الحشاشين وتجار المخدرات، حسب قاموس لطفي جمعة، تجد لحنهم يلائم سلوكهم ومهنتهم، فالأخضر هو الحشيش، والأسود هو الأفيون، وحجر أى جوزة، وفص، قطعة حشيش، يرص ويصف، أى يضع قطع الحشيش فى الحجر ويغمرها بقطع النار.

وفى سيم اللصوص والنشالين تجد كلمات أصيلة مثل: افتح، امسك، حبل، الصندوق، هجام، وهذا وذاك مستمد أو مستوحى من الحرفة، وهو كلام عربي فصيح في معظمه مالوا ببعضه عن معناه، ولكن لحنهم شكّل كلمات أخرى لمزيد من التعمية والإخفاء.

ولمحمد لطفى جمعة رأى في كيفية نشأة اللحن يجدر بنا أن نذكره هنا يقول: «يوجد اللحن أو الأرغوت حيث توجد جماعة مهما صغر حجمها أو قل عددها ما دام أفرادها قد اجتمعوا لمدة ما بأى رابطة كانت حبا أو صداقة أو بغضا أو غاية جنائية أو شهوانية مادامت هذه الجماعة تشعر بالاحتياج للتفاهم فيما بين أفرادها بدون اطلاع الغير على أسرارها»[1].

---

(١) محمد لطفي جمعة – مصدر سابق.

ورأي لطفى جمعة صحيح في عمومه ، ولكن ليست كل الجماعات تتحاور باللحن لتخفى أسرارها ، ولا أنكر أن الجماعات الشريرة في المجتمع مثل اللصوص وتجار المخدرات والنصابين علاوة على العشاق ينبغي لهم أن يحافظوا على أسرارهم ، ويضعوا لحنا يقيهم من أعدائهم ، أما الطوائف الأخرى مثل الخيامية والعوالم والموسيقيين والنجارين والمعماريين إلى أخره فإنه باستثناء كلمات قليلة خادشة للحياء، لا يوجد فى لحنهم أسرار يخشى عليها وأنهم لو تحدثوا اللهجة العامية العادية لم يخسروا شيئًا من تلك الأسرار، لذلك أرى أن سيم الجماعات الشريرة لم يستغرق وقتا طويلا في تكوينه لاحتياجهم الشديد إليه ، كما أن ألفاظهم المعمّاة والدخيلة والمجهولة أكثر من ألفاظهم المفهومة وذلك لخدمة أغراضهم الخسيسة.

ويمكن التأكد من هذا لو نظرنا في لحن القماحين الذي يخلو من أي سر. يقول لطفى جمعة فى قاموسه :

اشكح : قمحة مليحة ، بوهى: قمحة رديئة ، دبانة : طينة تختلط بالقمح ، عود: سمسرة ، عليها نقص كتير: أى الغلة كثيرة الطين ، فأش : قمحة رديئة ، الناعمة على القمحة : أى عليها تراب ، واحدة على القمحة: القمح مسوس .

هذا كل ما جاء فى لحن القماحين ، فأية أسرار يمكن أن يحافظ عليها أصحاب هذه المهنة أو أرباب هذا اللحن ، إنهم لو تحدثوا اللهجة العادية لما تغير فى الأمر شيء، واللحن ما لم يخف سرًا ، ويرمز إلى شيء مهم فلا قيمة له ، والفلاح العادى يقول هذه القمحة رديئة وفيها سوسة ، وفيها طينة دون حاجة إلى قول : اشكح . وبوهى وفأش .

ويذهب لطفى جمعة فى الفصل الذى كتبه عن « الملاحن أو اللغات السرية» إلى أن كل جماعة متشابهة تشعر بعاطفة عداء للجماعات الأخرى وترغب فى الاحتماء من شرها وبغضائها»، ويؤكد هذا في مكان آخر فيقول: «إن اللحن هو لغة خاصة ووجدت وبقيت بقصد أن تكون سرية ، ومنشأها روح العداء بين الطبقات وروح الخوف الذي يوحى بها، وغايتها حماية فريق ضد فريق».(١)

وهو كلام لا يصدق على طول الخط، وجميل إنه لا يصدق لأنه لو صدق لكان المجتمع المصري مثلا في حالة عراك وعداء ذلك أن المجتمع هو مجموعة طوائف أو جماعات، فإذا كانت كل الجماعات تشعر بخوف وعداء من بعضها البعض، فإننا سنكون على أبوب حرب أهلية.

---

(١) المصدر السابق

إن الجماعات التي تشعر بعداء الآخرين لها هي الجماعات الشريرة التي تلحق الأذى بالناس وأفراد طوائفهم هم الخائفون من السلطة والقانون ، وهم الذين يعيشون في حذر من سائر طوائف الشعب لأنهم ضد أمن المجتمع، أما الآلاتية والطباخين والقفاصين مثلًا، وقد أورد لهم لطفي جمعة ملاحن في قاموسه، فأي عداء بينهم وبين سائر طوائف المجتمع الأخرى؟ وما الذي يجعل القفاصين مثلا يدخلون فى عداء مع بقية الجماعات ؟ وما الذي يجعل كل الجماعات تخشاهم ؟ وهم لا هنا ولا هناك . ولم يكن جمعة دقيقا فى قوله : إن روح العداء بين الطبقات وراء نشأة اللحن وبقائه ، والحقيقة أنه ليس هناك عداء بين كل الطوائف ، وقد يكون الغرض من اللحن مجرد حجب الأسرار عن الآخرين ، وهناك جماعات مثل الطباخين لهم لحن لا ينطوي على أي عداء لأحد ، ولحنهم مجرد كلمات لا تخفى شيئًا مهما، ومثل هذه اللغات التي تخفى سرًا خطيرًا يمكن أن نعدها لغة مهنية وليست لحنا. أو لغة اعتادوا أن يتحدثوا بها هكذا .



أصـول اللـحـن:

وأصول اللحن كثيرة ، وروافده متنوعة ، فبعض كلامه يـأتي من إبدال الحروف ، وبعضه يـأتي بالتصحيف ، ومن ذلك أن المعتمد ابن عباد لقى امرأة متبرجة في حي الجيارين (صناع الجير) بأشبيلية ، فالتفت إلى ابن عمار وقال له: «الجيـادين» ففهم ابن عمار قصده وهو «الحيا زين» وخفى هذا على الآخرين الذين كانوا مع المعتمد ، والمعنى أن المرأة لو كانت على حياء لاحتشمت ، ومما يشبه التصحيف كلمة «حسيس» ، أى حشيش فى لحن الحشاشين ، حذفت نقاط الشين .

وللطفي جمعة قاموس عن ملاحن الحرفيين سوف نعتمد عليه في تفسير لغاتهم والبحث عن أصول اصطلاحاتهم .

ومن قراءة هذا القاموس ، الذي اقتصر على ذكر الكلمة ومعناها ، ندرك أن اللغة العربية الفصحى مصدر لسيم الطوائف . فالمنجدون مثلًا يستخدمون فى لحنهم أسلوب تعجب بنطق مختلف مثل قولهم : الكستبان المأكبر مأحلى (بكسر لام مأحلى) ، والعبارة تعني أن الرجل صاحب العمل طيب أو حلو المعاملة، وكلمة «مأحلى» هي « ما أحلى» ونفس الشيء يقال عن «مأكبر» و «مأصغر» تطلق الأولى على

الرجل الكبير ، والثانية على ابنه الصغير، ومثلها «مأكتر» أي ما أكثر. وقولهم: «الفمو» مأكتر أي: ما أكثر القطن . ولكن هذا لا ينطبق على طوائف أخرى ، وقول المنجد: «ربص» في عبارته «الكستبان ربص» أي الرجل حضر وجلس أو «الإبرة ربصت» أي : المرأة حضرت وجلست ، فإن ذلك من الفصحى، وقد استخدمها المنجدون بمعناها الحقيقي، ففي كتب اللغة «ربص فى المكان» لبث ، و «التربص» ، «المكث والانتظار» .

ويستخدم المتسولون كلمة أجدى بمعنى أتسول ، وفي الفصحى أجداه أعطاه ، وجدوته واستجديته واجتديته أي سألته ، فأجدى لها أصل فصيح قريب.

ومن ذلك قول النصابين عن الزبون الجيد « فخم» ، والفخم فى الفصحى هو الجزل . وجيد تدخل ضمن معاني الفخم .

ويطلق المتسولون كلمة بصاص على المتسول الذي يراقب الطريق ، وبصاص صيغة مبالغة ، وبص تأتى بمعنى برق ، وتسمى العين بصاصة لأنها تبص أي تبرق ، والبصاص هو الذي ينظر ما يؤمر به ، وكان البصاص فى زمن تولّى يقوم بعمل المراقبة والتجسس.

وهذا يبين أن قسما من مفردات معجم الطوائف فصيح أو له أصول عربية فصيحة .

وأحيانا تعبر هذه الطوائف بالجزء عن الكل، في لحن أولاد رابية « الموجة» ، تعني الماء ، و«الرشفة» تعني القهوة .

وقد يأتي السيم عبارة عن كلمات تصويرية تستمد مقوماتها من الخيال مثل قول الطبقات الشعبية « باطه والنجم» أي لا يملك شيئًا ، مثل هذا قول الجامعة فى الكتاب المقدس «قبض الريح» ، وتتكرر مثل هذه العبارات المجازية مثل قول ابن رابية «شطوح الموجة» أي وابور البحر و«ناطح الفيح» ، أي ذاهب إلى الريف حيث الفضاء الواسع .

وأحيانا يلجؤون إلى التمثيل والتشبيه فيمثلون شيئًا بشيء ، مثل قول المنجدين «الحبال أفت» كناية عن الجوع ، فالحبال تشبه إلى حد كبير الأمعاء، ، أما «أفت» فاعتقادي أنها من جفت ومرت عندهم بمرحلتين : الأولى نطق الجيم مثل القاف فتصير على للسان «قفت » ، والثانية نطق القاف همزة فتتحول الكلمة إلى «أفت» على نحو ما نقول: «أعد» بمعنى «قعد».

وقد يستوحي اللحن عندهم من أثر الشيء ، ونتيجته مثل قول الطبالين: «تفتافه» أي سيجارة، والسيجارة تهيج الصدر وينتج عنها سعال وبصق.

وقد يأتي السيم تمثيلًا للصوت، يقول اللصوص على «الجوزة» كركر، والكركرة صوت الماء في الجوزة أثناء سحب الدخان ، كذلك هناك نسب بين «مأموأه» والمعزة أو الماعز في لحن القرداتية.

وربما يستوحي اللحن من شكل الشيء أو خصائصه ، فتطلق بعض الطوائف كلمة زمارة على السيجارة ، ويطلق القراداتية «غبار» على الدقيق، و«لفّاف» على «الشال»، ويطلق اللصوص كلمة حبل على الحزام، وغير ذلك، كما أن الحشاشين يفيدون من اللون في سيمهم ، فيطلقون اللون الأسود على الأفيون والأخضر على الحشيش.

وتستوحي بعض الطوائف من الحرف التي تمارسها ألفاظًا تناسب أشياء أو أشخاصا، مثل إطلاق الحدادين كلمة «معوّجة» على المرأة ، والمرأة تميل إلى التثني والتمايل ، وفى حديثها انتقاد إذ لا يعجبها العجب ، كما أن لفظ «معوجة» يناسب الحدادين الذين يقومون المعوج من أعواد الحديد بالتسخين والطرق، وفي قولهم هذا سخرية وتضخيم للعيوب.

وقد يصحفون في الأرقام أو يبدلون في حروفها ، ويجرون عليها تعديلات طفيفة ، ولكن القارئ المتمعن يدرك أصل

الرقم مثل قولي الجواهرجية : خموشة : أي خمسة لو حذفت الواو صارت خمشة ، أصلها خمسة وصحفت ، وشمونيا أي ثمانية، أبدلوا ألف ثمانية واوا، وجعلوا الثاء شينا، وشمونيا وآحاد : أي تسعة، أضافوا واحدًا إلى ثمانية، ويقال: إن معظم سيم الجواهرجية مأخوذ من اللغة العبرية، فلعل هذه الأرقام تنطق هكذا في العبرية ، وهي إحدى اللغات السامية، ومن ألفاظهم مسميات قديمة لأشياء لم تعد تستعمل مثل «شوني» بمعنى مركب ، والشواني أي المراكب، لفظ موجود في كتب التاريخ القديمة.

ودخلت لغتهم كلمات أجنبية، مثل سبرتو أي خمر في لغة المتسولين، وشلن أي جنيه.

ولبعض الكتاب آراء في أصول اللحن يجدر بنا التعرف عليها تتمة للفائدة.

يقول لطفي جمعة: «إن اللصوص مثلا يعبرون تعبيرات توافق أفكارهم، فهم يسمون النعل ثورا لأنهم انتقلوا من الشيء إلى مصدره، وهو الجلد، وانتقلوا من الجلد إلى مصدره وهو الثور، ويسمون الثياب نعجة منتقلين من الثوب إلى الصوف ومن الصوف إلى النعجة وهكذا، وإذا تعذر على

الجماعة اختراع ألفاظ أو البحث عن ألفاظ فإنهم يجدون طريقة سهلة وهي إدخال بعض الحروف بين مقاطع الكلمة مثل: «رج»، فيقال: «أكترجب» بدل «اكتب» و«قارجبلني» بدل «قابلني»[1].

وطريقة إدخال حرفين زائدين بين حروف أصلية لها أصل قديم أشار إليه علي بن الدريهم في أرجوزة له: إذ يبين أنه من طرائق كتابة «المترجم» إدخال حرف زائد بين كل حرفين أصليين، فمحمد تكتب هكذا «من حام قد» فالنون والألف والقاف زائدة، وهنا الزيادة مجلوبة لتتويه السامع أو القارئ عن المراد الحقيقي، وكنا ننتظر من لطفي جمعة تحليلًا أكثر لمصطلحات لغة الطوائف ، إلا أن التنظير عنده كان أكثر من التطبيق التحليلي والتفسيري.

---

(١) وهناك حروف إغفال تضاف إلى حروف الكلمة الأصلية ولا تحتسب لمزيد من التعمية مثل محمد تكتب هكذا « متحكمحدل» ، حيث زادت بعد كل حرف من الحروف غفل لا يحتسب. ويشير ابن وهب إلى إمكانية الترجمة في التعمية (زيادة إغفال + ترجمة) يؤدي إلى التعمية المركبة . راجع كتاب «علم التعمية عند العرب واستخراج المعمي» د. محمد مراياتي بالاشتراك – مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق.

والكاركي في سيم السجناء هو الشخص الذي يسجن لأول مرة، ويقول العقاد عن الكاركي، لعلهم أخذوها من كلمة الكاكي الذي يشبه لونه لون العلامة الموضوعة على لبدة هذه الفئة من فئات المسجونين[1].

والعقاد ليس معنيا بدراسة اللحن وأصوله، ولكنه ذكر هذه الكلمة وغيرها عرضا سريعا أثناء تسطير ذكرياته وهو مسجون.

ويذكر علي عيسى أن أصل اللغات السرية يعود إلى اللغة العبرية أو الفارسية أو التركية أو الهندية، ويرى أن ملاحن الصاغة مشتقة من اللغة العبرية لأن تجارًا يهودًا كانوا مستأثرين بتجارة الذهب، وذلك على ما يدلل ببعض الألفاظ، ورد عليه رابح لطفي جمعة بأن ملاحن الحرفيين على إطلاقها لا ترجع إلى اللغات المذكورة وبين أن بعض مفردات اللغة مستمدة من الحرفة ذاتها، وضرب له أمثله[2].

ومما لا شك فيه أن علي عيسى تجاوز الصواب، وأقواله فيها مبالغة شديدة، ولقد بينا أن كثيرًا من ألفاظهم عربية فصيحة إلى آخر ما ذكرناه.

---

(١) العقاد : «عالم السدود والقيود».

(٢) مجلة المأثورات الشعبية عدد يناير ١٩٩٥.

وكل هذه التفاسير والتحليلات لا تعني أن كل كلمة أو تعبير من كلمات الطوائف الحرفية وتعبيراتهم يمكن ردها إلى أصلها أو الإحاطة بأطوارها، فربما تكون بعض الكلمات محرفة

ومصحفة عن أصل أجنبي، أو أنهم اصطلحوا عليها فيما بينهم أو أن بعضها صدر عن واحد منهم فى مجلس أنس ورددها الآخرون.



أسباب اختراع اللحن:

ولاختراع اللحن أو السيم أسباب كثيرة منها:

- ميل جماعة ما إلى التعريض بأناس آخرين دون أن يفطن أحد إلى ذمهم ، فالحشاشون يقولون عن شخص «أبو شنجل» أي: «أو نطجى» ، وعن آخر أنه «خشنى» أي: غشيم ، فيسمع الشخص المذموم ، دون أن يدرك أن ما تناهى إلى سمعه مسبة له .

- التعبير عما يجول في نفوسهم بحرية تامة ، ومن هنا يخاطب شخص زميله بما في قلبه بطلاقة ودون حذر وبخاصة إذا كانوا يعملون عند شخص آخر.

وربما كان ذلك لعدم إحراج الشخص المقصود ، فإذا قال صائغ لزميله عن زبون «أشفور» أي : رديء ، فإن ذلك لعدم إحراجه ، كما أن هذه الكلمة عندما يقولها الصائغ لزميله تعني في الوقت نفسه الميل عن هذا الزبون الذى ليس من ورائه نفع .

▪ واللحن يمثل الحماية لأفراد طائفة ، ويوفر لها فرص النجاة، وإتمام الفعل أو عدم إتمامه وفقًا للظروف ، فإذا قال «نشّال» لرفيقه «سوح البيضة لاحسن العم مقطم» فإن هذا يعني اترك الشيء المراد سرقته، لأن صاحبه منتبه، وبهذا يحول بينه وبين إتمام الفعل الذي يعاقب عليه القانون.

▪ وتوفير الأمان مترتب على الزمن الضئيل، والتفاهم بالكلام القليل، واللمح الخاطف، فإذا قال سارق لزميله «اطري» أي: امش، فإن اللفظ المنطوق المكون من أربعة حروف لا يستغرق زمنًا طويلًا ، وفي هذا الجو تفيد العادة والخبرة ، لأن اللص اعتاد أن يسمع هذه الكلمة إذا لاح في الأفق خطر ، وهكذا ينقذ فرد زميله في لمح البصر بكلمة واحدة مع نظرات معبرة يفهمها، كذلك يشيع اللحن في نفس السامع الاطمئنان وإتمام الفعل في زمن، ومثل هذا قول حشاش لآخر: «اشرب ما تخفش» ، يعني : البوليس واكل.

أخلاق الطوائف من الملاحن:

وهذه الملاحن تدل على أخلاق الطوائف المختلفة، ومراتب نفوسهم، وتظهر رغباتهم الحقيقية التي تخفى على الآخرين. وبالرغم من تنوع هذه الجماعات فإن بين معظمها تشابهًا كبيرًا، فالاتجاهات في الغالب واحدة وإن تباينت الصياغات والمصطلحات، ويمكن من خلال السيم التعرف على ملامحهم وسلائقهم ورغائبهم.

وأهم ما لفت نظرنا في لغاتهم السرية، ميلهم إلى خداع الشخص الذي يعملون لحسابه، ويظهر ذلك في تخصيص عبارات غامضة معماة تحذر من حضور صاحب العمل، فطائفة المعمار تقول: «عوض جاي» صاحب الشغل وصل، أو «المحز ربص» صاحب العمارة حضر، ويقول القصابون «لف البدري» اسكت عند حضور المعلم، وغيرهم يقولون: «السكينة جاية» أي صاحبة المحل جاءت، وهذه التنبيهات تعني تغيير السلوك والانضباط، وتحسين العمل ولو في زمن وجود صاحبه.

فإذا انصرف صاحب العمل، أو إذا كان غير منتبه إلى العاملين، حضوا على إهمال العمل ولهم ملاحن في ذلك، تأتي

منهم بعكس ما يمكن أن يفهم من نطقها، مثل قول طائفة المعمار: «اعقده» أي: اهمل الشغل، أو قول البناء: «شد الخيط يا معلم».، أي: عايزين نبني بالراحة شوية شوية.

ولا يعربون فقط عن ضيقهم بصاحب العمل، وإنما يودون في انصرافه وابتعاده عنهم ليعملوا على راحتهم، ويتحدثوا بحرية، فيقول المنجد لزميله «افقه»، أي: ابعده، أو طفشه.

وتظهر في سيم الطوائف الرغبة العارمة في الممارسة الجنسية، وتفكيرهم نشط في هذا المجال، وعباراتهم هابطة إلى مستوى حطيط، فليس في السيم عبارات غزلية رقيقة توجه إلى المرأة، أو كلمات إغراء تحاول أن تستدرجها، وإنما يشتمل لحنهم على ألفاظ يوجهها شخص لآخر ويعبر فيها عن رغبته الفطرية في المرأة أو في طلبها. وهذا راجع إلى التدني الثقافي، والفراغ الذهني، والهبوط النفسي، وانحلال الوسط الاجتماعي الذي يعيشون فيه، والحياة الخشنة التي يحيونها، ومن لحنهم الصريح في طلب المرأة قولهم: «بدي الكديانة نحقنها»، والكديانة أي المرأة في سيم القرداتية، وقولهم: «الكدية» «المرأة» بدي «أخربها»، وقولهم: «ستفها»، وقولهم: «حيف»، فكل هذه تعبيرات عن الرغبة في الجنس.

ومعظم الطوائف أطلقت على المرأة اسما وفقا لتصوراتهم لها، فيقولون : «عايقة» ، أي: «قوادة» ، و«عاطلة» رقاصة، «المرأة تاكل» خائنة لزوجها، «السكينة دي نشاره» أي: تلفانة أو خسرانة، كما أن غالبية الطوائف خصصت للمرأة كلمة في لحنها - فهي عند الصاغة «برقة» ، وعند الفراشين «شرفة» ، وعند المنجدين «إبرة»

كما أن سيمهم لم يخل من ذكر الأعضاء الجنسية وهذا يدل على مدى اهتمامهم بالجنس والرغبة الجامحة فيه .

والسيم يطلعنا على قدر عقول هؤلاء، وكيفية تفكيرهم في العمل ، وتنظيمهم له . وسيم النشالين الآتي يرينا مراحل تنفيذ عملية سرقة ودقتها ، والوقت المناسب الذي يصدر فيه الأمر. بالانتقال من مرحلة إلى مرحلة حتى يتم العمل .

يقول نشال لزميله :

مخورجة : الأتوبيس مزدحم والعملية مربحة.

امسك إين: ضيق الخناق على الزبون.

امسك باللطى: ضيق الخناق ببطء

امسك الملس أين قبل ما يجدي: ضيق الخناق بسرعة

لهست : هل انتهيت من عملية النشل

جدى: اهرب.

ولحن المتسولين والشحاذين يكشف عن عالمهم المجهول ، فهم يلجؤون إلى من يشوه أجسادهم لإثارة العطف عليهم ، ويطلقون على من يصنع هذا فى سيمهم «الدكتور»، ويقسمون المناطق إلى مناطق «ناعمة» يتسولون فيها لأنها تدر عائدًا كبيرًا، ومناطق «شلف» شبه خالية من الناس ، ينفرون منها لضآلة فوائدها، ويقسمون الناس إلى صنفين «تماخين شداد» أغنياء كرماء عندهم طعام دسم ، وغيرهم بخلاء لا خير فيهم ، ويقسمون المتسولين إلى نوعين « ده مجدى» متسول مبتدئ، «الأروة الكبير» المتسول الغنى الذي استطاع أن يكون ثروة من التسول . وتوجد فى سيمهم ألفاظ مثل: سبرتو و «مكنة» أي «غرزة» دلالة على تعاطيهم المكيفات ، ولأنهم يخشون الشرطة، فإنهم يعينون من يراقب الطرق .

التسول عندهم مهنة وليس لسد الحاجة ، إنهم طائفة في المجتمع يبحثون عن الثروة، ووسيلتهم التسول ، ويثيرون عطف الناس بتشويه خلقتهم ، ويتعاطون «الكيف» ، ويتخفون وراء لحن حتى لا يتفهم الناس لغتهم ، ويراعون في سلوكهم الخبرة والمكان الآهل بالناس والسن ، ومعظمهم ليسوا ممن أخنى عليهم الزمن ونزل بهم القضاء، وإنما طلاب ثروة ومتعة وهذا هو خلقهم .

ويمكن الإفادة من السيم في دراسة نفوس أفراد الطوائف بواسطة الباحثين النفسيين لأن الملاحن تكشف عن العوالم الداخلية المستترة فيهم ، وما يعتمل في بواطن نفوسهم فمما لا ريب فيه أن السيم يبرز انفعالاتهم ، ويوضح إسقاطاتهم ، ويعبر عن خلجاتهم في أحوال مختلفة ، ويكشف عن تصرفاتهم إزاء ما يعرض لهم ، فهناك تعبيرات عن العنف مثل: « اطنيه بتلومه» اطعنه بسكينة أو «خده صدر» اديه بونية ، وغيرها تعبر عن الضيق مثل: «بده البرغل» اطرد الرجل . وأخرى عن الخوف والاضطراب مثل : «تازى منجدى لئينى» العسكري عايز يخدني، أو عن الانسجام والاسترخاء مثل قولهم : «بحبوح» مفرفش . وغير هذا من الكلمات والجمل الدالة على الجشع والترقب والحذر والاستلطاف ، والتكالب على المال .

كما أن سيم الطوائف يعرب عن النزاع بين بعض الطوائف وشخصيات في المجتمع أو هيئات حكومية ، تدل على ذلك تصرفاتهم إزاء أصحاب العمل كما أسلفنا القول ، ورجال الشرطة ، أو الناس الذين يعدون أنفسهم للهجوم عليهم بغرض سلبهم وسرقتهم ، كذلك يظهر اللحن نوع العلاقات فيما بينهم ، فالسلام ليس مستقرا ، فقد ينشأ بين أبناء الطائفة الواحدة خلاف أو نزاع حول المال أو غيره ، ومن هذا قول صائغ لزميله : «لاشتنأل على البنانى ولا أضيعه» أي: إما أقتسم معك المكسب وإما أطفش

الزبون.

ولا يمكن أن نتحدث عن الخصائص النفسية والشخصية لكل فرد في الطائفة الواحدة، لأن الخصائص النفسية والشخصية تختلف من شخص لآخر، ولكن يمكن القول: إن لغتهم تكشف عن خصائص عامة في طائفة معينة على نحو ما أظهرنا في طائفة المتسولين، كذلك يمكن من خلال السيم الموازنة بين طائفة وأخرى للوقوف على ميولها وسلوكها واتجاهاتها، وقد لاحظنا أن الحمامية (الذين يعملون فى الحمامات) والحشاشين أكثر ميلا إلى الجنس الطبيعي والشاذ، والصيّاغ أكثر انجذابا إلى المال، والسراقين أكثر حذرا واستعدادا للعنف ..إلى آخره.

والسيم مفيد للقصاصين والروائيين الذين ينتهجون في بدائعهم الفنية، نهجا واقعيا انتقاديا واجتماعيا. فالشخصيات الشعبية الحرفية التي ترد في القصص والروايات تقدم إلينا من خلال تصرفاتها العادية، وعلاقاتها الاجتماعية المألوفة والتي يمكن أن تعد مهذبة بالرغم مما يعتريها من سفول.

ولو تمكن القاص من لغة الطوائف ووقف على خفاياها لأمكنه التغلغل في نفوس المنتمين إليها أكثر، واستطاع أن يصفهم ويصورهم بأسلوب أعمق.


اللحن في الكتابات العربية

اللحن في الكتابات العربية

أثار اللحن اهتمام بعض الشعراء واللغويين والدارسين وغيرهم في القديم والحديث ، ولهم في ذلك أشعار، وشذرات نثرية ، ونتف ، وكتب ، ومقالات ، وها نحن نعرض لشيء من هذا .

وأهم ما يسترعى الانتباه أن العرب الأوائل لم يتفقوا في تقدير اللحن ، فهناك من امتدحه ، وهناك من سخط عليه . فمالك ابن أسماء بن خارجة الفزاري يقول :

منطق واضح وتلحن أحيا نا وأحلى الحديث ما كان لحنا

ويقول القتال الكلابى:

ولقد لحنت لكم لكيما تفهموا واللحن يفهمه ذوو الألباب

وينسب إلى عمر بن الخطاب والى أبى مهدية أيضا القول : «تعلموا الفرائض والسنة واللحن كما تتعلمون القرآن»[1] ،

(١) مادة لحن – أساس البلاغة . وذيل كتاب الملاحن الذي أعده أبو إسحاق إبراهيم أطفيش.

ويقول عمر بن عبد العزيز: «عجبت لمن لاحن الناس ولاحنوه كيف لا يعرف جوامع الكلم؟ » ، وعندما سئل الكلابيون عن قول عمر ، قالوا : «كتب هذا عن قوم ليس لهم لغو كلغونا .. واللغو الفاسد من الكلام» .

وإذا كانت هذه الأقوال وغيرها في صالح اللحن فإن أقوالا أخرى تنكره أو تنتقصه ، فقد تساءل ابن الأنبارى قائلا:« كيف يكون الخطأ فى الكلام مستحسنا والصواب مستسمجًا ، والعرب تقرب المعربين وتنتقص اللاحنين» ، وقال غيره ما يشابه كلامه ، وهكذا وقع خلاف في تقويم اللحن ، ولكن أكثر الأقوال تحبذ معرفته واستخدامه.

وإذا كان الغرض من اللحن الخطأ في اللغة والقراءة وإفساد المعنى ، فنحن من منتقديه ، ولكن اللحن لون من التورية والإخفاء والنطق بلفظ له معنى ظاهر وآخر باطن ليفهم المتلقي المعنى الخفي ويعمل به . وهذا من علائم الفطنة في الإنسان ، وما ذهب إليه ابن الأنبارى وغيره يكشف عن الغيرة على اللغة وسلامة ألفاظها ، وإعراب القرآن ، والميل إلى الكلام الواضح والنسق الحسن مما يثرى المعاني ويظهرها.



التّورية:

ومن أهم آثار القدماء التي وصلتنا في مجال اللحن كتاب «الملاحن» للإمام أبى بكر محمد بن دريد الأزدى (ت ٣٢١هـ). والكتاب وإن كان صغير الحجم فإنه يمدنا بأمثلة وافرة في الملاحن، وقد شرح فيه معنى اللحن وقرنه بالفطنة، واستشهد بقول النبي ﷺ: «**لعل أحدكم ألحن بحجته من بعض**»، أي أفطن لها، وبيّن أن اللحن هو أن «تريد شيئًا فتورى عنه بقول آخر» وأشار إلى أن بعض أعيان العرب لم يفقهوا معنى اللحن مثل معاوية فقد قيل لمعاوية: «إن عبيد الله بن زياد يلحن فى كلامه» / فقال: أوليس بظريف ابن أخي يتكلم الفارسية، فظن معاوية أن الكلام بالفارسية لحن إذا كان معدولا عن جهة العربية. وكان أولى بمعاوية أن يحيط باللحن لأنه يناسب رجلا له دهاء مثل دهائه. ويذهب ابن دريد إلى أن اللحن سمي بذلك؛ لأنه يخرج عن نحوين وتحته معنيان».

ويوضح ابن دريد السبب الذي دفعه إلى وضع كتابه هذا فيقول: «هذا كتاب ألفناه ليفزع إليه المجبر المضطهد على اليمين المكره عليها، فيعارض بما رسمناه ويضمر خلاف ما يظهر ليسلم من عادية الظالم، ويتلخص من حيف الغاشم، وسميناه

كتاب الملاحن».

وكلام ابن دريد هذا يمكن فهمه في ضوء الأمثلة القليلة المنقولة من كتابة : «تقول والله ما رأيت فلانا قط ولا كلمته، فمعنى ما رأيته أي ما ضربت رئته، ومعنى كلمته جرحته» .

وإذا قابلت كلام ابن دريد على معاجم اللغة ألفيت كلامه صحيحًا ، ففي «أساس البلاغة» مادة «رأى» رأيته أصبت رئته، وفي «لسان العرب» مادة «كلم» الكلام الجرح والجمع كلوم ، وكلمه كلما جرحه .. » وفي ضوء هذا تقرأ في كتاب ابن دريد قوله:

«تقول ما سألت فلانا حاجة قط ، والحاجة ضرب من الشجر له شوك والجمع حاج»، وقوله:

«تقول والله ما عرفت لفلان طريقًا ولا سلكته، فالطريق النخل الذي ينال باليد، وقوله:

«تقول والله ما عندي سرير ولا ملكته، فالسرير الماء المجتمع أو النهر» ، وقس على ذلك.

وأمثلة الكتاب كلها من نمط هذه الأمثلة ، كل مثال فيه لفظ أو لفظان يحملان معنيين ، معنى يبطنه المتكلم ليكون صادقًا مع

نفسه أثناء القسم، وآخر يظهره ليضلل به سامعه، أو يوري به ليتخلص من موقف حرج أو يدفع به إذا كان متهمًا.

ولا أدري إن كانت هذه الأقوال قد وقعت وقام ابن دريد بجمعها، أو أن تفوقه في اللغة، وذكاءه الحاد، ونبوغه جعلته يحفظ هذه التوريات الشاردة ويجمع بينها، ويصوغ منها مادة هذا الكتاب النادر في بابه، والراجح أن هذه الأقوال من إملائه وتأليفه، وليست مواقف وحكايات.

ولا ريب أن كتاب «الملاحن» مفيد في موضوعه، وفي مجال تعلم اللغة، واللعب بالألفاظ، ولعل قيمته ترجع إلى أن صاحبه بني اللحن فيه على التورية، فإذا كان السامع عالمًا في اللغة، عارفًا بالمعاني المختلفة للكلمة الواحدة، أدرك المعنى الخفي الذي يرمي إليه المتكلم، ولكن المتفقهين في اللغة قلة في كل زمان ومكان، ومن ثم فإن للتورية دورها في التعمية والإخفاء.

على أن إخفاء المعنى المراد بطريق التورية شاع على الألسن، وتردد في كتب الأدب وفي المقامة «الطيبية» من «مقامات الحريري» نجد فتى فتيق اللسان يتصدى لأبي زيد السروجي ويستفتيه في مسائل فقهية، والسروجي يرد عليه، ومن هذا

قول الفتى: « ما تقول فيمن توضأ ثم لمس ظهر نعله، قال انتقض وضوءه بفعله» ، والنعل هنا الزوجة.

قال الفتى: «فإن توضأ ثم اتكأه البرد، قال : يجدد الوضوء من بعد».

والبرد. النوم.

قال الفتى : «أيستباح ماء الضرير؟ قال : نعم ويجتنب ماء البصير ، والضرير حرف الوادي ، والبصير الكلب.

وتمضي معظم المقامة على هذا النحو ، الفتى يسأل والسروجي يجيب ، والمتبادر إلى الذهن من اللفظ شيء والمعنى الخفي منه شيء آخر، ولا جديد عند الحريري هنا إلا أنه وضع التورية في صيغة سؤال وجواب، وأدخلها في قالب قصصي، وتناول بها قضايا فقهية.



الكناية:

وفي بعض كتب التراث نجد أقوالًا، وتعريفات للملاحن مثل تلك التي نجدها في كتاب «شفاء العليل» للخفاجي الذي يقول: «ملاحن العرب ألغازها وهي المحاجاة ؛ لأنها تظهر الحجى والمعاياة والرمز والمعمي، والمتأخرون من الأدباء اصطلحوا على التفريق بينها ، وهو ليس بأمر لغوي وقد تطلق على كناياتهم كقولهم للخمر أشقر وللماء أشهب إلى غير ذلك».

ولعل الخفاجي يعنى بقوله: «هو ليس بأمر لغوي» أن اللحن مسألة معاشية ، ومن الموضوعات التي تتعلق بالهيئة الاجتماعية، ويدلف إلى نواح كثيرة فى الحياة الإنسانية ، ونراه يشير إلى الكنايات ويدخلها في اللحن ، أو يجعلها لونًا من ألوانه، أو بابا في أبوابه ، وقد عدها العرب كذلك ، ولا شك أن في الكناية إخفاء إذ إنها غير التصريح المباشر، والإفصاح عن المراد باللفظ القريب المعروف . وقد قال النابغة الجعدي.

أكنى بغير اسمها وقد علم الله خفيات كل مكتتم

وذكر المبرد أنه «يكون من الكناية ، وذاك أحسنها ، الرغبة عن اللفظ الخسيس المفحش إلى ما يدل على معناه من غيره» وضرب أمثلة منها قوله تعالى فى المسيح وأمه عليهما السلام : ﴿ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ﴾ ، ويبين «إنما هو كناية عن قضاء

الحاجة، وقال: ﴿ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ﴾ ، وإنما هي كناية عن الفروج.

والكنايات التي من هذه الدرجة يمكن اعتبارها من ضروب اللحن تجوزًا ، ولكن هناك كنايات أكثر غموضًا وتعمية مما أوردنا ، فقد روى القلقشندي الحكاية الآتية: «ومما وقع من ذلك في زماننا أنه في الدولة الظاهرية (برقوق) وتيمورلنك يومئذ ببلاد العراق يغاور الممالك الشامية لقصد الاستيلاء عليها ورد عليه كتاب من المملكة الحلبية فيه : أنه وقع بتلك البلاد سيل عظيم ساق جملة من الأسد والنمورة والحيات ، وأنه دفع حية عظيمة سعة رأسها بقدر قوس» .

وقرئ الكتاب بحضرة السلطان ، وحملوا ذلك على ظاهره ، من أن المراد حقيقة السيل ، وأنه لقوته ساق تلك الحية والسباع وغيرها ، وشاع ذلك بين الكافة من الأمراء وأهل الدولة وسائر الرعية، ومضى الأمر على ذلك ، ثم ظهر أن المقصود بذلك السيل وما فيه هو تيمولنك وعساكره، وأنه كنى بالحية العظيمة عن نفسه ، وبالسباع والحيات عن عساكره[١].

(١) القلقشندي .صبح.. الأعشى جـ٩ ، وهناك كنايات أخرى تجري مجرى اللحن في «كتاب الصناعتين» لأبي هلال العسكري و «العمدة» لابن رشيق وغيرهما.

الشفرة:

وإذا مضينا مع النصوص العربية نجد أن العرب والمسلمين طوروا اللحن ، وصار في فترة من الفترات عبارة عن علامة أو سيمة أو معمى أو ما يمكن أن يسمى بلفظ هذه الأيام شفرة، وهذه الشفرة أو الترجمة يصعب حلها أو معرفة سرها لما لها من ضوابط دقيقة.

وفي كتاب «آثار الأول في ترتيب الدول» للحسين بن عبد الله العباسي المتوفى سنة ٧١٠ هـ نص يبين استخدام الترجمة أو الشفرة في أعمال التجسس، إذ يظهر أنه يجب أن تكون هناك ترجمة معينة بين الملك وجواسيسه ، ويوضح أن هذه الشفرة تقي الملك من دس خبر أو رسالة تأتيه بخط يشابه خط جاسوسه، أو بمعلومات من جاسوسه يكون قد أرغم على كتابتها إذا تكشف أمره.

يقول صاحب «آثار الأول..»

«... ويجب أن يكون صاحب الخبر له توصل وتلطف ودسائس من النساء والصبيان والغلمان والحراس والحمامات، وأصحاب الحرف والصنائع، والمستحب أن يكون بين الملك وبين صاحب الخبر ترجمة لا يطلع عليها غيره، ولكل واحد

ترجمة مع صاحبه، وإذا أراد الملك أنه يحتاط في ذلك فلا يقنع في الأمـور العظـام إن كتـب، أو كتـاب إليـه بالترجمـة ، ولا بخـط الكاتب ولا بالختم، فإنه هذه ربما يجبر عليها فاعلها أنه يشابه بها بل يكون بينهما علامة لا يطلع عليها غيرهم.



المترجم:

المترجم بفتح الجيم أو الترجمة هو المعمي، وهنـاك مـن يفـرق بينهما ، ولكن الشائع هو أن الترجمة هي المعمي.

والمعمي أو التعميـة علـم كبـير لا يعتمـد عـلى الفطنـة فقـط ، ولكن يستند إلى ضـوابط وقواعـد لابـد مـن الإحاطـة بهـا حتـى يمكن تحويل نص معمى إلى نص مفهوم .

والأصل في المعمى هو تعمية النص الواضح ومن هنا ابتكـر رواد هذا العلم طرقًا ووضعوا بنودًا لجعل الكلام ملتبسًا معقدًا معمى لا يستبين منه شيء لغير متقن هذا العلم ، ومن هنا كتبوا الترجمة بأرقام ، أو بلغـات غـير معروفـة أو شـائعة لـدي النـاس مثل لغة المغـول ، وهنـاك مـصطلح بـين المتخـاطبين بالترجمـة أو بالتعمية يتألف من حرف أو أكثر أو من أرقام يسمى المفتاح.

وطرق التعمية كثيرة دونها هذه السطور، ويحسن بنا أن نشير إلى ما ذكره ابن الدريهم وهو من كتاب هذه الطرق قال :

«ومنهم من يعكس حروف الكلمة فيكتب محمد «دمحم» وعلي «يلع» ، ومنهم من يبدل الحرف الأول من الكلمة بثانية مطلقا في سائر الكلام فيكتب محمد أخو علي «حمدم خا عويل » إلى غير ذلك من التمييزات .

«ومنهم من يبدل الحروف بأعدادها فى الجمل فيكتب محمد أربعون وثمانية ، وأربعون وأربعة ، وتعمل التعمية صفة محاسبة.

«ومنهم من يكتب عوض عدد الحرف حروفا وهو أبلغ في التعمية ، فيكتب محمد «لى بولى ج» ، لأن اللام والياء بأربعين وهي عدد ما للميم الأولى والباء والواو بثمانية وهى عدد ما للحاء، واللام والياء أيضًا بأربعين وهي عدد ما للميم الثانية ، والألف و الجيم بأربعة وهى عدد ما للدال فكأنه قال : م ح م د. وان شاء أتى بغير هذه الحروف مما يتضمن هذه الأعداد.

«ومنهم من يجعل لكل حرف اسم رجل أو غيره إلى آخره[1] .

---

(١) القلقشندي – مصدر سابق.

ولعلي بن الدريهم المتوفى سنة ٧٦٢ هـ أرجوزة عن المترجم يشرح فيها أصول هذا الفن منها:

فإن كشف السر كالمترجم من أحسن العلوم للمستفهم

وهذه الأرجوزة التي كشف عنها أحمد تيمور باشا يزيد عدد أبياتها على مائتي بيت وجاءت على طريقة ابن مالك في ألفيته الشهيرة ، واستهلها ابن الدريهم بحمد الله والصلاة على رسوله وصحبة هدا ة الأمة ، ورأى أن المترجم هو أحسن العلوم ، ولا يستغنى عنه ، وموضع اهتمام الملوك ، ويعنى باستخراج المعلوم من المجهول أي الواضح من المعمى إلى أن قال:

وقد نظمت في أصول علمه قواعد تضبط حد رسمه
فإن تكن في حجمها لطيفة فإنها مفيدة منيفه
نافعة لمن دعاها كافية في الحل أو في الوضع وهي وافيه

وبالرغم من قوله هذا فإن كثيرًا مما ورد فيها مغلق غامض، ولكن من الجائز أن هذه القواعد والضوابط كانت ميسرة بالتقلين والتكرير، بيد أن بعض أبيات الأرجوزة واضح مفهوم لا تعوزه شروح مثل قوله:

أما الذي من المعمى مصطلح بغير تغيير الحروف قد وضح
منه ضروب أنا منها أذكر أصول وضعها فليس تحصر

فـالأول المقلـوب مـنهم مـنعكس ألفاظـه أمثالـه سـعد دعـس

أو أنـــه يقـــدم الأخـــيرا في كلمـة مثـل يـراع عـيرا

أو يبـدل الأول منهـا عمـدا بـآخر كمثـل أبـدع عبـدا

أو يبـدل الأول منهـا رابعهـا يكتـب في عابـسها سـابعها

أو ثانيـا برابـع وأولا بثالـث مثـل لانـف نفـلا

وهذا الكلام واضح ولا يخرج في الأمثلة التي ضربها ابن الدريهم عن تغيير مكان الحروف، أو قراءة الكلمة معكوسة، أو تقديم الحرف الأخير إلى آخره ، ومنها أن يعمد إلى كل كلمتين فينقل أول الأولى وآخرها إلى الثانية وأول الثانية وآخرها إلى الأولى كما إذا أردنا أن نكتب «أحمد كتب» ، فإنه يكون بهذه الطريقة «كحمب أتد».

«ومنها طريقة زيادة حرف بين كل حرفين من حروف الجملة ثم تصوير المجموع بصور ما يشاؤون من الكلمات مبالغة في التعمية والإبهام» ، وقد أشار إلى ذلك في قوله:

ومـنهم مـن يجعـل الحروفـا حرفـا وحرفـا دائـمًا مألوفـا

مثالـه محمـد أخـو عـلي من حام قد بار خضوع عيل لى

«فجملة من حام قد بار خضوع عيل لى. إذا أسقطت منها الحروف المزيدة وهي الثاني والرابع والسادس.. إلى آخره بقى

منها محمد أخو علي وهو المقصود»[1]..

ولم يذهب المترجم بذهاب الأيام ، فقد أفاد منه الحرفيون، وبعض الطوائف في لحنهم أو سيمهم ، فإننا نراهم يدخلون بين الحروف الأصيلة لبعض الكلمات حروفًا زائدة للتعمية والتمويه مثل قولهم خنداتم أي خاتم ، وسندكره أي سكر، وخندمره، أي خمرة، إلى آخره.

كما أن حساب الجمل استخدمه الشعراء طوال العصر العثماني في أغراض أخرى غير الترجمة مثل التأريخ للمواليد والوفيات وعيد الجلوس السلطاني ،وغير ذلك من مناسبات ، وظل حساب الجمل مستخدمًا في الشعر حتى طلائع القرن العشرين ، فقد نظم به أمثال الشيخ إبراهيم اليازجي ، وإبراهيم المويلحى، وإسماعيل صبري أستاذ الشعراء وخليل مطران ، وغيرهم .

وعلم الترجمة أو الشفرة أو المعمى عرفه العرب منذ القرن الثالث الهجري ، وأحكموا أصوله وقواعده ، ووضعوا فيه الرسائل المهمة مثل «رسالة الكندي في استخراج المعمى

(١) أحمد تيمور – مجلة الهلال – عدد فبراير ١٩١٦

و«المؤلف للملك الأشرف» لابن عدلان و «مفتاح الكنوز في إيضاح المرموز»» لعلى بن الدريهم ، «رسالة أبي الحسن بن طباطبا في استخراج المعمى» ، وجزء من «رسالة أبي الحسن محمد بن الحسن الجرهمى» وغيرها .

وقد توفر الدكاترة محمد مراياتى ويحيى مير علم ومحمد حسان الطيان على هذه الرسائل المشار إليها ، وبحثوا عن مخطوطاتها ، وحققوها ، ويسروا صعبها ، واستظهروا مضامينها ، وترجموا لمؤلفيها ، ووازنوا بين طرائق كتّابها في استخراج الترجمة ، وبينوا صلة المترجم بالعلوم ا لأخرى، وجلبوا المصطلح الأجنبي في مقابل المصطلح العربي، هذا بخلاف إشاراتهم إلى جهود الآخرين في هذا المجال الرحب .

وفي هذه الدراسة الواسعة المكونة من جزءين تقرأ عن الترجمة المعماة بوضع الحروف على أيام الأسبوع والساعات ، والترجمة المعماة بالتركيب على الخرز الملون ، والترجمة المعماة على أحوال الكواكب ، واستخراج المعمي من الشعر وخلاف ذلك كثير[1] ، وبإيجاز قدم الدكتور مراياتى وصاحباه دراسة علمية دقيقة، هي الأولى من نوعها تستحق التقدير والتهليل .

(١) د. محمد مراياتي ، بالاشتراك ، كتاب «علم التعمية واستخراج المعمي عند العرب» جـ٢ ، مصدر سابق.

وقد أوضح هؤلاء العلماء، مرایاتي وزميلاه : « أن علم التعمية واستخراج المعمى واحد من علوم كثيرة تدين للعرب ولادة ونشأة وتطورا ، وهو ليس كغيره من العلوم التي ترجم العرب بعض أصولها ، ثم أغنوها وطوروها ، كالرياضيات والفيزياء والفلسفة ، وإنما هو علم عربي المولد، يعود الفضل إلى العرب في ابتكاره ، ووضع أسسه، وإرساء قواعده وتطويره إلى أن بلغ مرحلة ناضجة».

ومن الدراسات الجادة في هذا المجال ، كتاب «الرموز السرية في المراسلات المغربية» للدكتور عبد الهادى التازى، الذي عرض للمراسلات المغربية المعماة في أزمنة الدول التي تعاقبت على المغرب، ويذكر بعض أسماء الذين أولوا الكتابة السرية عنايتهم مثل أبى بكر الصولي ومؤلفه «أدب الكاتب» وقد كانت الإشارات الكتابية عنده عبارة عن رموز، كأن يسمى الألف فاختة ، والباء صقرا ، والتاء عصفورا ، أو تكون أمام حروف الهجاء منزلة من منازل القمر، كذلك أشار التازي إلى كتب أخرى منها كتاب « التنبيه على حدوث التصحيف» لحمزة الأصفهاني ، وقد كان يعبر عن الحروف بأسماء الطيور فإذا وجدت غرابا يتكرر مع عصفورة ، وعصفورة تتكرر مع غراب علمت أن أحدهما ألف والآخر لام».

ومثل هذه الكتب أظهرت بعض تراث العرب والمسلمين في علم التعمية في زمن اتسعت فيه دولتهم ، وترامت حدوها ، وتداخلت حضاراتهم مع حضارات أخرى ، وابتدعوا علوما منها اللغة السرية الشفرية التي أتقنوا فنها ، وأدخلوها أروقتهم السياسية ودواوين دولتهم ، واستعملوها في الحكم والرسائل .

وعلى هامش علم الترجمة العربي نشير إلى جهود الأوروبيين في هذا المجال ، في كلمات قليلة ، ونبين أن هذا العلم يعرف عند الفرنجة بالكربتوغرافية أو البوليغرافية .

وللأوربيين ملاحنهم ومعمياتهم ، فقد استخدموا في العصور الوسطى ا لأرقام السرية ، واستبدلوا حروف العلة اللاتينية بنقط ورموز معلومة ، وكانت حكومة البندقية تستعمل الرموز في مكاتباتها السياسية ، فترمز للدوق بحرف B وللملك بحرف F .

وهناك كتب تناولت الكتابات السرية وضعها الأب جان تريتم (ت ١٥١٦) مثل «الرموز المختزلة الاصطلاحية» ، وكتاب البوليفرافية.

ثم اخترع الأوربيون طرقًا حديثة صارت التعمية فيها بالغة الصعوبة ، وهذه الطرق تعتمد على الحروف أو الأرقام أو الرموز أو الجمع بينهما إمعانا في التعمية ، ثم اخترعوا طريقة الشبكة المخرمة ، وطريقة يتستون[1] ، وكل هذه الطرق قائمة على حروف وكلمات أصيلة تدخل فيها حروف وكلمات زائدة للتعمية ، ولها طرق لاستخراج المعمي والوصول إلى الكلام المراد.

والطريقة التي تستند إلى الحروف والأرقام تشبه إلى حد كبير المعمى عن العرب ؛ لأن لها مفتاحا ، عند العرب كذلك ، والمفتاح عبارة عن كلمة يتواطأ عليها المتكاتبون .



(١) لمزيد من التفاصيل انظر مجلة الهلال عدد يناير ١٩١٦.



الشعر واللحن

الشعر واللحن

مارس العرب ملاحن بديعية وغير بديعية ضمنوها أشعارهم، وعموا بها أغراضهم، فاستخدموا التورية، والتصحيف والتحريف، والانعكاس مع تغير المعنى دون الكلام، والانعكاس مع استقامة المعنى وانتظام الحروف، وقد يحسن التمثيل للإيضاح.

ربما يأخذنا العجب إذا قرأنا شعرا من اليمين إلى الشمال، وألفينا الشاعر فيه يمدح العرب، فإذا قرأناه على مستوى الكلمات من الشمال إلى اليمين، ألفينا الشاعر يذمهم. يقول الشاعر مادحًا:

حلموا فما ساءت لهم شيم ... سمحوا، فما شحت لهم منن

سلموا، فلازلت لهم قدم ... رشدوا، فلا ضلت لهم سنن

فالشاعر هنا يثنى على العرب، ويصفهم بالحلم، والأخلاق السمحة، وكثرة النعم، والرشد واستقامة المبادئ، ثم إنك إذا أعدت قراءة البيت من الشمال إلى اليمين جاءت على

النحو التالي:

منن لهم شحت، فما سمحوا ... شيم لهم ساءت فما حلموا
سنن لهم ضلت فلا رشدوا ... قدم لهم زلت فلا سلموا[1]

وهذا الشعر هجاء صريح للعرب يجردهم من كل ما مدحهم به من البيتين السالفين . وهكذا يمكن أن يعمى الشاعر قصده بهذه الطريقة .

وإذا كنا في المثال السابق عكسنا القراءة على مستوى الكلمات فإننا في المثال الآتي نعكس القراءة على مستوى الحروف من الشمال إلى اليمين ، فإذا بالشطر الثاني هو نفس الشطر الأول . يقول الشاعر:

مودته تدوم لكل هول ... وهل كل مودته تدوم

فعليك أن تبدأ الشطر الثاني بقراءة الميم ثم الواو ثم الدال ثم التاء ، ثم الهاء (مودته) إلى آخره ، وهذا ما يسمى بـ «ما لا يستحيل بالانعكاس».

والتصحيف يغير المعنى لأنه يبدل الحروف بتغيير النقط ، أما التحريف فهو تبديل الحركات، ومن أمثلة ذلك قول شاعر في الهجاء:

---

(١) الشيخ ناصيف اليازجي «مجمع البحرين».

من رام أن يلقى تباريح الكرب　　من نفسه فليأت أجلاف العرب
ير الجهال والجلال والخشب　　والشعر والأوبار كيفما انقلب
أسرق أهل الأرض عن أم وأب　　وأسمج الناس وأخزى من نهب
لا تعرف الأقدار فيهم والرتب　　ولا يبالون بأحرار النسب
لكن يغارون على حفظ النشب

وهذا الكلام عينه عندما تم تصحيفه وتحريفه صار مدحًا صريحًا ، ودونك الشعر بعد تحريف الكلام عن مواضعه، وتغيير نقاط الحروف.

من رام أن يلقى تباريح الكرب　　من نفسه فليأت أحلاف العرب
ير الجهال والجلال والحسب　　والشعر والأوتار كيفما انقلب
أشرف أهل الأرض عن أم وأب　　واسمح الناس وأجرى من يهب
لا تعرف الأقدار فيهم والريب　　ولا يبالون بإحراز النشب
لكن يغارون على حفظ النسب

فانظر التصحيف في البيت الأول مثلا في كلمة أجلاف التي صارت «أحلاف» ، وانظر التحريف في البيت الثاني بين الجهال والجلال بكسر الجيم ثم بفتحها بعد ذلك وكيف أن التصحيف والتحريف عميا المعنى في ناحية ووضحاه في ناحية أخرى.



وإذا كانت التورية قد استخدمت في النثر وأدت الغرض منها، فإن شعراء آخرين جعلوها في قوالب الشعر معاني غامضة لتخفي ما في صدورهم، ومن أمثلة ذلك:

رأيت يا قوم أقوامًا غذاؤهم ... بول العجوز وما أعنى ابنة العنب

بول العجوز : لبن البقرة.

وقادرين متى ما ساء صنعهم أو قصروا ... فيه قالوا الذنب للحطب القادر

والقادر الطابخ في القدر، والقدير المطبوخ فيها.

ومرضعًا بلبان لم يفه فمه ... رأيته في شجار بين السبب

الشجار، المحفة ما لم تكن مظللة فإن ظللت فهو الهودج.

والسبب ههنا الحبل ، ومنه قوله تعالى: ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ﴾[1].

ومثل هذا الشعر يفتقر إلى النضرة والحيوية، ولكنه يبرز مهارة الشاعر وموهبته في نظم هذه الأشعار، ويدل على صفاء أذهان صانعيه وطول بالهم ، فكم أمضى الشاعر من وقت حتى صاغ بيتا من هذه الأبيات!! ولا شك أنه شعر متكلف ولابد أن يكون كذلك لتأدية الغرض الذي صيغ من أجله وهو اللحن، فهو بمنزلة قناع يخفي أغراض قائله:

(١) مقامات الحريري.

وكل ما ذكرناه هنا هو من طرق المحاجاة أو اللحن الكتابي والبديعي، أما في الترجمة فإن بعضهم يعمى الشعر باستبدال أسماء طيور بحروف البيت، وإليك المثال الذي يذكره ابن طباطبا ويتناول تعمية مطلع معلقة امرئ القيس.

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

فقد تم تبديل حروف البيت على النحو التالي:

طاووس تدرج باز شاهين باشق يؤيؤ عقاب شاهين
صقر يؤيؤ نسر رخمة غراب باشق رخمة باشق
غداف عقاب شاهين دراج طهيوج باشق قبجة طاووس
ورشان باز طيهوج طيهوج غداف رخمة باشق رخمة
شاهين باز طيهوج حمامة بطه غداف طيهوج تدرج
غراب غداف عقاب طيهوج

ويلاحظ أن عدد هذه الكلمات يطابق عدد حروف البيت وهو أربعة وأربعون[1].

وليست هذه هي الطريقة الوحيدة أو الطريقة المثلى، ولكن يمكن استبدال أسماء حيوانات أخرى أو ناس أو فواكه أو جواهر أو خرز بالحروف، ومثل هذه التعمية لا تفهم بالبديهة أو بالفطنة.

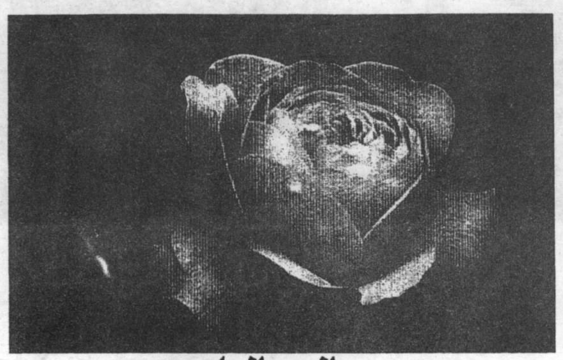
(١) د. مراياتي – علم التعمية.



الزهر والحب

الزهر والحب

تعددت الأزهار والنباتات دور الزينة والبهجة ، والاحتفال بأنوارها الصافية، وشذاها الفواح ، في فصل الربيع إلى السياسة، فقد أُتخذت بعض الزهور والنباتات شارات لدول ، مثل اللوتس لمصر الفراعين ، والريحان لألمانيا في زمن غليوم الكبير، والأرز للبنان، وبلغ القرنفل حدًا من الإعجاب به، فاتخذه بولانجه «أحد الرؤساء الأوربيين» شعارًا له ، وفضلته الملكة ماري أنطوانيت على غيره من الأزهار، وكانت تخفيه في طيات ثيابها ، وهي سجينة، وجعل أحد ملوك العصور الوسطى حاشيته تمضغ القرنفل قبل التحدث إليه لتفوح رائحته العطرية من أفواههم.



الورد البلدي

وقيل: إن الخليفة المتوكل «قصر الورد على نفسه، وحرّمه على غيره، وأنه كان يقول: أنا ملك السلاطين، والورد ملك الرياحين، وكل منا أولى بصاحبه، فكان الورد في زمانه لا يُرى إلا في مجلسه فقط، وكان يقول: إنه لا يصلح للعامة، وكان يلبس في أيام الورد الثياب المورّدة، ويفرش الفُرش الموردة»[1].

وكان كسرى أنو شروان مغرمًا بالنرجس، ويقول: «هو ياقوت أصفر، في در أبيض، على زبرجد أخضر، وإني لأستحي أن أباضع في مجلس فيه نرجس؛ لأنه أشبه بالعيون الشواخص»[2].



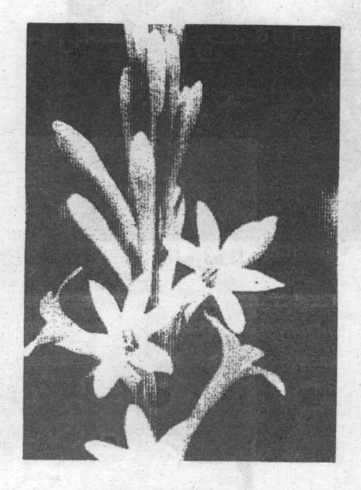
زهرة البنفسج

---

(١) محمد بن إسماعيل شهاب الدين: «سفينة الملك، ونفيسة الفلك»

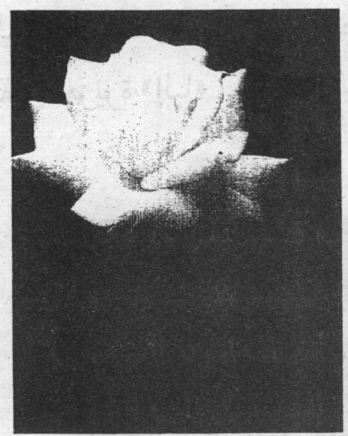
(٢) المصدر السابق.

ولم يكن زهر الزنبق أقل مكانة ، فقد صار رمزًا مقدسًا للسيدة «مريم العذراء» عليها السلام ، ويطلق عليه أحيانًا زنبق القديس يوسف، وقد حبذه الملك شارل العاشر ملك فرنسا على سائر الأزهار، وكانت البنفسج زهرة وطنية في أثينا القديمة، وكذلك كانت زهرة الإمبراطور نابليون الأول المفضلة أيام نفيه في جزيرة «إلبا» ، وانتقلت معه بعد هروبه إلى فرنسا.

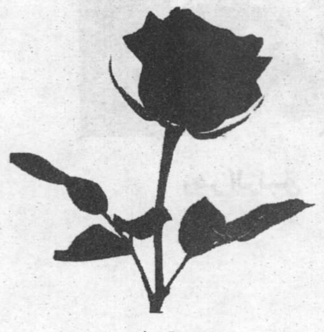


زهر الزنبق

وما زالت حرب الوردتين تعرف في تاريخ إنجلترا أثناء الحرب الأهلية عندما تنازعت على العرش عائلة يورك، وشعارها الوردة البيضاء وعائلة لانكستر وشارتها الوردة الحمراء.



الوردة البيضاء



الوردة الحمراء

كذلك لعب الزهر دورًا كبيرًا في حياة العشاق، وحمل خطراتهم وأسرارهم، ونقل أخبارهم وأفكارهم، واتخذوه سيما فيما بينهم، وعبروا به عن الافزاع والارتياح في تجاربهم.

والسيم من السُّومة بالضم أي العلامة، ويقال أيضًا السّيمة، وفي القرآن الكريم ﴿سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم﴾، وفي الحديث الشريف قال ﷺ: «سوّموا، فإن الملائكة قد سوّمت»، أي اعملوا لكم علامة يعرف بها بعضكم بعضا»[1].

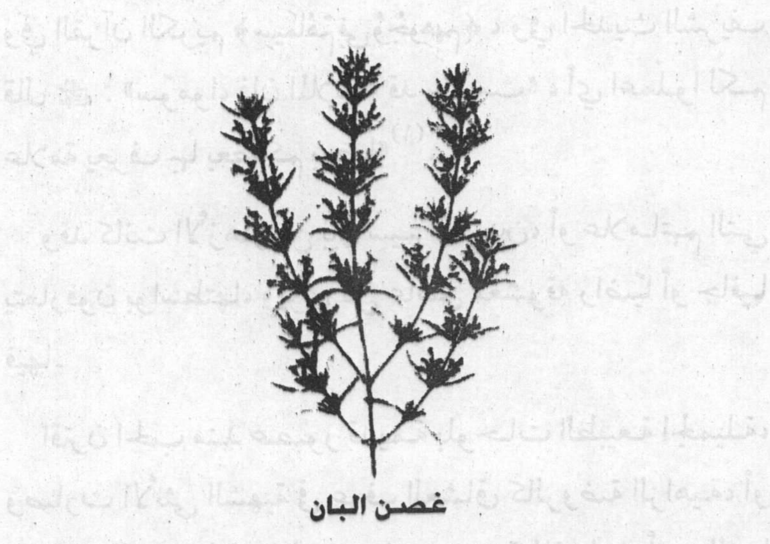
وقد كانت الأزهار من بين سيم المغرمين، أو علاماتهم التي يتعارفون بواسطتها، ويرى كل عاشق معشوقه راضيًا أو جافيا فيها.

اقترن الحب منذ عصور قديمة بلوحات الطبيعة الجميلة، وصارت الأنثى الشهية في عرف العشاق كالروضة الزاهية، أو كالزهرة الغضة اليانعة التي حان موعد قطافها، فيأوي إليها وملء قلبه الرجاء.

وكم شبه الشعراء التقبيل بجني الثمار، والخدود بالورود، وتثني القدود بتمايل الغصون، والثغر بالأقاح، ورفيف الشَّعر

(١) مادة سوم – لسان العرب.

برفيف أوراق الزهر، والنهود بالرمان، والعيون بالنرجس، وعمر السعادة في العشق بقصر حياة الورد ، والأعطاف بغصن البان الميّاد إلى آخر ما يعرفه قراء الغزل من شعر المغرمين، فلا جرم أن اقترنت المرأة بالزهور والنور، والرقة والجمال.



غصن البان

وقد ذكر المعنيون بالحديث عن العشاق حكايات كثيرة عن العشق، وعن دور الزهور في هذا المجال، وتوسعوا حتى أخبرونا بأن النبات يعشق أيضًا، وهذا من الغرائب والعجائب، فقد روى ابن الجوزي بإسناد أن أبا مَسْلمة المنقرى يقول: «كان عندنا بالبصرة نخلة، وذكر من حسنها وطيب رطبها، قال:

ففسدت حتى شيصت[1]، قال: فدعا صاحبها شيخًا قديمًا يعرف النخل، فنظر إليها وإلى ما حولها من النخل، فقال: هذه عاشقة لهذا الفحل بالقرب منها، فلقحت منه، فعادت إلى ما أحسن ما كانت»[2].

وقد روى داود الأنطاكي هذه الحكاية على نحو آخر قال: «إن شخصًا كان له نخلٌ، وكانت واحدة منهن تزهر وتُسقط قبل الانعقاد، وربما تُثْمر وتُسقط قبل البلوغ، فشكا ذلك إلى حاذق، فجاء حتى إذا نظرها، فقال: إنها عاشقة، ثم دعا برصاص، فصنع شريطًا، وربطه منها إلى نخلة أخرى هناك، فحسن ثمرها في تلك السنة، ودامت كذلك، وإن صاحب البستان قطع الشريط لينظر فأسقطت الزهر، فأعاده فصلحُتْ»[3].

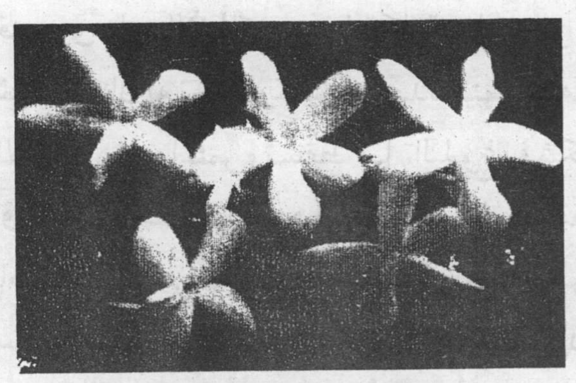
أراد الراوي القول: إن الوصل يريحها، والارتباط يقويها على إنضاج الثمر، والبعد يضنيها، فتسقط ثمارها قبل الأوان، أو أن التمر الناضج ثمرة تواصل المعشوق مع العاشق، والحبل

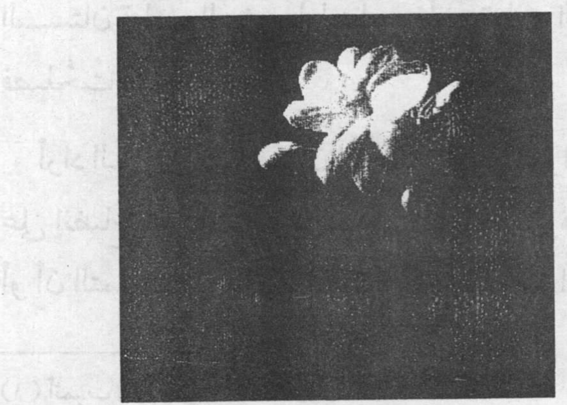
(١) أثمرت ثمرًا رديئًا.

(٢) ابن الجوزي - «ذم الهوى» - دار الجيل - بيروت ط ١٩٩٩ ص ٣١٢.

(٣) داود الأنطاكي: «تزيين الأسواق بتفصيل أشواق العشاق».

الواصل بينهما يعمل على الضم والتلاقح، وهي حكاية غريبة؛ لأنه كيف تأتّى لحاذق النخل أن يدرك دخائل النخلة العاشقة وأسرارها الخافية، وسواء اعتقد العشاق في العشق النباتي، أو لم يعتقدوا فإنهم اتخذوا من الزهر والنبات لحنا لهم.





الياسمين

رسول العاشقين:

والحب يبعث في الإنسان حياة جديدة، ويولد فيه طاقة زائدة عاتية مسيطرة على النفس، ولا يستطيع المحبان إخماد عواطفهما، وإنه لابد من المشاهدة والمحادثة والتلاقي لبث الشوق، وهذا غير ميسور؛ لأن الحب بطبيعته خجول، وصوته خافت، حتى لو كانت مبادؤه سامية، وغاياته نبيلة، ومن هنا تعترض اللقاءات صعوبات جمة، منها: أن المرأة العربية في المدن والقرى محدودة الحركة؛ لذلك قد يلجأ العاشق إلى الاتصال بمعشوقته عبر وسيط، يحمّله رسالة مخطوطة أو شفوية، وقد ظلت هذه الطريقة متبعة زمنا طويلا، وقد يكون الرسول رجلا أو امرأة، ومع أن الرسول يتم اختياره بعناية، ويتمتع بصفات حسنة أهمها الكتمان، فإن هذه الطريقة غير مطمئنة؛ لأنه قد تنتج عنها مخاطر مروّعة، منها: أن يكون العاشقان أو أحدهما يجهل القراءة والكتابة، وفي هذه الحالة يتحتم أن تكون الرسالة شفوية، وهذا يعني أن الرسول يعلم كل ما بين العاشقين.

ومنها: أن الرسائل المخطوطة قد تقع في يد غريم يبوح بالسر، هذا إلى جانب أن حامل الرسالة المخطوطة قد يطلع عليها، ويذيع ما تنطوي عليه من أسرار، وربما صار خصمًا حاقدًا، فيفشى كل ما يعرفه، علاوة على أن الرسول المزود

برسالة شفوية ربما لا يعرف كيف يشرح الحالة النفسية للعاشق، وقد شكا أحد المحبين من رسوله لعدم قدرته على ترجمة أشواقه لمعشوقته وقال:

إن شكونا الهوى فماذا نقول
أو تلفنا شوقا فماذا السبيل [1]
أو بعثنا رسلا تترجم عنا
ما يؤدي شكوى المحب رسول

أما أخطر ما في هذه الطريقة هو أن يعشق الوسيط «الرجل» معشوقة العاشق من كثرة تردده عليها، أو أن تحب الوسيطة «المرأة» عاشق المعشوقة، من كثرة ترددها عليه، وهنا يحل بالعاشق الأصلي الشقاء المقيم، واليأس القاتل، ويخجل من نفسه لهزيمته، وقد قال ابن سناء الملك:

راح رسولا فجاءني عاشقا
وعاقه عن رسالتي عائق
وعاد لا بالجواب بل بجوى
أخرسه والهوى به ناطق

---

(١) هناك رواية أخرى لهذا البيت هي:

أن شكونا بعدا فماذا نقولُ ... أو بلغْنا شوقا فأين السبيل

وقال الأرجاني:

قسما لقد رجع النسيم عليلا
لما سرى مني إليك رسولا
ودَرَى بحبّك أنه قد خانني
فغدا يُجرُّ من الحياء ذيولا

وهذا الذي يحدثنا به الشاعر، هو أشد ما يبتلى به العاشق، إذ فقد المحبوب، وشاع سره المصون، ومضت أيام البشاشة الحسان، مما ولّد فيه النقمة، وجعله متبرما سيئ الظنون، شاعرًا بالوحشة والانكسار.

وبالرغم من أن طريقة التراسل مشوبة بعيوب وأهوال، فإنها ظلت قائمة زمنًا، وفي قصص القصاص في العصر الحديث نجد رسائل بين محب ومحبوب، وأحيانا تكون القصة كلها عبارة عن رسائل متبادلة، أو أن تكون كلها رسالة واحدة.

ولما وجد العشّاق أنهم باتباع طريقة التراسل يكونون على شفير هاوية، مهما أحكموا التدبير فيها، لم يأنس كثير منهم إليها، واتخذوا وسائل أخرى أكثر أمنا، أو قللوا منها، وحتى مع وجود البريد الحديث، قد لا تصل الرسالة إلى المرسل إليه وتقع في يد آخر، وإذا وصلت فلا تصل في نفس اليوم، أما

ساعي البريد المتعلم الأنيق قد يعشق المعشوقة من كثرة ذهابه إليها ، وإيابه من عندها، وللأقدار أحكام ، أو قد يفتح الرسالة ويطلع على مكنونها ، ثم يعيدها إلى المظروف مع حسن الصنعة.



لغة الزهور:

وقد اتخذ العشاق رسائل أخرى للتواصل مع أحبائهم ، منها الرسائل الغامضة الرمزية التي يخفى معناها على حاملها، ويعسر عليه إزاحة الستر عن مضمونها، وبذلك يمكن للعاشق أن يتقي المزالق. وهذه الرسائل هي الزهور التي عبروا بها عن التفكير والشعور ، وتضمنت هبات الحب، ونطقت بمعانيه، وتتأرجح علاقات المحبين، بين إصعاد وهبوط، بواسطتها، فترتعش عواطفهم طربا وشجنا وهم ممسكون بها، إذ لم تعد الزهرة تعرف باسمها ، وإنما بما تنطوي عليه من دلالة، وإذا كانت الوردة في الطبيعة منظرًا جميلًا ، فإنها في السيم حسب ما تعبر عنه من مشاعر ذاتية.

ولحن الزهور يتردد كثيرًا على ألسنتنا في حياتنا العادية دون أن ندري أن ما نقوله سيما ورمزًا، فيقول أحدنا للآخر عند

الشك، وعدم الثقة: «في المشمس»، ويرفع بعضنا غصن الزيتون رمز السلام، وتشدوا مغنية قائلة: «شوف الزهور واتعلم.. بين الحبايب تتكلم».

وسيم العشاق مع الزهور غالبًا ما يتمثل في زهرة أو ثمرة، أو غصن شجرة، أو عُود نبات، أو طحالب، ويحملها العاشق شحنة عاطفية حسب قوة الحب أو فتوره، ويبعث بها إلى من يهواه، وقد عدّوا الورد صبابة، والشوك عداوة، والفل لطافة، والنبق فصاحة، والمرّ سعادة، وعبروا عن البسالة بالعرعر، والملالة بالطحلب، والدناءة بالعوسج، والهناءة بالكركم الأصفر، والطهارة بالّيْلك. حسب معجم المشعلاني وبعض معاني الزهر والنباتات حسنة المأتى، طيبة المدخل يتلقاها المحب بانشراح واستبشار؛ لأنها تنقل الود، وتعبر عن انتصار الحب، وبعضها الآخر سيئ الطالع؛ لأن المعاني مثقلة بالذم، وتذكر المثالب، وتعمل على انقباض المحب، وتفصح عن ضعف الود، وسوء مصيره.

ونحن إذا تلفتنا إلى أحاسيس العشاق، وأنعمنا النظر في سيمهم، ألفينا لغة الزهور ملأى بشتى فنون التعبير عن مختلف ألوان الحب، وتقلباته التي تتناول غليان العواطف، وتما وجها

بالصب، وعدم استقرارها على حال، وتعبر عن فرحة المغرمين بالأخبار التي تبشر بقرب المزار، ودنو موعد اللقاء، ونعيم السعادة فيه، وهناك أزهار تحمل دلالات المرأة على تقبلها للعشق، والانخراط فيه والانفعال به، ومعايشته وممارسته وهي متأججة متوهجة، ومقدار تفاؤلها، والطريق التي تود أن تسلكها لتحقق رغائبها منه.

كذلك نجد الزهور التي تعبر عن ضعف الحب، أو طوره الثاني، والأحوال التي يمر بها من ملالة، وعدم اكتراث، وتراخ إلى أن يصل إلى الاشمئزاز والنزاع واللوم والكراهة التي تعمل على تهديم الشوق، وأخيرًا الانسحاب من العملية العشقية.

والعاشق وهو ينتقي الزهور أو النباتات التي تعبر عن بعض وقائع الحب في حياته يستظهر خوافي نفسه من مخاوف، وهواجس، وظنون، وغيرة إلى آخره، وهو بذلك يكشف عما طغى عليه أثناء رحلته الغرامية، والزهور التي تمثل هذه الحالات التي تناوبت عليه هي صور نفسية، ومنها زهرة «لاوندا» وتعني الشك، و«الورق الذابل»، ويمثل ما حل به من كآبة، و«منقاد الغراب»، ويمثل الغيرة.... وهذه الزهور أو الصور بمنزلة ترجمة باطنية لقلب في زمن الحب.

والحب ليس كله ساميًا عفيفًا، وإنما قد تنزله الشهوة من عليائه ، وتحيله إلى هوى جامح لا يُناهض، ويقع بعيدًا عن الطهر، ويخيل لي أن كثرة ذكر الشوق اللاهب. وإلا يغال في سرد الأوصاف الحسية مع دوام ذلك ، تولد الانفعالات العارمة ، فيقبل العاشق أو المعشوقة على مراودة الآخر، وتسهيل الانزلاق، وهناك من يغالب ولا يُغْلب، ومن يستجيب ، فيقع العاشقان في حب آثم ، ودلالات بعض الزهور توقفنا على صور من المغالبة، وغيرها من السقوط في الهاوية، فالورد الأبيض الذابل دلالته «أفضل الموت على فقد عفتي» ، وزهرة ياسمين إسبانيولي تعرب عن حب الشهوات، وورق عرف الديك يعني الخلاعة، وشجرة الأبنوس تعني الفحشاء ، وهذا يبين أن الذين صاغوا الجانب المشرق من الحب، لم ينسوا الجانب المعتم منه.

ومن أهم أحوال العاشق أو المعشوق ، أنه دائمًا منتبه يقظ، يحسب لكل شيء حسابه، ويتدبر ويمعن في التدبير، حتى لا يقع تحت نظر الرقيب ، لذلك يتخفي ويعمل ما في طاقته لصرف الأنظار عنه، فإذا لحظ شيئًا سارع إلى إرسال زهرة إلى المعشوقة مفادها أنهما مراقبان ، وأن أمنهما مهدد، أو تخطره هي عن طريق زهرة، بأن يلتزم الحذر، لذلك تكثر الزهور في سيم العشق التي تحذر من الوقوع في الخطر، أو تبشر بالأمان ، ومن

هنا فورد الدفلي يقول للعاشق: كن على حذر، أو الدفلي غاوردي ينبه العاشق إلى أن يحترس لأن الخطر يحدق به، أو تأتي حشيشة الدينار لتقول صراحة: «يراقبوننا»، وقد فطنت امرأة إلى رقيب يقتفي أثرها، ويريد أن يوقع بها ليجعلها موضوعا للنميمة والفضيحة، فأرسلت إلى عاشقها زهرة تقول: «إذا رأيت الرقيب لا تتبعني»؛ لأن الفضيحة لا تتم إلا وهما مجتمعان، أما الانفراد فيقطع لسان الرقيب الحسود، وهذا من حيل النساء وهن في حالات العشق.

أما إذا شعر أحدهما بصفاء الأجواء، وخلوها من الرقباء، فإنه يرسل إلى الآخر أوراقًا من زهرة اللاذنم لتبشره بالأمان ومن الخوف ونجاة الحب، بل تَعِده بالسهر الناحر والسمر اللاهي في ظلام الليل، وتبعث إليه بقليل من الشاي أي «انتظرني لما ينام الناس»، وعلى أية حال فإن الليل الحالك خير أوقات تلاقي المحبين.

وزهرات العشاق المتنوعة تبكي عنهم، وتظهر الحرقة والجوى وترطب القلوب، أو تزيدها حرارة، وتعبر عن العاشق المغامر الذي يعتقد أن المرأة كالحياة يفوز بها الجسور، والذي يتطلع إلى حياة جياشة مع أفئدة حساسة ومهج لهفي، ومن يهفو إلى فردوس نقي تتعانق فيه الأرواح الطاهرة، ومن يتعامل مع عوالم الأطياف والخيالات تُغرِه الأحلام، وفي هذا

السيم زهور دلّالة على الوفاء وصدق الوداد، ودوام الذكر وبقاء الحب إلى ما بعد الممات، والقدرة على تحمل العشق مهما تكاثرت همومه، ومن المحبين من استعذب الحب وطلب من محبوبه ، من خلال الزهور ، إعادة اللقاءات، وتجديد المواعيد الاستعادة المسرات.

وهناك من يزيف في الحسن لكي يجذب عشيقًا ويرغبه فيه ، بيد أن العشيق فطن نبيه سرعان ما يدرك أن هذا الحسن زائف مصنوع أو سيء الأصل ويرفض التعامل معه.

والعاشق أو المعشوق ليس قادرًا على التمييز بين الجمال المطبوع ، والجمال المصنوع فحسب، وإنما يفطن إلى مدى صدق المشاعر، ويبحث عما إذا كان الحب من الأعماق أو أنه سطحي عبارة عن شقشقة كلامية خدّاعة، وعبارات حلاوتها مستعارة، فيرسل زهورًا إليه تحمل ما يدور بخلده من ظن واتهام وارتياب، ويوالي إرسال الزهور التي تكشفه وتكسفه، وتفند ادعاءه ، وتقول له: «إن قلبك ميال لكل من تنظر إليه» وإن قلبك يخلو من الحب، أو أن ريبة تداخله وبإيجاز غير موثوق فيه.

ونظرًا لحالات الحب الكثيرة ، وتناقضاته ، ومتطلبات الجنسين من بعضهما البعض في إطار العلاقات الحرة ، وتراوح

ميولهما بين الحرية والتملك ، وما ينشأ أثناء ممارسة الحب من تشاؤم وأمل ، ويأس ورجاء ، وترابط وتفكك ، واعتدال وإسراف نتيجة تفاوت الشخوص وتباين الأفكار. وهل يكون التعامل بين المرأة والرجل على أساس الواقع أو المثال؟ هذا إلى جانب ما فيه من طيش وطهر على سبيل القول أو الفعل. إضافة إلى ما يلابسه من خداع وضجر ، ووئام وخصام، وحالات نفسية أخرى لا تستقصى.

أقول: نظرًا لوجود كل هذا في العلاقات الغرامية ، فإن من فطنوا إلى السيم لم يحددوا معنى واحدًا ، أو سيما معينًا لزهرة واحدة أو لنبات واحد ، وإنما أطلقوا على نبات ما من النباتات أو على زهرة من الزهرات وألوانها وأجزائها عدة ملاحن لتكون أوسع تعبيرًا ، وأدق دلالة على ما في نفوسهم. فالزنبق الأبيض حسب قاموس المشعلاني يعني: «حسن طبيعي» ، والزنبق الأبيض المبكس يعني: «الظرافة والأنس»، والزنبق الأحمر يعني: «احتراق العاشق في العشق» ، والزنبق الأصفر يعني: «الكذب والغش» ، وهذا شائع في ملاحنهم.

والمحبان بالرغم من أنهما يختلسان مسرات الحب في الأماكن الخالية، والأوقات الداجية، فإنهما يعتقدان أن الحب يرفع من قدر المحب، ويشرفه ، ويجدد دماء ملامحه، فتنبسط وتضيء ،

ويظل المحب يخلع على المحبوب أجمل الأوصاف زمنا، فلا جرم والحالة هذه أن نقرأ عن زهور تحمل هذه المعاني أو ما يشابهها مثل السوسن الأحمر الذي يعني أن «المحبة تساعد في تقدير الإنسان قدره» ، والدراقن التي تقول للمرسلة إليه: «صفاتك ومحاسنك لا تماثل» ، والسوسن الذي يصف المحبوب بالكمال[1].

ويحفل قاموس المشعلاني بنباتات وورود تتفتح في وجدان العاشق، وتحركه وتثيره، وإذا قلّب أوراقها ، واستاف أريجها، حدد له حفيفها ، وهو بمنزلة صوتها، الطريق التي يسير عليها.



(١) نسيب المشعلاني: «مخابرات الحب السرية ورسائل المملكة النباتية.

السيم في الحياة العملية:

والسؤال الذي يطرح نفسه ، هل هذا الكلام عن الزهور ورسائلها السرية الذي قرأته، وكتبت عنه مجرد كلام وتسلية؟! أو هو خيالات من تخيلات أناس لم يكلفهم تسطيره شيئًا؟! أو أن هذا أو شيئًا منه له رصيد في الحقيقة والواقع؟

كنت قبل أن أشتغل بهذا الموضوع ، إذا اشتريت كتبًا قديمة من باعة الكتب المستعملة أجد بين صفحات بعضها وردة جافة، تيبست أوراقها وتفتّت ، وكنت أستنفض الكتاب لأتخلص منها ، دون أن أفكر في أمر هذه الزهرة، ومن غير أن أشعر بأن ما ألقيته على الأرض هو أرق المشاعر الإنسانية، ثم أدركت بعد ذلك أن عاشقًا مستهامًا قطفها من حديقة وقدمها لصاحبته ربما من باب الذكرى، أو ربما عرف من غيره لحن الورود ، فاختار الزهرة التي تعبر عن مراده.

وإذا تجاوزنا هذا الكلام، ألفينا الكاتبة التركية الأصل السيدة «أليف كروتييه» تحدثنا عن دور الورود في التواصل الغرامي بين حريم القصر السلطاني في الأستانة العلية ، وعشاقهن المجهولين؛ لأنه لا يجرؤ رجل أو امرأة في السراي السلطانية على الحديث عن الحب والهيام، ويفصح عن اضطرام

عواطفه، أو يسهر في دياجي الليل لينتظر المحبوبة الغالية، ويكون هذا معلومًا لأي شخص، وإنما يمكن أن يتم كل هذا، وأكثر منه، عبر لغة الزهور السرية.

تقول السيدة «أليف»:

«في لوحة جون فردريك لويس «المراسِلة المقبوض عليها، نرى امرأة مفتونة بباقة[1] من الأزهار، وتصرُّفها يخلق اضطرابا طالما أن لكل زهرة مغزى رمزيًا، يدل على رسالة غير مباحةٍ من عاشق سري. هذا الشكل من التواصل في الحرملك أثار اهتمام الليدي ماري وورتللي مونتاغو فعممته في بريطانيا، حيث انتشر هناك كما ينتشر الوباء، وصدرت عدة كتب لكشف السر الكامن في كل زهرة، والطاقة الشافية في كل منها، والطريقة التي يمكن للمرء من خلالها أن يتواصل مع الحبيب. وسرعان ما تبنت السيدات الإنكليزيات الطرق الموصوفة لتساعدهن في لقاءاتهن الغرامية»[2]

ونص السيدة أليف هذا يظهر أن النسوة شرقيات وغربيات وغيرهن مستجيبات للحياة العاطفية، وراغبات في الاختفاء

(١) الصحيح طاقة من الأزهار.

(٢) أليف كروتييه: «عالم الحريم خلف الحجاب» ترجمة علي خليل - دار الكلمة - دمشق ٢٠٠٥.

وراء زهـرة، وأن الأوربيـات استـهوتهن الأزهـار وملاحنهـا فاستخدمنها ، وبهذا اقتدت الأوربيات بالشرقيات في أن تكـون المراسلات الودية بالأزهار، وأعتقـد أن مـا شـجعهن على هـذه الطريقـة أن الزهـرة ملائمـة لمشاعرهن ، وظـروف حيـاتهن ، وصالحة للتواصـل بـين حبيبين، وهـذا راجـع إلى أنهـا متـوافرة، وخفيفة الوزن، وصغيرة الحجم، وسهلة الإخفاء ، وحتى لـو ظهرت فإنها أولا وأخيرًا زهرة يوجد مثلها في كل مكان، ومهما كـان ذكـاء الرجـل فإنـه لا يـستطيع أن يقـرأ كلامـا مـسترًا بـين أوراقهـا، كـذلك فإنهـا إذا ألقيـت في أي مكـان في المنـزل، فإنهـا تحمل بداخلها الأشواق، وأوراقها أسوار تحافظ على الأسرار.

والأهم من كل هذا أن المراسـلة بالأزهـار دفعـت الأوربيين إلى البحث عن معانيها وحكاياها ، وتأليف كتب كاملـة في هـذا المجال، فإذا نهض واحد منّا الآن، وترجم كتابا تصايح النـاس، وقالوا: أخذنا هذا عن أوربا في جملة ما أخذنا.

ولم تكتف أليف بـما ذكرتـه عـن التراسـل بـالزهر في القـصور السلطانية، وإنما تناولت اللغة السرية في حيـاة الـشابات عنـدما تغادرن زمن الطفولة ، وتقفن على درج الصبا والشباب، وتشع فيهن الأنوثة ، وتنبعث في جسد الواحدة اللدن الحرارة، وتحلم

حلم الصبايا الذي تسرى فيه الحياة مقترنة بالحب، وتترنم بأناشيد الهوى للحبيب المجهول، وتعبر عن الزهر والثمر بعبارة رمزية ظاهرها يستر ما في مشاعرنا. تقول أليف كروتييه:

«ظلت قصص الغرام متقدة في مخيلات الشباب والشابات، فالفتيات في سن البلوغ، اللائي يكشفن خفق قلوبهن للمرة الأولى ، كن يمضين الساعات الطوال، وهن ينظمن الأشعار الرمزية لعشاق وسيمين من نسج الخيال، ويضفين على آلاف الأشياء الصغيرة كالأزهار والثمار، ونصال الأعشاب وريش الطيور والحجارة معاني خاصة، غالبًا ما يتم التعبير عنها شعرًا، فبضعة أكباش من القرنفل، أو قصاصة ورق ، أو شريحة من إجاصة، أو قطعة صابون صغيرة ، أو عود ثقاب، أو قطعة من خيط ذهبي، أو عود قرفة أو حبة فلفل كانت تعني: أحبك منذ أمد بعيد، أتحرق شوقًا لرؤياك، أضناني الغرام، أموت بك حبًا، هبني القليل من الأمل، لا تتخل عني، أجبني ولو بكلمة. وغالبًا ما كانت الفتيات يذهبن بعيدًا مع عُشاقهن المتخيلين لدرجة يصبح معها انكسار القلب أمرًا لا مناص منه حين يأتي الأزواج الواقعيون»(١) .

---

(١) أليف كروتييه – المصدر السابق.

كل هذا كما هو والصبايا اللاتي تناولتهن أليف، وذكرت أنهن تحدثن بلغة رمزية، وأضفين على الأشياء معاني خاصة، وهذا قريب كل القرب من السيم، لابد أنهن تعلمن هذا من نسوة ناضجات مجربات، وإلا فمن أين عرفن الرمز وإخفاء الشعور وراء كلام ظاهر أو ورد زاهر، وهن بلا تجارب ومعارف.

الزهرة ودلالاتها العشقية:

وقد يتساءل المرء عن علاقة الأزهار والنباتات بدلالاتها العشقية، ومفاهيمها عند متلقيها، فهل كل زهرة توحي المعنى الذي ارتبط بها؟ أو كيف نسب عاشق معنى معينا لزهرة محددة؟ وكيف أطلق اللطافة على الخبيزة مع أن كثيرين لا يستلطفونها؟ الراجح أن كثيرًا من المعاني التي خُلعت على الزهور كانت باتفاق بين العشاق مع بعضهم البعض؟

ولم يكتب كتابنا كثيرًا في هذا المجال، بيد أن الأستاذ العقاد قال:

«المتخاطبون بلغة الأزهار يرمزون إلى قوة الإحساس الجميل الذي تمثله الزهرة وفاقا لترتيب لونها في ألوان الطيف الشمسي، فمن الوردة الحمراء المتوهجة التي يمثلون بها اتقاد

الحب، واضطرام آلامه، إلى البنفسجة الحزينة الساكنة التي يمثلون بها الوداعة والسوداء .. مجال واسع لتفاوت الإحساس بالزهر على درجات التفاوت في ألوان النور، وامتزاج الأصباغ والنقوش»[1].

والعقاد هنا يربط المعنى الغرامي للزهرة بلونها وإحساسنا به، وعنده أن معاني الأزهار تتباين نتيجة تفاوت إحساسنا بها، وتفاوت ألوانها، أي أن معنى الوردة مرده إلى جمال شكل الزهرة، وإحساسنا بهذا الجمال، ومنح الأستاذ العقاد مقولته اتساعًا بذكره كلمة «تفاوت» حتى لا ينحصر قوله في إحساس واحد، أو شكل واحد من أشكال الزهور.

وهذا القول إذا انطبق في الحياة الواقعية على معاني عدد من الأزهار، فإنه لا ينطبق على معاني زهور أخرى، وكلام العقاد الفلسفي يصدق إذا كنا في حالة نفسية هادئة متزنة، أما في حالة الحب، والحب بطبيعته مضطرب متغير، ، فإنه يصعب فيه ضبط الأحاسيس والمشاعر حتى يمكننا استلهام المعنى الملائم لزهرة الحب.

---

(١) عباس محمود العقاد: «مراجعات في الآداب والفنون».

وهناك من يستوحى من الزهرة معنى يخصها به وهو في حالة الحب، وهناك من يستلهم من إحساساته بها معنى في أحواله العادية.

وأعتقد أن معنى الزهرة جاء نتيجة اتفاق بين عاشقين يضفيانه عليها ، أي يتفقان على أن زهرة كذا إذا وصلت إلى أحدهما من الآخر فإنها تعني أن اللقاء سيكون بعد الغروب (مثلا) ، وفي هذه الحالة يكون معنى الزهرة العشقي معلومًا لهما فحسب، فإذا وقعت هذه الزهرة في يد شخص آخر فلا يفهم منها شيئًا، وهكذا يكون السيم بمنزلة علامة أو أمارة بين اثنين يعرف من تصل إليه منهما المقصود منها.

وهناك قاعدة أساسية في السيم هي أن زهرة كذا لو حملت معنى معينا زمنا طويلًا، وبات معروفا للناس معناها ، فإنها لا تصير سيما، ولابد في هذه الحالة أن تحمل معنى آخر ، فالسيم يجب تجديده كلما تكشفت للناس دلالاته، وكيف تكون الزهور سيما وقد صدرت كتب تتضمن أسماءها ودلالاتها على نحو ما ذكرت السيدة أليف كروتييه ، وعلى نحو ما فعل نسيب المشعلاني في كتابه «مخابرات الحب السرية».

وبعض السيم ارتبط بزهور نسجت حولها أساطير في العصور القديمة مثل النرجس والبنفسج وغيرهما ، وحملت هذه الزهور دلالات أفاد منها عشاق الأزمان التالية.

التقارب والتباعد بين الزهرة ومعناها:

وإذا استعرضنا أسماء الزهور والنباتات، وتعرفنا على دلالاتها، حسب معجم المشعلاني، نجد قليلًا من هذه النباتات توحي بالمعاني المرتبطة بها، أو تتقارب أسماؤها ودلالاتها، وبعضها الآخر مبتوت الصلة بمعانيه.

ومما يمكن تقريبه إلى العقل من دلالات الزهور «زهرة ندى الشمس» وتعنى في سيمهم «انتظرك عند الصباح»، وزهرة «ورد عرائس» وتعني في عرفهم «المحبة السعيدة»، وبين العرس والحب السعيد رابطة وثيقة، وكأن واحدًا منهما يُطمئن الآخر بقرب الزواج، وزهرة الفل رمز اللطف والظرف، والسيم هنا وصف للمحبوب، وتشبيب به، وتكريمه، وثمر الفلفل أي أحرقت قلبي، وفي هذا السيم صلة بين الفلفل الحراق، واحتراق القلب بالحب الشديد، وشجرة «الصبر» ويعني عندهم «الحزن». وفي هذا السيم ملاءمة بين الصبر والحزن؛ لأن الإنسان يصبر على مكروه أو عند نزول نائبة به، ويظل وقتًا وهو محزون أليم، وأوراق الشاي ويعنون بها: «انتظرني حتى ينام الجميع»، وهو سيم بمنزلة دعوة من أحد العاشقين بأن يشرب شايا يساعده على التيقظ والسهر حتى ينام الرقيب أو العذول، وكل من يحول دون لقائهما، ونبات

الشوك، والشوك كله عندهم رمز للصعوبة والخشونة والعنف والنفار، وكلها من المعاني الملائمة للشوك، والتنباك في سيمهم «أنسى كل همومي عند رؤياك»، والعاشق يريد القول: إن المعشوقة مثل التنباك الذي يكيّف مزاجه، ويرضي شعوره، ومعاني هذه النباتات وغيرها، يمكن إدراك مدى ملائمتها للزهور بعد تأويل بسيط، وتحقيقها لما يرمون إليه من غايات وأغراض.

وعلى هذا يمكن القول: إن قسما من سيمهم مستوحى من هذه الزهور والنباتات التي يتخاطبون بها، ولا يعني ما أوردناه من زهورهم ومعانيهم، أن شخصًا آخر لو رأى جارية أو عجوزًا أو دلّالة وهن الواسطات بين العشاق، تحمل شايا يفهم منه ما شرحناه، إنه سيم بين العاشقين يفهمه المرسل إليه، ويخفى على حامله ومشاهده. وما نود قوله: إن ما ذكرناه من زهور العشاق ومعانيها مستساغ لما بين الزهرة والدلالة من تقارب.

وهناك أزهار ونباتات أخرى ألبسوها معاني ودلالات بعيدة كل البعد عنها، إلى درجة انعدام الصلة بين الزهور وما يصاحبها من المعاني، فحسب معجم المشعلاني: الرمان معناه الحماقة، وغصن النبق يعني الجحود والنكران، والفجل يعني

«كلما بعدت عني زاد ولعي بك» ، فهل الصحيح أن يزداد ولعنا بالمحبوب أو ينقص إذا ابتعد الفجل أو اقترب؟ والسوسن يعني الهجر ، والصفصاف في سيمهم يعني الصدق ، وشجرة الخوخ تعني التعزية.

وهكذا نجد هذه الأزهار والنباتات وغيرها لا توافق المعاني التي اقترنت بها ، مما يفيد أن هناك غرابة في السيم لإخفاء ما يجول في نفوس الأحباب من أسرار وأفكار.



لغة الزهور بين الذاتية والموضوعية

وسيم الزهر كما نعتقد يعبر عن إحساس ذاتي للحب، أو لحالة فيه ، وليس عن مفهوم موضوعي بحت ، ذلك أن المحبِ يسقط على زهرة معينة معنى أثارته في نفسه، أو شعر به ، أو اتفق مع صاحبته عليه ، وقد يرى غيره في هذه الزهرة عينها شيئًا مختلفًا.

فالنرجس مثلا يمثل الاعتبار والوقار ، لا في قاموس المشعلاني فحسب، وإنما في غيره، وينسب إلى كسرى: «إني لأستحي أن أغازل من أحب بمجلس فيه النرجس» ، وربما يرجع هذا إلى حياء النرجس وعدم تبرجه كما يقول ابن لؤلؤ:

والنرجس الغض اعتراه الحيا
فغض طرفا فيه أسقام

أو كما يقول غيره:

يغض من فرط الحيا طرفه
ما أحسن الغض من النرجس

وأهم ما ذكره الشاعران ، وهناك غيرهما، أن النرجس يغض طرفه حياء، ولكن هذا إحساس شعراء دون شعراء ، فغيرهم يجردونه من غض الطرف والحياء، ويذهبون إلى أنه فتّان يزهو بفتنته ، ويتيه، ويتحدى غيره من الزهر والنبات ، وهذا ما يراه أمين الدين جوبان:

نفـش غـصن البـان أذنابـه
ومـاس عند الـصبح زهـوا وفـاح
وقـال هـل في الـروض مـثلي وقـد
تُعـزى إلى مـثلي قـدود الرمـاح
فحـدق النـرجس يزهـو بـه
وقـال حقـا. قلـت ذا أو مـزاح
بـل أنـت بـالطول تحامقـت
يـا مقصوف عمر بالـدعاوى القباح
فقـال غـصن البـان مـن تيهـه
مـا هـذه إلا عيـون وقـاح

فها هو النرجس على وقار وحياء عند قوم ، وعند غيرهم يزهو بحسنه، ويختال بجماله ، ويبرز من خدره ، ويتصدى لغيره من النباتات التي تنافسه ويشتجر معها.

معركة حول الورد والآس:

على أن تباين النظرات في الحب والحياة بين العشاق تتجلى في زهور أخرى يوظفها المحبون في إظهار رغائبهم، ونوازع عواطفهم الميالة إلى التواصل مع الأحباب، ولأن الحب عمره قصير، فلا يتحقق فيه استمتاع وافر، وقد يطول ويعمل على إشباع العاطفة بالود الزائد، فما من عاشق إلا وينشد استقرار الحب، لاستمرار السعادة، وقد تحقق هذا المعنى في أقوال الشعراء العشاق من خلال زهور قصيرة العمر كالورد، وأخرى مديدة الحياة مثل الآس. وتفاوتت نظراتهم حول هاتين الزهرتين.

فقال عبد الله بن طاهر:

أرى حبكم كالورد ليس بدائم
ولا خير فيمن لا يدوم له ود
وحبي لكم كالآس لونا ونضرة
له زهرة تبقى إذا فنى الورد

فنقض شاعر آخر هذا الشعر بقوله:

وأشبه حبّى الورد وهو نظيره
وهل زهرة إلا وسيدها الورد

وحبك كالآس المرير مذاقه
وليس له في الطيب قبل ولا بعد(١)

وإذا كان العراك بين هذين الشاعرين متعادلا حول الورد والآس، فإنه في أشعار كثيرة يخسر الورد أمام الآس بسبب قصر عمره. وهكذا ارتبط الورد في سيم معظم العشاق بقصر عمر الحب، وقلة سعادته، وارتبط الآس في لغتهم الرمزية بطول مدى العشق.

وقد تفنن أهل الهوى العرب في مجال اللحن، وقدموا الشعر

---

(١) قال شاعر ينتصر للآس ويتفاءل به

حبّى بغصن الآس من أحبته ... فرجوت منه اليأس من هجرانه
وتفاءلت روحي بأن وداده ... كالآس يبقى في اختلاف زمانه

وقال غيره في صالح الآس:

يمكث الورد برهة ثم يمض ... وإلى الآس نلتجي كل حين
إنما الآس للوصال أساس ... وهو يبقى على مر السنين

وبرهة هنا ليست لحظة، ولكنها فترة من الزمن، ومهما كان عمر الورد قصيرًا فليس هنيهة أو عدة ثوان أو دقائق.

وعاب آخر الآس لاتصال حروفه باليأس:

ما أحسن الآس في عيني وأطيبه ... لولا اتصال حروف الآس باليأس
ما ضر من كان أهدى الياس من يده ... لو كان ريحانة تغنى عن الياس

انظر في هذا سفينة الملك مصدر سابق.

الجميل الذي يليق بأحبابهم، وزينوه بالورود المعبرة عما في نفوسهم، وجاءوا عليه بالمعاني في روية، وضمنوه الكلام البليغ مع حسن تصرف، وعلو ذوق وأدب، ومن ذلك أن عاشقا قال:

لا أحب السواك من أجل أني
إن ذكرت السواك قلت سواكا
وأحب الآراك من أجل أني
إن ذكرت الأراك قلت أراكا(١)

والأراك سيم بمعنى الرؤية، وبين الأراك وأراك تورية، ومع أن السواك مأخوذ من شجز الأراك الحامض المر، فإن الشاعر فضل أن يقول الأراك من أجل صاحبته، ولا يقول السواك.

ومن هنا يمكن القول: إن المعاني المتعلقة بالزهور ليست إلا إسقاطات عشاق أو شعراء محبين، أو أناس عاديين يعبرون عن ذواتهم، وأذواقهم، وفقا لطبائع نفوسهم، وأمزجتهم، وما إطلاق المعاني على الزهور إلا لون من ألوان ممارسة الإنسان لطقوسه مع الحب والطبيعة.

---

(١) من أشعار ألف ليلة وليلة . ليلة (٢٠٥)

وهناك زهور ارتبطت بمعان ودلالات ، وجاءت الأقوال فيها متقاربة أو متشابهة مع ما أطلقه أهل الحب عليها، ومن هذه الزهور «شقائق النعمان» التي ترمز للحسن البراق في سيم العشاق. فإذا أهدى معجب إلى معجبة «شقيقا» ، فكأنه يقول لها : «محاسنك براقة»، ونجد مثيلاً لهذا السيم عند المحبين الشعراء الذين تغزلوا في شقائق النعمان، فالعلاء بن أيبك الدمشقي يقول عنها: إنها «ذات توقد..» ، وعند القاضي بدر الدين الدماميني المالكي:

سوادك يا زهرة الشقائق قد زها بحمرة أوراق يروق سناؤها[1] .

ويصفه ظافر الحداد بقوله:

وللشقائق جمر في جوانبه
بقية الفحم لم يستره باللهب

فها هي أقوال عديدة تؤكد أن الشقيق متوقد وملتهب يروق سناؤه، وكل هذا لا يخرج عن تمثيله للحسن البارق أو السناء للامع كناية عن الجمال الأخاذ.

---

(١) أبو البقاء عبد الله بن محمد البدري المصري : «نزهة الأنام في محاسن أهل الشام» ، المطبعة السلفية ١٣٤١م.

ومع أن كل هذه الأوصاف تتفق مع رمزه في السيم الذي أشرنا إليه، فإن بعض الشعراء المحبين لا يرغبون في أن يُهدي إليهم من أحبابهم، ويتشاءمون منه؛ لأن نصف اسمه «شقاء» على حد قول أحدهم:

لا يحب الشقائقا
كل من كان عاشقا
إن نصف اسمه شقا
ء إذا فهمت ناطقا

ولكن يبقى التوافق بين معنى المحبين وأوصاف الشقيق، وهو الحسن البراق.

وزهر الرمان أو الجلنار[1] كما يذكره بعض الشعراء من الزهرات الأخرى التي وافقت أوصافها المعنى الذي قصده المحبون في سيمهم، فزهرة الرمان رمز «للعيوق الكامل» في سيم الحب. ووصف الشعراء لهذه الزهرة الجميلة يداني ذلك، فأبو حنيفة الدينوري يصف نوّار الرمان الأصفر الذي يعلوه ورق أحمر مشرق بأنه أرق بشرة من الحرير، ويقول عنه ابن وكيع التنيسي: إن ضرامه بهي، ويميد في غصون خضراء،

---

(١) الجلنار لفظ فارسي.

ويحكي فصوص العقيق في قبة زبرجدية ، أما أبو فراس فقد وصفه قائلًا:

وجلنـــار مـــشرق　　عـــلى أعـــالي شـــجره
كـــأن في روءســـه　　أحمـــره وأصـــفره
قراضـــة مـــن ذهـــب　　في خـــرق معـــصفره

وهذه الأوصاف والتشبيهات تجعل من الجلنار زهرة فاتنة ترنو إليها الأبصار، كما ترنو إلى «العيوق الكامل».

وعلى هذا نجد تقاربا بين سيم بعض زهور العشاق، وأوصاف الشعراء لها، ومرد هذا إلى تناول الجانب الحسي الواقعي في النبات، فالشعراء وصفوا زهرتي الرمان والشقيق على حالتيهما في الطبيعة ، والخيالات الواردة في شعر الشعراء تترجم الواقع ولا تزيفه، فإذا استقى العشاق معاني زهورهم وسيمهم من ظاهر النبات أو خصائصه فقد أضفوا على لحنهم طابعًا موضوعيا يمكن بعد نظر وتأويل فهمه.

أما خلع المعاني على الزهور والنباتات دون أن تكون هناك أدنى علاقة بين النبات أو خصائصه، والدلالات التي تُضفى عليه، فإن هذا من قبيل التواطؤ، فشجر «المر» كيف يكون باعثا للفرح، والمسك كيف يكون ضعيفًا، وهو طِيب فواح ينشط

الجوارح وينبه الحواس؟ وكيف توحي الملوخية عدم الصبر على غياب المحبوب؟ وغصن النبق عندهم يعني الجحود والنكران، والنبق عند العرب يعني بقاء المحبة، فكل هذا تواطؤ بين المحبين.



التفاح:

وهدايا العشاق زهيدة في قيمتها المادية ، كبيرة في قيمتها المعنوية، تأتي عند المحبوب ناقلة للأحاسيس ، مثيرة للخواطر والأفكار، مهيجة للعواطف والمشاعر، مذكّرة بأوقات سعيدة مضت، ومثل هذه الهدايا لا نبحث في نفعها وملائمتها لمن يتلقاها، وإنما قطعا لها مغزى، وغرض سري، وهو ما يتواءم مع سيم الزهر والثمر.

وقد جاءت لابن المعتز العباسي تفاحة هدية فقال:

تفاحةٌ معضوضة
كانت رسولَ القبل
لو كان فيها وجنة
تَنقّبَتْ بالخَجَل

تَناولَـــتْ كَفّـــى بهـــا
ناحيـــة مـــن أهـــلى
لـــست أُرجّـــى غَـــيرَ ذا
يـــا ليـــت هـــذا دام لى[1]

وعضعضة التفاحة ، ثم إهدائها وهي معضوضة، وآثار الأسنان بادية فيها، معناها التقبيل؛ لأنه إذا همّ بأكلها وضع فمه في مكان فمها، أو ثناياه على ثناياها. لذلك فالتفاحة المعضوضة رسول القبل. وهذا سيم لائح.

وهي ليست تفاحة واحدة، فالظاهر أن ابن المعتز العباسى ألف هذا النوع من الهدايا يقول:

وآثار وصل في هواك حفظتها
تحيات ريحان وعضات تفاح[2]

والتفاح المعضوض غير قليل في شعر ابن المعتز، مما يشي بأن صاحبة معينة اعتادت على إهدائه له ، لتخطر في باله كلما رأى التفاح حتى وإن لم ترسله له أو يدل على سيم محدد يعرفه كلاهما.. يقول:

---

(١) ابن المعتز، ديوانه ص ٣١١ . ط دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت . د. ت.

(٢) المصدر السابق ص (٣)

جـــاءَ الرّســـولُ مبـــشراً بزيـــارةٍ
مـن بعـد طـول تهجّـر ، وتغـضّـب
وبكفـــه تفاحـــةٌ قـــد مُـــسّكت
أثـــار عَــضّتها ، كقرنــى عَقــرب

وقد يكون المغزى من إهداء تفاحة تأكيد المحبة، وتوثيق المودة، والحيلولة دون الهجر والصد، وتلطيف الجو على نحو ما يقول شاعر:

أعطـــت يـــداه محبـــة تفاحـــه
تعطـي المحـب آمانـة مـن صـده

والتفاح المعضوض «رسول القبل» كثير في الشعر العربي، وقد أكثر الشعراء من قولهم: «تفاحة من تفاحة» ، والتفاحة الأولى هي الثمرة ، والتفاحة الثانية هي المرأة، وهي رسالة سرية، وربما حاملها ، إلى من يعنيه أمرها، لا يلحظ أثر العض. أو غرس الثنايا في قشرتها. لذلك يعدها العشاق «كتومة» لأدق الأسرار، وفي كتاب «الموشّي» كلام مفاده أن شاعرًا عاشقًا كتب على تفاحة:

إذا مـــا مُرسِـــل نـــ ـــم فـــما آنـــت نمومـــة

أنـــت ريحانـــة قلبـــي ثـــم للـــسّر كتومـــة[1]

وسـيم التفاحـة واضـح وطبيعـي، وأقـرب إلى الواقـع، ولا خلاف عليه، كما أن العاشق يتبلغ ببعض الحب العملي؛ لأن التفاحة المعضوضة فيها اكتراث بالحب، وتدفع إلى القرب والعطف أكثر من أية وسيلة أخرى، فالسيم الآخر لا يزيد على كونه مراسلات كلامية، وإشارات عين، وتحريك حواجب. وعلى أية حال فإن التفاح في سيم الحب هو الإغراء والغواية.

وإذا كان الواقع في سيم التفاح لائح، فإن التفسير الذاتي لسيم البنفسج هو الحاصل، يقول شاعر:

أهـــدت إليـــه بنفـــسجا يـــسليه
تنبيـــــه أن بنفـــــسها تفديـــــه
فارتـــاح بعـــد صـــبابة وكآبـــة
ورجـــا لحـــسن الظـــن أن تدنيـــه

وسـيم زهـرة البنفـسج هنـا هـو فـداء الحبيـب. وفي معجـم المـشعلاني «إنهـا رسـول الـيمن والإقبـال، والبـشير بتحقيـق الآمـال»، وهـذا وذاك لا يمثـل الواقـع في شيء، فـلا هـي تمثـل الفداء، ولا هي بشرى بتحقيق السعد، ولكن هذا قد يكون من

(١) أبو الطيب بن يحيى الوشاء: «الموشي أو الظرف والظرفاء».

باب حسن الظن كما قال الشاعر، لا من باب الموضوعية وتمثيل الحقيقة، ولا نعيب على العاشقين الإغراب والغموض في سيمهم، فإن السيم ليس من وظائفه ، أو من غاياته تمثيل الواقع، أو يأخذ دلالاته منه ، وليس في أصله أن يكون واضحًا، وإنما موضوع للتعمية والتمويه على غير المقصودين بالخطاب، ويكفي البنفسج ما قيل عنه من أنه مجرد رمز لسر يعرفه حبيبان.



التشاؤم والتفاؤل:

ويدخل في معاني الزهر والثمر والنبات، أحوال العشاق النفسية، وأمزجتهم الشخصية، فإننا نراهم يتطيرون من أزهار وثمار، ويتفاءلون بغيرها ، دون سبب حقيقي، أو سند واقعي، يبرر قولهم ، أو يفسر فعلهم.

ومعظم العشاق متطيرون يتوقعون الفرقة والبين، متوترون كثيرو التوجس والوهم ، لا يأمنون الحاضر، ويخشون المستقبل، وكل هذا له تأثير في تقبلهم للزهر أو النبات الذي يهدى إليهم ، ويعبر عن أحوالهم وتطلعاتهم.

ومن سوء حظ العشاق أن أسماء بعض الأزهار والنباتات العربية ساعدتهم على تفسيرها تفسيرًا يتجاوب مع التشاؤم واليأس، ويشعرهم بخيبة الرجاء، وجفاء الحياة، وكأنهم مستهدفون من قبل القضاء.

وللأستاذ أحمد أمين مقالة عن لغة الأزهار والثمار ذكر فيها أنه كان للظرفاء والمحبين المقيمين لغة متعارفة تدل على الهجر والوصل ، والتفاؤل والتشاؤم ، ووضح أنهم كرهوا التهادي بالسفرجل لأن أوله سفر قال الشاعر:

أهدت إليه سفرجلا فتطيّرا
منه وظل متيما مستعبرا
خاف الفراق لأن أول اسمه
سفر فحق له بأن يَتَطيّرا

وكرهوا التهادي بالذهب حتى لا يعترى العشق ذهاب، وكرهوا التهادي بالسوسن لأن أول اسمه سوء، والياسمين لأن أول اسمه يأس، والخلاف لدلالته على الخلاف، والبان لدلالته على البين وهكذا.

ويقول أحمد أمين: «ويتفاءلون بالتهادي بالعود لأن في اسمه معنى العودة ، وبالنبق كما قال الشاعر:

أيــــا أحــــسننا خلقــــا
ومـــن فــات الــورى سـبقا
تفاءلـــــت بـــأن نبقـــى
فأهــــديت لنـــا النبقـــا
فأبقـــاك إلــــه النّــــا
س مــــا سرك أن نبقـــى

وكرهوا التهادي بالأترج ؛ لأن ظاهره غير باطنه ، فهو حسن الظاهر، حامض الباطن ، طيب الرائحة مختلف الطعم. قال الشاعر:

أهـــدى لــه أحبابــه أترجــه
فبكـى وأشـفق مـن عيافـة زاجـر
خــاف التلــون إذا أتتـه لأنهــا
لونـان باطنهـا خـلاف الظـاهر(١)

وكل هذا الكلام ليس له أساس صحيح، ولا صلة له بالواقع أو بخصائص الزهر والثمر، وإنما النباتات التي في أسمائها بقاء مثل النبق ، أو عوْد مثل العود، أو طول عمر مثل الآس يتمسك بها العشاق المعاميد، ويتراسلون بها من باب

(١) أحمد أمين . مجلة الثقافة ٣٠/ ٩/ ١٩٤١ ومعظم مواد المقالة مقتبسة من كتاب «الموشّى» للوشاء دون إشارة إليه.

الاستبشار والتفاؤل ، ويجدون في ذلك تقوية لقلوبهم، وتهدئة لأشجانهم، وإنعاشًا لآمالهم، ولكن هذا لا ينهض على قاعدة منطقية، ولا يقنع العقل اليقظ، ولا يقاوم الحياة الموّاجة المتضاربة ، فقد يقع البين بالرغم من إهداء «النبق»، ويهجر المحبوب بعد تقديم «العود» إليه من المحب.

ولعل الجناس بين العود وهو ساق النبات، والعوْد وهو الرجوع، وبين تفاؤل العاشق «بأن نبقى» لما «أهدت له النبق» قام بدور في هذا التفاؤل وهذا السيم.

ولعل سبب تشاؤم وتفاؤل المحب هو رهافة شعوره، وخوفه من الآتي، فالعاشق يشعر وهو يمارس الحب أنه موجود وكائن حي يرغب ويرفض، أما إذا انقضى الحب فإنه يدخل في الغسق، ويتسلل إليه اليأس، والشك في قيمة الحياة، ويشعر بخيبة الرجاء والإحباط ، ويعاني من الوحدة والوحشة، أو بإيجاز يحس بأنه غير موجود، لذلك يود أن يكون متفائلًا، ويُقبِل على ما يجدد رغبته في الحياة السعيدة، ويرفض ما يعرض وجوده للخطر.

وهذا الحديث العقلي لا يحول دون استخدام العشاق لسيمهم، ولا يحد من تفاؤلهم. وكل ما يمكن قوله: إن المزاج الشخصي يتدخل في صياغة السيم العاطفي.

ويجب على العاشق أو غير العاشق، أن يعرف، أنه مهما تلقى من هدايا مُعمرّة، أو قصيرة الأجل، ومهما مر بتجارب، وكر وفر، فإنه لن يلقى في حياته إلا قَدَرَه، وما التفاؤل والتشاؤم، إلا هواجس تنبعث فينا، وتلوّن أمزجتنا، وتميل بنا ناحية السواد الحالك، أو ناحية البياض الزاهر.



معجم في سيم الزهور والنباتات

وإذا كانت بعض الكتب ودواوين الشعر العربية قد أوردت نتفا قليلة، وأشعارًا متفرقة تنطوي على ملاحن لعشاق في مجال الزهر والنبات، فإن جهدًا كبيرًا نهض به نسيب المشعلاني، ويعد علامة بارزة في ميدان لغة الزهور، إذا وضع معجما جمع فيه ملاحن مئات الزهور والنباتات، ورتبه على حروف الهجاء، ودعاه: «مخابرات الحب السرية ورسائل المملكة النباتية» ونشره عام ١٨٩٧ في بيروت، وقدم له بدراسة تناولت عددًا من الأزهار مع إيضاح أسباب تسميتها، وذكر ما دار حولها من أساطير وحكايات، وحلاّه بشعر رقيق يدور حول الحب والزهور.

وتشعر من خلال هذا المعجم أن الحب انتقل من التعبير بالنظرة والابتسامة والكلمة إلى التعبير بالزهرة والثمرة والنبات، فهذه الأشياء صارت بمنزلة معاني الحب وأحواله ودرجاته، بل يمكن إدراك نمو العلاقات العاطفية وانتكاستها، أو ما يسمى في لغة العشق بالهجر والسلو من خلال حوار العاشقين بلغة الزهور.

ومن مزايا هذا المعجم الفريد إظهار المعاني بكلام موجز قليل، فقد يكون المعنى كلمة واحدة ، أو كلمتين مترادفتين، أو جملة قصيرة مفيدة ، وهذا المعنى المكون من كلمة أو أكثر، له إيحاء ووقع في العواطف ، وقدرة على تحريك المشاعر، وما أود قوله أن مدلول زهرة ينبه نفس القارئ إلى ذكرى ، حتى وإن لم يكن قد أهدى إلى من أحب زهرة من نفس النوع.

وقد يكون صاحب المعجم أفاد من تراث الحب العربي في وضع دلالات الزهور ، ولكن الأرجح أنه أفاد إفادة أوسع من تراث العشاق في الآداب الأخرى وبخاصة الأوربية ، لأن أدباءنا وعشاقنا لم يستخدموا كل هذه الزهور والنباتات، ووضعوا لها كل هذه المعاني، وإنه مهما يكن من أمر فإننا لا نعثر على مثيل هذا الذي قدمه المشعلاني في تراث العشق العربي.

بل إن هناك فارقًا في دلالات الزهور والثمار في تراث الحب العربي والتراث الأوربي أو التراث الذي نقل عنه المشعلاني، فالسوسن عند العرب دلالته السوء . وفيه يقول شاعر:

يا ذا الذي أهدى لنا سوسنا   ما كنت في إهدائه محسنا
أوله سوء، فقد ساءني   يا ليت أني لم أر السوسنا

أما عند الإفرنج فإنه يعني الحوار والوصال، فإذا أرسل محب

لمحبوبه سوسنا فإنه يعني أن يحرر له رسالة. ويتطير العشاق العرب من زهر الياسمين لأن في اسمه يأس، يقول شاعر:

أهدى حبيبي ياسمينا فبى من شرة الطيرة وسواس
أراد أن يوئس من وصله إذا كان في شطر اسمه اليأس

أما عند من نقل عنهم المشعلاني فيدل الياسمين على اللطف والأنس، والرمان عند العرب ينبئ بقرب الوصال واللقاء، يقول شاعر:

أهدت إليه بظرفها رمانا تنبيه أن وصالها قد أنا
قال الفتى لما رأه تفولا وصل يكون متمما أحيانا
رمّ يرم تشعثي بوصالها لقد التفول صادقا قد كانا

والتفول هو التفاؤل، والرمان في معجم المشعلاني يعنى الحماقة في الحب، وهو غير زهر الرمان أو الجلنار الذي أشرنا إليه، وهكذا تتباين معاني الزهور والثمار بين بيئة وبيئة ، وهناك دلالات لزهور وثمار ونباتات يتلاقى عندها العرب وغيرهم ممن نقل عنهم المشعلاني، مثل الورد رمز الحب حتى الموت، وإن كان بعض العرب يتطيرون منه لقصر عمره والريحان مكروه عند العرب وعند غيرهم ، فهو في معجم المشعلاني يعني البغض، وعند العشاق العرب رمز لهتك الأسرار لذلك يتطيرون منه ويسمونه «النمام» يقول شاعر:

حييتهــا بتحيــة في مجلــس بقــضيب نــمام مــن الريحــان
فتطيرت منه، وقالت: أقـصه لا تقـربن مـضيع الكـتمان[1]

وهنـاك ثـمار وأزهـار أخـرى تتقـارب معانيهـا عنـد العـرب وغيرهـم.. والسيم كما ذهبنا تواطؤ ومواضعة.

وثمة نباتات أخرى استخدمها العشاق العـرب، وعينـوا لها معاني، ووردت في أشـعار، ولا وجـود لها في معجـم المشعلاني مثل الخلاف والبان والشاهلوج وغيرهم ، وهـذا راجـع إمـا إلى قصور في هذا المعجم ، وإما إلى عدم وجـود مثـل هـذه النباتـات في السيم الأوربي.

ولكن إذا كنا قد انتقدناه ، فإنه يجب الإشارة إلى عمل آخر له جعل فيه «لكل زهرة معنى والحوادث التي أوجبـت ذلـك» كـما ألمح في المقدمة . ولعله استوفى في الكتاب الثاني ما فاتـه في كتابـه هذا . بيد أننا لا ندري إن كان العمـل الأخـير قـد رأى النـور أم طواه النسيان.

وقـد مهـد المشعلاني لفـصول كتابـه ، وعقـب عليهـا بـبعض المقطعات الشعرية الرقيقة ، وكلها في وصـف الـثمار والأزهـار،

(١) الموشي مصدر سابق.

وذكر حسنها ومعانيها، أو في تصوير الزهور الغياري[1] من بعضها البعض، أو في الحديث عن دورها في العشق.

وكل ما أورده من شعر مناسب لموضوعه وعلى وجه الخصوص تلك المقطعات التي تناولت إهداء المحب لمحبوبه الزهور والثمار، وما انطوى عليه ذلك من معنى قريب أو بعيد من مثله:

ومهد إلينا لوزة قد تضمنت　　لمبصرها قلبين فيهما تلاصقا
كأنهما حبان فازا بخلوة　　على رقبة في مجلس فتعانقا

ونواة اللوزة فيها فصان، ولقد تراءى للشاعر أن الحبيبة ترمز بالفصين المتلاصقين إلى قلبين متعانقين هما قلبها وقلب عشيقها، وهذا من أفانين المحبين.

وثمة مقطعة أخرى فيها ربط وثيق بين تلوين الزهر وأحوال أهل الهوى، فقد جاء عن النيلوفر:

رأيت في البركة نيلوفرا　　فقلت ما شأنك وسط البرك
فقال لي: غرقت في أدمعي　　وصادني ظبي الفلا بالشرك

(١) أي الزهرة التي تغار من أخرى، وقد ذكر المشعلاني في أشعاره أن النرجس أصغر غيرة من الورد، والورد الذي يحنق على العرعر.

فقلت : ما بال اصفرار بدا فيك وما هذا الذي غيرك
فقال لي: ألوان أهل الهوى صفر ولو ذقت الهوى صفرك

والنيلوفر نبات متعدد الألوان منه الأصفر والأزرق والأحمر، وينبت في البرك والجداول، وعلى شواطئ الأنهار، والشاعر هنا يعلل لون النيلوفر الأصفر، ويذهب إلى أن هذا النبات أدركه العشق ، فاصفر لونه ، مثل بقية أهل الهوى، وهو تعليل خيالي عاطفي، والشاعر لا يحاسب حسابا منطقيا عمليا صارما على أقواله.

والأشعار الأخرى الواردة في كتاب «مخابرات الحب السرية» تشكل حديقة ساحرة تتماوج فيها الزهور المختلفة الألوان والأوصاف ، وبين هذه الأزهار أودع المحبون المتيمون أسرارهم.

صدر كتاب «مخابرات الحب السرية» عام ١٨٩٧ كما أسلفنا القول، وعقب صدوره كتب جرجي زيدان كلمة عنه يقول فيها:

«هو كتاب في لغة الأزهار جمعه حضرة الشاب الأديب نسيب أفندي المشعلاني ذكر في أوله كلاما عامًا في الزهور ومعانيها ورموزها ، والسر في دلالاتها على ما يدلون عليه بها،

ثم جاء بأسماء الأزهار مرتبة على الأبجدية[(١)] ، ولا يقل عددها عن ١٣٠٠ زهرة وبإزاء كل منها المعنى المراد بها ، ولا يقتصر ذلك على الأزهار ، بل يتناول الثمار وسائر أصناف النبات، ومن أمثلة ذلك دلالة الفل على اللطف والفستق على حفظ السر أي أنك إذا قدمت فستقا إلى أحد فكأنك تقول له: «أنا أحفظ السر» ، وكدلالة القرنفل على الجسارة ، والقمح على الغنى، وزهر اللوز على الرجاء ، والورد على المحبة ، والهليون على التعزية وقت الضيق ، والنارنج على الجمال مع رداءة الأصل، فإذا قدمت نارنجة إلى أحد ، فكأنك تقول له: أنت طيب، لكن أصلك رديء ، وقس على ذلك.. «والكتاب متقن الطبع يباع في مكتبة الهلال ، وثمن النسخة خمسة قروش صاغ وأجرة البوسطة عشرون بارة»[(٢)] .

وأشار لطفى جمعة في كتابه «مباحث في الفلكلور» إلى كتاب «مخابرات الحب السرية» واسم مؤلفه دون أية تعليقات عليه.

لذلك أعتقد أن هذا الكتاب لم يأخذ نصيبه من الشهرة في مصر ، بدليل أن أحمد أمين حبذ في مقاله السالف الذكر أن

(١) الصحيح أنه رتب ترتيبا ألف بائيا.

(٢) مجلة الهلال مايو ١٨٩٨م.

يبحث أحد الباحثين عن لغة الزهور والثمار عند الأوربيين، ولو أنه اطلع على كتاب المشعلاني، ما كان كتب مقولته، أو كان ذكر كتابه وعلق عليه.

وليست لدينا ترجمة وافية أو شبه وافية عن نسيب منصور المشعلاني، وقد رجعنا إلى عدة موسوعات عن الإعلام، ولم نجد سيرة له، وكل ما نعرفه عنه أنه كاتب وشاعر ومترجم، نقل عن أرثر كونن دويل شارلوك هولمز، وترجم كتاب «محمد علي» الذي وضعه موهلباخ، وكان مديرًا لتحرير جريدة الأخبار القديمة التي أصدرها يوسف الخازن وعبد الحميد حمدي منذ أواخر القرن التاسع عشر، وأصدر في الفترة من عام ١٩٢٥م إلى ١٩٢٨م مجلة «السلوى»، وكان المشعلاني قد دون في آخر كتابه هذا:

كتبته بيدي والعقل يشهد لي أني سأتركه يوما وأرتحل

ولا شك أنه رحل عن عالمنا، ولكن لا ندري متى!!

رحمه الله.



وبعد نحو عشرين عامًا من صدور كتاب المشعلاني، ألفينا شاعرًا يدعى أمين حمدي من بور سعيد، يتمهر في صياغة سيم

لعدد من الزهور ، ويحمل كل زهرة من الزهور التي اختارها المعنى الذي يروق له ، أو الذي رأى أنه يناسبها ، ونشر قصيدة بمجلة الهلال تحت عنوان : «لحن الزهور» يقول فيها: .

يا أيدي الرواد أن تجهلي ... لغات هذا الزهر لا تقطفي
سلي هزار الروض عن سرها ... وسائلي العشاق واستكشفي
شقائق النعمان سقم سرى ... في جسم معمود الهوى مدنف
والآس:إقرار الفتى بالجوى ... كأنها يصبو إلى مسعف
والزئبق الأحمر في طيه ... قول صريع الوجد يا متلفي
والسوسن الأصفر يا شعلة ... في القلب تهدي كل سر خفي
وأحمر البلسم صبر مضى ... فيا ظباء القاع هيا اعطفي
والورد: أهواك لا تنسنى ... وإن منحت العهد لا تخلفي
لا تنسني: لا تنسني واحفظي ... عهود هذا الحب أن تنصفي
وزهرة النبق: تركت الهوى ... لما زماني بالقلى مجحفي
وزهرت النسرين: عود إلى ... مجاني الحب بقلب وفي
والسرو: حزن وحداد فيا ... ريح غصون البان لا تقصفي
هذي فصول من كتاب الهوى ... ملائك الحب ألا صنفي (١)

وقد تتفق بعض دلالات الزهور في هذه القصيدة مع ما هو مشاع عنها، وقد تختلف ، ومرد ذلك إلى أن الشاعر له رؤيته الذاتية ، والسيم مرجعه إلى المواضعة والاصطلاح.



(١) مجلة الهلال فبراير ١٩١٦ .

إشارات العيون

أدت العين أكبر أدوار العشق في حياة الإنسان العاطفية، لا من حيث جمالها وسحرها فحسب ، وإنما من حيث التفاهم والتخاطب والحوار وتوصيل المشاعر والأحاسيس إلى الآخر، وتبليغ المراد لمن تهواه.

ونظرات العيون لها دلالات أكثر من أن تحصى، فهي تعبر عن الحب، ولواعج الشوق، وتعرب عن الرضا والسخط، وتستفسر وتستفهم، وتظهر الطمأنينة والارتياب، وتعاند وتعتذر، وتحنو وتظهر القسوة، وعلى هذا فالنظرة مظهر للنفس، وتعبير عما يعتمل فيها، ومن يتفهم نظرات العين، يهتدي إلى كثير من أسرار القلب، ذلك أن ما يموج في عالم الفؤاد يتجلى في العين.

وإذا التقى رجل وامرأة وهما في عمر الحب، فلا يتأثر الأول بنظرات الثانية فحسب، وإنما قد تتأثر هي، وتشاغل الرجل، وتوقظ ما غفا من مشاعره وتستغرقه نظراتها، أما هي فقد تنتبه

أنوثتها، وتتقد من طول شخوص الرجل إليها ، وتنقّل عينيه في محاسنها، فتشب عواطفها من هذا الوافد الجديد الذي داخل حياتها، وأفاض عليها سعادة غامضة، فإذا كانا في مجلس يضم أناسا آخرين ، فإن هذا لا يحول دون توصيل كل منهما وداده للآخر بإشارات العيون، ومن هذا ما عبر عنه الشاعر قائلًا:

يلاحظها طرفي فتومي بطرفها
وتخبر عما في الضمير من الود
فإن فطن الواشون صدت وأعرضت
وإن غفلوا قالت نزال عن الود(١)

فالمرأة هنا ترقب الناس الواشين بعين، وترقب محبها بعين، عين هنا، وعين هناك، وترسل وتستقبل، تنفصل عن الناس في وقت ، وتتصل بمن تهواه عندما يسنح وقت آخر، وتنقل إليه ما تضمره نفسها ، وتكشف له عما خالجها من مسرات ، مع قدرة خارقة على تخليص نفسها من النظرة العادية ، إلى النظرة الخاصة المفعمة بالغزل.

---

(١) نسب أبو بكر الصولي البيتين إلى حمدان بن عبد الحميد اللاحقي في كتابه «كتاب الأوراق قسم أخبار الشعراء ، وورد البيتان هكذا في الأصل.

وهكذا تزيل المراسلة بالعين العائقَ المتمثل في وجود أناس، إلى جانب ما تتميز به من السرعة، سرعة اللمحة التي تستغرق زمن اللحظة، زمن البرق الخاطف، وبعد أن كان المحب يعرف الحالة النفسية لمحبوبه من رسول أو وسيط، قد يزيف أو يزخرف، فإنه أصبح يكوّن أفكارًا عن صاحبه من النظرات المباشرة المتتابعة التي تلقاها منه، وصار يعرف بنفسه الحقيقة الظاهرة، في العين الناطقة، أو كما قال الشاعر أبو الحسين الجزار:

طرف المحب فم يذاع به الجوى
والدمع إن صمت اللسان لسان(١)

وليس المهم هنا في هذا البيت أن العين تترقرق فيها الدموع، أو تلمع بالسرور، وإنما المهم أن الطرف هو لسان الفؤاد الناطق.

وقد تُصوّب العين إشاراتها العاجلة، وومضاتها الخاطفة في العين الأخرى التي تتلقى الإشارات، وتعرف المراد، بل تجيد المعرفة حتى يستبين لها الأمر، وكأن العين المتلقية تمهرت في

(١) ورد هذا البيت في كتاب «المُغرب في حُلى المغرب» القسم الخاص بمصر لابن سعيد المغربي.

قراءة ما كتبته العين المرسلة ، وتبينت خافي السر، وفي هذا يقول الشاعر:

كم عاشقٍ حدّث بأجفَانِه
معشوقه بالذي أضمرا
أوحى إليه لحظه بالعين
إني عَلمتُ الذي قد جرى
فما أحسن اللحظ في وجهه
وما أرشق الطرفُ إذ عبرا
فهذا بأجفانه كاتب
وذاك بمقْلتِهِ قد قرا(1)



(١) حكاية القرندلي الثاني – ألف ليلة.

أسباب التخاطب بالعين:

ويعرف العاشقون دور العين في العشق منذ مناشئه إلى خواتيمه، وقدرتها على سبر الأعماق، وتوضيل المراد، والتعبير عن المشاعر المزدحمة في الصدور، فلجؤوا إليها ليفلتوا من الرقباء والوشاة، وتخاطبوا بها، وبخاصة إذا كان الحبيبان وسط جمع من الناس، ومما ينسب إلى مجنون ليلى:

إذا خفنا من الرقباء عينا
تكلمت العيون عن القلوب

ومما قالته عُليّة بنت المهدي وكانت عاشقة:

تكاتبنا برمز في الحضور
وإيحاء يلوح بلا سطور
سوى مقل تخبر ما عناها
بكف الوهم فى ورق الصدور(١)

وقالت عُليّة أيضًا:

صحائفنا إشارتنا
وآكثر رسلنا الحدق

(١) نقلا عن كتاب «الأوراق – قسم أولاد الخلفاء» لأبي بكر الصولي.

لأن الكتـــب قـــد تقـــرا
ولـــيس برســـلنا نثـــق[1]

وليست هناك أسباب أوجه من الأسباب التي أوضحتها عُليّة في تعليل التراسل بإشارات العين الرامزة الموحية ، ولا شك أن عين العاشق وسط جموع الناس وهي تشع وتنطفئ، وتتكلم وتنصت ، وتتحرك يُمنة ويُسرة تحت جفن يهتز ويسكن، ويعلو ويتراخى، لابد أن تقول شيئًا يود الآخر أن يعرفه، وحسبهم من إشارات العين التي خلصتهم من الوسطاء، وملأت أوقاتهم، وجددت حواراتهم الصادقة، وجعلت الواحد منهم يغيب في صاحبه وهما بين الناس.



حرب العيون:

وعين المرأة التي تغازل الرجل، وتظهر له البشاشة، وتستميله، قادرة أيضا على وقفه عند حد معين، وصده بنظرات حادة صارمة ، يفهم منها عدم التمادي والاسترسال. يقول صلاح خليل بن أيبك الصفدي:

---

(١) نقلا عن كتاب : «أشعار النساء» للإمام السيوطي.

حمــى ثغــره عنــي بــسيف لحاظــه
وحتــام يحمــي ريقــه وهــو بــارد

والمـرأة الجميلـة الآسرة الحـصان ، ليـست صـيدًا سـهلًا لمـن تروقـه، فـإذا حـاول، دافعـت عنهـا ألحاظهـا وجفونهـا ، بـالنظر شذرًا، وبالجفن منقلبا ، ويقول ابن سليمان الإربلي:

وآســمر يحكــى الــسمهريّ قوامُــه
يطــاعن عنــه لحظــه وغمــودُه[1]

ولا تقاوم الألحاظ من يتحرش بها على غير رضاها فحسب، وإنما تحذر محبها من فعل شيء عواقبه غير مأمونة، وتنهاه عن إتمامه، والتحذير إيقاف مجرى سلوك، وتعبير عن قلب متفرق عاثت فيه الهواجس، تقول عائشة تيمور:

بــالجفن ســقم ، وبالأهــداب إيــماء
وفي اللــواحظ تحــذير وإغــراء[2]

والسيدة عائشة وهي تذكر أدوار العين لا يفوتها التنبيه على التحذير ؛ لأنه شديد الالتصاق بالحب المختلس.

---

(١) ابن سعيد المغربي «المقتطف من أزاهر الطرف».

(٢) عائشة التيمورية : ديوانها.

والحب قد يعتريه ذبول واصفرار، ويخبو شعاعه، وتتساقط أوراقه النضر، والمحب لا يحركه إلى محبوبه ما كان يحركه، من عذوبة وسحر ورقة ومناجاة، ويلجمه الصمت، فلا ينشد، ويداخله النسيان، فإذا نظرت المحبوبة إلى محبها، فكأنها نظرت بقايا أطلال وأظهرت الملال. يقول جلال الدين بن خطيب داريا:

شـــهدت جفـــون معـــذبي بملالـــه

منـــــــي وأن وداده تكليـــــــف

لكننـــــي لم أنـــــأ عنـــــه لأنـــــه

خـــبر رواه الجفـــن وهـــو ضـــعيف(١)

وكما تتعمد العين بث الهوى، فإنها تتعمد أحيانًا عدم بثه، ربما لرد اعتبار، أي أن أحدهما أهمل الآخر ولم يصله بنظرات الحب، فتعمد الآخر عدم إعارته اهتمامه ليخلي نفسه من هموم ألمت به، أو ربما يكون ذلك تقاة لرقباء كاشحين ينصبون لهما، للإيقاع بهما، أو ربما لأسباب أخرى. ولكن انظر إلى قدرة العين على إخلاء نظرتها من أي حب وهي تنظر إلى محبوبها.

(١) نقلا عن كتاب «تزيين الأسواق»، مصدر سابق.

وكان بين فضل الشاعرة، وبين الشاعر سعيد بن حميد وداد ومراسلات، فزارها يومًا وبصحبته «بنان»، وكانت تعرفه جيدًا، فأولت «بنان» رعايتها وأهملت «سعيد»، فغضب نتيجة ذلك، فكتبت تسترضيه وتبين أنها أبدت مودتها إلى «بنان» خشية القيل والقال، وأظهرت أنه في الحقيقة تخلو له «بالبث والوجد»، فكتب إليها:

تنامين عن ليلي وأسهره وحدي
وأنهى جفوني أن تبثك ما عندي
فإن كنت لا تدرين ما قد فعلته
بنا فانظري ماذا على قاتل العمد(١)

وما يعنينا أن العين تستطيع إخفاء هواها عمن تهواه، وتسبب له الهواجس، وتطفئ شعلاته المتقدة، وتلجئه إلى شرح حالته، والتراجع والاعتذار، وإن كان منطق فضل الشاعرة لائحًا مقبولًا.

وتواعد المحبين للقاء بعضهما البعض، مما هو مهم في تطوير العلاقة، وبث الشوق، وتغيير إيقاع الحياة، والبوح بما يستكشفه العاشق في نفسه زمن الغياب، وينقله إلى الآخر،

---

(١) الأغاني.

وإظهار اللهفة واللوعة والحنين ، وما إلى ذلك. ولابد للّقاء البهيج من تمهيد وترتيب.

وهناك من العشاق ، كما ذكرنا سلفا ، من يرتاب في الرسل، ويخشى تسرب نبأ الاجتماع السري المرتقب. وقد تسنح الفرصة لعاشقين في حضور جمع من الناس، فتتعامل العيون، وتتداخل النظرات، وقبل أن تنفضّ الجلسة، يكون العاشقان قد تواعدا. وهذا هو ابن المعتز العباسي يتمهر في الحصول على مواعيد بالنظر، دون أن تعترضه عقبة في فهم الألحاظ الواعدة، يقول:

لاحظته بالهوى حتى استقاد له
طوعا وأسلفني الميعاد بالنظر
وجاء في قميص الليل مستترا
يستعجل الخَطوَ من خوف ومن حذر(١)

ويقول أيضًا:

مازال ينجزني مواعد عينه
فمه وأحسب ريقه من خمرة(٢)

---

(١) ابن المعتز «ديوانه».

(٢) ابن المعتز «ديوانه».

ويقول كذلك:

وجاوب اللحظ منه لحظ عاشقه
وجرر الوعد بين اليأس والطمع(١)

وكل هذه الإشارات التي ذكرناها، الغرض منها سرية الحب، وعزلة المحبين عن الناس، حتى وإن كانوا في وسطهم، وأسباب ذلك وجيهة وكثيرة ، منها مداراة الحب المختلس. ويلاحظ أن كل عاشق يأخذ بيد صاحبه لأنه يحبه، ولأن التعرف على عشقه يفضح الاثنين، فهما على قدر سعادتهما روحان معذبان، ولا ريب أن المحبة شاقة ومكلفة ، لما فيها من أشواق كاوية، ووساوس وأوجال، لذلك فقول محمود بيرم التونسي أن العاشق أو المعشوق إذا عشق لا يخشى رقيبًا غريب وغير واقعي يقول:

قوللي ولا تخبيش يا زين
إش تقول العين للعين
لما العين تشوف حبيب
تقول ولا تخشاش رقيب
بعيد وصالك ولا قريب

(١) نقلا عن : «كتاب الأوراق – قسم أشعار أولاد الخلفاء» لأبي بكر الصول.

ويـــوم الوعـــدة نـــشوفك فـــين
هـــادا والله كـــلام العـــين
والله كـــلام العـــين للعـــين

وهناك إشارات كثيرة أخرى ضربنا عنها صفحا لأن ما أوردناه يمثلها.

تفسير الإشارات:

ولو راجعنا مختلف الإيماءات والإشارات، لألفينا معانيها ودلالاتها تحقق مطالب الحب، وتفسر بعضا من طقوسه، ولا شك في صدق إشارات العين؛ لأنها صورة من النفس، والمرء يستطيع أن يختار الكلام الذي يقوله حتى ولو كان كذبًا منسقًا، ولكنه لا يختار الأحاسيس التي تبديها عينه.

ولا أدري كيف نفهم إشارات العين؟ فهل هذا راجع إلى ذكاء فينا؟ أو إلى وضوح دلالة الإشارة؟ لا شك في أن الإشارة بالرغم من عمقها وغموضها واضحة الدلالة للشخص الموجهة إليه، ولكن ليس معنى هذا أن شخصًا آخر لو شاهدها يدرك المعنى المراد، فإن غاية ما يعرفه أن فلانا نظر إلى فلانة أو العكس، دون أن يفطن إلى شيء، وهذا أساس اللحن، وهو أن يتخاطب شخصان بكلام لا يفهمه من حولهما. نضيف إلى ذلك أن إشارات العين رسائل برقية قلما يلحظها أحد.

والعاشق الحساس الذي ألف النظر إلى عين صاحبته، وتفهم أسرارها لما بينه وبينها من عواطف ومواقف، يستقبل الإشارات ويترجمها فورًا ثم يقوم بإرسال الرد عليها حالا، فيتفق المحبان على شيء دون أن يلاحظ ذلك جليس بينهما، أو رقيب يتابعهما.

ومما يجب التهدي إليه أن بين الصاحبين موضوعات يتناقشان فيها، إضافة إلى أن كلا منهما يعرف ما يشغل بال الآخر، وفي الغالب تكون الإشارات متعلقة بهذا، حسب التدرج الزمني، فإشارات العين في أول العلاقة غيرها بعد تطور العلائق.

وقد نجتهد في هذا الأمر ونصيب، ولكن الإصابة قاصرة، وترد في حدود ضيقة، إلا إذا أفصح أحدهما عما طواه في قلبه، على نحو ما ذكرنا في الأبيات السابقة.

والإشارات الصادرة عن الألحاظ قد تكون خاطفة أو متأنية، مفهومة معلومة أو تحتاج إلى تكرير، كافية وافية أو لابد من أن تسندها إيماءة وغمزة عين، حادة أو فاترة، هذا مع توسيع الأحداق وتضييقها، وإسدال الأجفان والأهداب أو رفعها، والنظر بالمواجهة أو بدحرجة بؤبؤ العين، وغير ذلك حسبما يحتاج إليه التعبير.

وفي كتاب «طوق الحمامة في الألفة والألاف» تفسير إشارات العين منها.

«فالإشارة بمؤخرة العين الواحدة نهي عن الأمر، وتفتيرها إعلام بالقبول، وإدامة نظرها دليل على التوجع والأسف، وكسر نظرها آية الفرح. والإشارة إلى إطباقها دليل على التهديد، وقلب الحدقة إلى جهة ما ثم صرفها بسرعة تنبيه على مشار إليه، والإشارة الخفية بمؤخرة العينين كلتيهما سؤال، وقلب الحدقة من وسط العين إلى الموق بسرعة شاهد المنع، وترعيد الحدقتين من وسط العينين نهي عام، وسائر ذلك لا يدرك إلا بالمشاهدة»[1].

وتبين مي زيادة أن اتساع سواد العين دلالة الحب، وانكماش سوادها يعني الكره. وتقول عن العين: «وتلك التي يتسع سوادها أمام من تحب، وينكمش لدى من تكره»[2].

ويقول محمد سامي البارودي:

تقلب العين دليل على

(١) كتاب «طوق الحمامة في الألفة والألاف» المنسوب لابن حزم.

(٢) مي زيادة «ظلمات وأشعة»

مـــا أضـــمر الإنــسان في قلبـــه

ويفسر أبو فراس الحمداني تقلب العيون بقوله:

يــدل عــلى مــا في الــضمير مــن الفتــى
تقلــب عينيــه إلى شــخص مــن يهــوى

وهـذه الكلـمات تبـدو كالملاحظـات العلميـة التـي اكتـسبها أصحابها من تجاربهم بعد نظر عميق في العين أثناء تحركهـا أو تقلبها وإرسال إشاراتها ، فقد بحثوا في اختلاف أوضـاع العين وربطوا ذلك بالقلب ليتسق كلامهم مع الحقائق، وما قالوه يأتي بمنزلة تفسير لشخصية العين الغامضة، ويتضح من مختلف أقوالهم أعماق العين، وأحوالها ، وما تخفيه إشاراتها، ومـا يجيش بها، بيد إن هذا الجانب النظري يكمله جانب تطبيقي، باح فيه العشاق بمعاني الإشـارات وذكروهـا في شعرهم على نحـو مـا يقول عمر بن أبي ربيعة شاعر الغزل:

أشــارت بطــرف العــين خفيــة أهلهــا
إشـــــارة محــــــزون ولم تـــــتكلم
فأيقنــت أن الطــرف قــد قــال مرحبــا
وأهـــلا وســـهلا بالحبيـــب المتـــيم[1]

(١) نقلا عن كتاب العمدة لابن رشيق القيرواني.

وإذا كانت إشارات عين صاحبة عمر بن أبي ربيعة تعني الترحيب فحسب ، فإن شاعرًا آخر نظر إلى صاحبته ، فكان لهذه النظرة أثرها البليغ في نفسها وخديها، ربما احمر خداها خجلًا أو فرحًا:

نظرت إليها نظرة فتحيرت
دقائق فكري في بديع صفاتها
فأوحى إليها الطرف أني أحبها
فأثر ذاك الوحي في وجناتها

فأشعة العيون ، وطلسّماتها الخفية، سيم يعرفه العشاق، وإشاراتها لمن ألفها، كلام أو شبه كلام، لذلك في «طوق الحمامة»: « أن العين تنوب عن الرسل» ، وكل من عرف الهوى تخاطب بلغة العيون، يقول أحمد شوقي:

وتعطلت لغة الكلام وخاطبت
عينيّ في لغة الهوى عيناك

وتبين العين التي جاءت في «طوق الحمامة..» وأقوال شعراء آخرين ، أن لغتها مجرد لغة سرية فيها نعم ولا ، وحب وكره، وتحذير ولوم ، وليست إشاراتها اتفاقا ما بين اثنين، فلا المحب يستغرق انثاه، ولا هي تستغرقه، ولا أعني أن أحدهما أو الاثنين يصطنعان الخلاف بينهما، وإنما أعني أن الإشارات

تعكس الحب أو الحقد حسب ما تنطوي عليه النفس، يقول شاعر:

تبدي لك العين ما في نفس صاحبها
من الشناءة أو ودٍّ إذا كانا
إن البغيض له عين يصد بها
لا يستطيع لها في الصدر كتمانا
وعين ذي الود ما تنفك مقبلة
ترى لها محجرا بشّاً وإنسانا(١)

ولأن النفس تسيطر على العين وتوجهها ، فإن إشاراتها فعل نفسي، ولأن من الأفعال ما يروع، فإن بعض الإشارات تأتي جافية قاسية، وبخاصة إذا كرهت النفس شخصًا، وقد يتحرش رجل بامرأة ، ولا تستجيب له فتقلب له عينيها كرها وتكسر له جفنها استنكارا واستخفافا، وتنازله بأسلحة مقلتيها، ويؤثر كل هذا فيه فيقول فيها:

يا له من مجاهد في محبيه
ينادى بمقلتيه النزالا

(١) نقلا عن كتاب «الصداقة والصديق» لأبي حيان التوحيدي.

لم يقاتـــل إلا بمنكـــسرات
ومراض من الجفون كسالا[1]



أسرار العيون:

وقد انشغل الأدباء بالعيون منذ القدم، وتواصلت أقوالهم فيها، ولم يعد يكفي القول: إن العين جميلة أو واسعة، فرحة أو مستاءة، وإنما تجاوز الأمر ذلك إلى تحليل النظرة، وفهم معطياتها، وإيماءاتها، وما توحيه من خواطر، ومدى إثارتها للإحساسات الهامدة، وسبب تغيرها وهي تلاحق الحياة في صيرورتها، ومدى قدرتها على استطلاع الخبايا المستترة.

ولمحمود بيرم التونسي زجل عن العيون يذكر فيه أنواعا منها منه ما يفطن فيه إلى سيمها، وذلك من خلال خواطر أو حكايات أو شبه حكايات قصيرة جدا، ترد في عبارات قليلة، يبين فيها أسباب نفور العين أو إقبالها على من يلقاها من الناس، كما يتناول أشكالا أخرى من العيون الحائرة، والمحيرة الغامضة يقول:

(١) نقلا عن كتاب «المقتطف من أزاهر الطرف» لابن سعيد المغربي.

مــن العيــون يــا ســلام سـلم
شــــــــوف واتعلـــــــــم
تحــــت البراقـــع تـــتكلم
والــــــــدنيا نهـــــــار
وعيـــون تقولـــك أنـــا عارفـــاك
والنبـــــي مـــــا أنـــــساك
مــن يــوم مــا شــفتك م الــشباك
يـــا جـــدع يـــا صـــغار
وعيـــون تقولـــك امـــشي يـــا واد
أنـــــــــــــــا أم ولاد
وعيـــون تقولـــك أنـــا عنـــدي ميعـــاد
ويـــــا السمـــــسار
وعيـــون بـــسر الحـــب تبـــوح
كـــــدا بـــــاالمفتوح
وتعـــرف القلـــب المجـــروح
مـــا علـــيهش ســـتار
وعيـــون تـــسبل فـــوق الخـــد
دي جـــــد ف جـــــد
وعمرهـــا مـــا تكلـــم حـــد

عيـــــــون أحـــــــرار

***

وعيــــون مــــا تعــــرف زعلانــــه
أو فرحانـــــــــــــــــــــه
صـــباح مــــسا أهـــي بهتانـــه
صــــــاحبة أفكــــــار

***

وعيــــون لهـــا ضـــحكة ف وشـــك
بـــــــس تغـــــــشك
وتــــبص مــــن تحـــت اليـــشمك
تلقـــــــى المنقــــــار

***

وعيــــون كـــدا يــبقم ســـاهتين
صـــــــفر وبـــــــاهتين
بالـــشكل دا عيـــون الخـــاينين
تـــــضرب بـــــصفار[1]

بهذا الذوق الشعبي عبر بيرم التونسي عن ألوان من العيون الكذابة والصادقة، وأنطقها بما تنطوي عليه من فحش وغش،

(١) بيرم التونسي – الأعمال الكاملة.

واحتشام وإباحة ، ووفاء وخيانة ، ورسم بعبارته الدارجة ما دار بين العيون من حوار سريع كشف عن المضمون ، وأفصح عن الإشارات، وصوّر جو كل عين، وهي تتخاطب مع من يخاطبها بكلمات قليلة دالة، وعلل استجابة العيون أو عدم استجاباتها للإشارات التي تتلقاها بما يقنع، فهناك المرأة التي تعصى فتى يراودها لأنها متزوجة ولها أولاد ، وتتمسك بالسار وتتجنب الضار ، وتؤكد قيمة الزواج ، وتكتفي بما فيها من خير ومتعة ، وغيرها التي لا تقبل نظرة من أحد ، وترفض العبث والغزل، والعيون الخبيثة المتلونة ، وغيرها.

وإذا كان زجل بيرم التونسي هذا يصح أن يكون موضوعًا في علم الملاحن، فإنه يدخل أيضا في الدرس الاجتماعي لما فيه من صور اجتماعية متنوعة.



وهناك فارق كبير بين لحن الزهر ولغة العين.

فالأول يغلب على دلالاته الاصطلاح والاتفاق بين المحبين، وليس بالضرورة أن يتفق معنى الزهرة في سيم العشق مع شكلها أو جوهرها ، وقد يلجؤون إلى اللف والدوران ، مثل دلالة نبات السحلب على الفتاة المخدّرة أو الخدر البكر

الحسناء، والصلة بينهما هي أن السحلب أبيض شفاف، والفتاة البكر بيضاء شفافة لم يقربها أحد ، أي أنهم أطلقوا صفة حسية على مضمون معنوي، وليس كل عاشق سيفهم السحلب على نحو ما شرحنا، ودلالة الشيء هنا تأتي بعد لف ودوران.

كذلك يتسلل إلى المتخاطبين بلغة الزهور تشاؤم وتفاؤل على نحو ما ذكرنا.

أما لغة العيون فإنها حالة نفسية تتلقاها العين، والعين صادقة في تعبيرها حين تصور الانفعالات الباطنة ، وحتى إذا حاولت الإخفاء والتمويه والظهور بغير الحقيقة ، فإن هذا يبدو عليها ، وفي حالة ما يستبهم علينا فهم إشارة العين، فإن هذا يعد ثغرة في ذكائنا ، وقصورا في قدرتنا على اللمح، وليس تضليلا من الألحاظ ، وهناك عيون مُضلّلة ولكن هذا ظاهر فيها.

وعلى هذا فإن اللحن الكتابي يعتمد على الفطنة ، والمترجم يستند إلى قواعد ، وسيم الزهر قوامه الاصطلاح والتواطؤ، أما إشارة العين فهي وحدها التي تعرب عن داخل الإنسان، وتعبر عن انفعاله ، ولا تحتاج إلى اصطلاح أو قواعد أو تورية أو كناية.

الحاجب:

وللحواجب لحن، ودور في سرّية الحب وتغطيته، فإن تحريكها أو ترقيصها له دلالات في الحب يعرفها المغرمون، ونظرًا لارتباطها العضوي بالعيون والجفون، فإن حركة أي عضو منها له دور في تحريك العضوين الآخرين، وقد تشترك جميعا في أداء معنى معين، ولا ريب في أن غمز العيون، وتراخي الجفون تعمل على كسر الحواجب، وكسر الحواجب لون من ألوان التعبير عن الانفعال الداخلي.

وتشكل أحوال النفس في المواقف اللاهفة، والأوضاع الهانئة، ملامح الحاجبين، ففي الأحوال العادية هما معتدلان، وفي غيرها تتغير صورهما، فرفعهما دليل الدهشة والتعجب، وزويهما أو ضم أحدهما إلى الآخر علامة الغضب والاستياء، وانكماشهما يعني عدم القبول، وتقوسهما دليل على الاهتمام والتطلع، والإيماء بالحاجب إثارة تُوقع بالقلب الهوى وكسر الحاجب فيه تحية ورضا، وفي حركات الحاجب دلائل يفهمها الذي يتعامل معه.

وليست هذه الدلالات قاطعة، وكأنها كلمات معجمية- يأتي فيها المعنى قرين الكلمة، ولا يسعه معنى آخر يدخل في دائرته،

فقد يكون رفع الحاجب دلالة على التطلع، وبخاصة إذا استبان للمرء أمر خفي، وقد يكون تقوسه يعني الاهتمام، فكل هذه الأشياء تعتمد على الحالة الداخلية، وتستند إلى الموضوع الذي تتلاعب فيه حواجب العاشقين، وبذلك يعرف الواحد منهما منطق الحاجبين، أو كما يقول ابن المغربي:

عُلّمـــت منطـــق حاجبيـــه

والبـــين ينـــشر رايتيـــه[1]

فمن من حركات الحاجبين عرف العاشق أن الفراق واقع لا محالة.

ونضيف إلى هذا أن الحاجبين بمفردهما لا يقومان بتبليغ الطرف الآخر المعنى المراد كاملا واضحًا، وإنما كل أعضاء الوجه تشترك معهما في توصيل دلالة ما، ومن يعنيه الأمر يلمح هيئة الوجه بما في ذلك غمز العين وحركة الجفن، وهز الرأس، ومط الشفاه وغير ذلك من أعضاء تشارك الحاجبين في تبليغ المقصود، والعاشق الذي يرغب في توصيل رسالة لا يشترط أن يؤديها بالحاجب فحسب، وإنما بالوسائل المتاحة، وقد تكون هذه الوسائل عديدة على نحو ما قال شاعر:

---

(١) نقلا عن كتاب «ذم الهوى» لابن الجوزي.

إشــــارة ألحــــاظ وغمـــز حواجـــب
وتكـــسير أجفـــان وكَـــفّ تُـــسلم[1]

وقــد احتفــل العــشاق الــشعراء بالحواجـب، أيــما احتفــال، وسخّروا بيانهم وبلاغتهم في إظهار جمالها ، وأثرها في النفـوس، ودورهــا في سرّيــة الحــب، وجعلوهــا تــتراقص وتتغــامز في أناشيدهم، وتعبر عـن أطـوار الحـب في أشـعارهم، والعاشـق لا يعتقد أن العين فحسب هي التي أوقعته في الحب، ومنحت قلبه الدفء، وإنما الحاجب أيضا عندما أثاره بإيمائه:

ولمــــا رآني العــــاذلون متــــيما
أهــيم بمــن أهــوى وعقــلي ذاهــب
رقـوا لي وقـالوا: كنـت بـالأمس عـاقلا
أصــابتك عــين، قلــت: وحاجــب[2]

ولأن الحاجب مقوس، فقد شبهوه بالقوس الذي تنطلق منه السهام فتصيب وتميت، ورأوا أن سهام الألحاظ النافـذة تنطلـق من أقواس الحواجب القاذفة، فتخترق القلب إلى الأعماق:

وترسل سهم اللحظ من قوس حاجب

(١) نقلا عن ألف ليلة ، ليلة ٣٤٦ – مصدر سابق.

(٢) نقلا عن سفينة الملك – مصدر سابق.

يصيب ولم يخطئ ولو كان من بعد[1]

ويكثر في الشعر تشبيه الحاجب بالنون ٮ ، ولابد أنهم يقصدون النون المقلوبة إلى أسفل فتكون أشبه بالحاجب، وهذا يدل على شدة عنايتهم به، لأنه يساهم في صياغة جمال وجه المرأة، ولا شك أن الحواجب الزجاء مثل التيجان فوق العيون الجعداء.

حاجبك النون التي حررت
ومقلة كالصاد صنع الودود[2]

وقد تفننت عائشة تيمور في الحديث عن الحاجب، وجعلت من الحاجب نونا ، ومن العذار، وهو جانب الوجه لاما، ومن الخالين اللذين فوق الخدين تاءً، أي : ن ل ت = نلت ، تقول:

وبالحواجب نون والعذار به
لام وخالاه مع وجنتيه تاء[3]

وادخلوا الحاجب قصور الحكم، وجعلوه من باب التورية،

---

(١) نقلا عن ألف ليلة ، ليلة ٥١٠.

وقد يشبه الشعراء اللحظ بالنبل ، والحاجب بالقوس مثل:

كأن ألحاظها نبل وحاجبها .. قوس على أنه بالموت مقرون.

(٢) نقلا عن ألف ليلة ، ليلة ٣٧٠.

(٣) عائشة تيمور: ديوانها.

يلازم الأكاسرة والقياصرة، وقرنوا بينه وبين حاجب السلطان، يقول الشريف الغرطاني عن الحاجب:

فـــإن يكُـــن الجـــمالُ حبـــاك مُلكـــا
وأيـــــد ناظريـــــك بحـــــاجبين
فـــما أرضى لـــمُلكك أن كـــسرى
وقيـــــصر في مقـــــام الحـــــاجبين

وقال الشارح : الحاجب يقوم على تنظيم الصلة بين الحاكم وبين الناس وخطته الحجابة، وهذا من حسن التواري[1].

وإذا كان الحاجب قام بدوره في السيم ببعض حركاته التي ذكرناها، فإن تجارب الشعراء العشاق مع الحاجب أكثر من أن تستقصي، وقد أدركوا أنه لا يستعصى عليه أن يختلج بما يحسه صاحبه ويفصح عنه، ويقدر على أسر عاشقة وخلب نفسه، ويأمر فيه وينهى، وقد عبر عن هذا شاعر فقال:

قـــسما بوجنتيـــه وباسِـــم ثغـــره
وبِأسْـــهُم قـــد راشـــها مـــن منخـــره
وبحاجـــب حجـــب الكـــرى عـــن صـــبه

(١) الشريف الغرناطي: «ديوان جهد المقل» صنعه د. أيمن محمد ميدان.

وسـطا عليـه بنهيـه وبـأمره[1]

وشاعر عاشق آخر تعامل مع حاجب، وشكا من ظلمه، وتقلبه معه، وتعكير الأجواء بينهما، وعدم لياقة تصرفاته وحسن استقباله، يقول:

لـك يـا أمـيري في الملاحـة نـاظر
يـسطو علـيّ وحاجـب لا ينـصف[2]

أما شاعرتنا التيمورية فإن تلاعب الحاجب وإيماءه إليها أذابها، وعمل على نقلها من العالم الأرضي المسكون إلى عوالم الخيال والأحلام لتحلق مع الأطياف، وماذا نفعل وقد ضاعت وتلاشت من إيماء حاجب لقوة تأثيره في عواطفها، تقول:

أضـاعني عنـدما أومـا بحاجبـه
وطرفـه مـن بـديع الـسحر مكحـول

ويقوم سيم العين والحاجب على الحركة والغمزة، والإشارة والإيماءة.. وهذه يسرى فيها الكلام السِّري المراد توصيله، وهي طريقة في الخطاب تتميز بسهولة الأداء، وسرعة الإرسال،

(١) ألف ليلة، ليلة ٧٢.

(٢) ألف ليلة، ليلة ٨١.

وتناسب محبين يحيط بهم كاشحون ووشاة، يبحثون عن قول أو فعل يثير الاشتباه، فالعشاق في حضور الناس ظاهرون، ولكن كأنهم يلبسون طاقيات الإخفاء، أو كأنهم من العوالم الخفية، يجلسون جلسة هادئة ، ويتحدثون بلغتهم ، دون احتمال لسوء العواقب، لذلك يقول شاعر، والأغلب شاعرة:

حواجبنا تقضي الحوائج بيننا
فنحن سكوت والهوى يتكلم

ومن الحكايات القديمة التي وردت في أكثر من كتاب، وتتعلق بالحاجب، وفيها افتتن المأمون بجارية «من جواري أبيه الرشيد، وكان يكتم أمره، وكانت من خواص الخدمة، فبينا هي يوما تصب على يديه، وقد التفتت، إذ أشار لها المأمون بقبلة، فغمزته مشيرة بحاجبها إلى أنها خائفة، ففترت في صب الماء، ففطن الرشيد، فحلف إن لم تخبره ليفتكن بها، فأعلمته، فنظر إلى المأمون وكاد أن يقضي من الخوف، فضمه وسكن ما به ثم قال له: أتحبها؟ قال: نعم... ثم قال له: أنشد في هذا فأنشد:

ظبي كنّيت بطرفي
عن الضمير إليه
قبلته من بعيد

فاعتـــــل مـــــن شـــــفتيه

ورد أخبـــــــــث ردّ[1]

بالكـــــسر مـــــن حاجبيـــــه

فـــــما برحـــــت مكـــــاني

حتـــــى قـــــدرت عليـــــه

أشياء أخرى:

ولا تقتصر لغات الحب السرية على ما ذكرنا، وإنما تمتد إلى أعضاء أخرى من الجسم، فكل ما يمكن تحريكه من أعضاء البدن ينطق بما يهفو إليه العاشق، وحتى الإنسان في العادة والمألوف لا يتكلم بلسانه فحسب، وإنما يشاركه جسده أثناء الكلام، والظاهر أن أقوال اللسان غير كافية في إيضاح قضية من القضايا، فإننا نرى الذراع يتحرك، والحواجب تعلو وتنخفض، والأكتاف ترتفع وتسفل، أي أن ما يقوله اللسان يمثله الجسم بالحركات، إما ليزيده إيضاحًا، وإما لأنه غير كاف، فيضيف إليه الجسم بحركاته ما نقص منه.

(١) في رواية أخرى «أجمل رد» والحكاية منقولة من كتاب «تزيين الأسواق» لداود الأنطاكي وموجودة في كتب أخرى.

غمز اليد:

وإذا كان الناس يهاجمون المغرمين بشراسة وقوة، فإن العاشقين يقاومون في رقة وهدوء، بنظرة، أو بزهرة، أو بغمز يد، وجميعها أشياء يصعب ضبطها، أو إقامة حجج عليها، فمصافحة رجل لامرأة أو العكس من الأمور العادية، ولكن إذا كانت القلوب مشتعلة، فإن سلام اليد، وغمز الكف فيه من الدلالات ما يفهمه العاشق، بل هناك من يذهب إلى أن الحب عبارة عن نظرة وغمز يد يقول الخليفة المأمون:

ما الحب إلا نظرة وغمز كف وعضد[1]

وغمز اليد يكون في أول التعارف مع الإعجاب، وتنبيه الغامز للمعشوق بالميل إليه، وعلى من وقع عليه الغمز أن يرد بالغمز أو بعدمه ليتحدد الموقف بينهما، وربما يأتي الغمز بمعنى التذكير بشيء، أو يكون لتجديد الوصل بعد صد، ولكنه في معظم الأحوال يأتي بمعنى الشوق، وتوثيق العلائق؛ لأن الغامز ومن وقع عليه الغمز ألفا غمز اليد. يقول الشاعر:

وإن أنس لا أنس ذاك الخضوع
وفيض الدموع وغمز اليد

---

(١) نقلا عن «روضة المحبين ونزهة المشتاقين» لابن القيم الجوزية.

وهناك نسوة أديمها ناعم، وجلد كفها رهيف، بحيث أن كفها الرقيقة الملمس لا تحتمل الغمز فيها، يقول أبو نواس:

وصافحه كفي فآلم كفه
فمن غمز كفي في أنامله عقر

والبنان من اليد، أو من الكف، وله دوره في الإشارة والإفهام، فالإصبع المتحرك في الهواء في اتجاهات مختلفة، وبخاصة السبابة، له دلالات وفقا لانتصابه وانحنائه، وذهابه وإيابه، وهذه الدلالات مفهومة لدى الطرف الآخر، يقول الشاعر:

تشير لنا عما تقول بطرفها
وأومي إليها بالبنان فتفهم



الفم:

وللفم لغة سرية، ومن أهم أدواره وأسراره، تقديم الوعود، التي تجدد الشوق، وتنمي العشق، والتي ينتظرها الطرف الآخر بتلهف، ويترقب تحقيقها، والعاشق أو العاشقة عندما تعطي الوعد، وتحدد الوقت، كأنها تمد الحب بالعافية،

والطرف الموعود يشعر بأن صاحبه منحه السعادة، لما سينتج عن الوعد من الابتهاج والقرب.

ولكن هناك من يعد ولا ينجز موعده، وكأنها مواعيد عرقوب، يقول الشاعر:

وموعـــدي بقبلـــة　　أرشـــفها مـــن مبسمه
ســـوّف بي ولم يـــزل　　يوعـــد لكـــن بفمـــه

وللفم إشارات مثل إشارات العين، وهي في تعريف شاعر إحدى أركان الحب وفي هذا يقول:

إشـــارة أفـــواه　　وغمـــز حواجـــب
وتكـــسير أجفـــان　　وكـــف تـــسلم

وهناك أشعار فيها سيم للفم، ضقنا بها، وضربنا عنها صفحا.

واللغات السرية للحب أكثر من أن تُحصى، فإنها تمتد إلى كل ما يعبر عنه الإنسان بأعضاء جسده عن قصد، ويؤديه في الستر، ويتناول به مختلف أحوال الحب من وصل وهجر، وفراق ولوعة وبهجة.. وغير ذلك.

وكثرة اللغات السرية أتاحت للعشّاق قدرًا أكبر من الحرية، فإذا كانوا ممنوعين من الحديث الصريح بين الناس عما تختلج به قلوبهم، فإن أفواههم الصامتة تعبر ، وشفاههم في حركة خاطفة تعطف، وأياديهم توضح، وابتساماتهم على مختلف أنواعها تؤدى، وأصابع أيديهم تشير، والجفون الهامسة[1] جارحة، وهز الأكتاف يظهر الاستخفاف ، وحركة الرؤوس ترفض وتقبَل ، حتى القدم، إذا عبثت بالقدم فإنها تعني لونا من الغزل.

والعاشق ليس مقيدًا بلغة واحدة من لغات الحب، أو اصطلاحاتها في كل مجال، وإنما هو يتحدث باللغة التي تظهر مكنون نفسه، أو باللغة المناسبة له حسب الظروف التي يجد نفسه فيها، أو يتحدث كل هذه اللغات لتوصيل ما يريد، وتخليص نفسه من المهالك والألسنة الحادة.

وهذه اللغات تعمل على تنمية الحب، وإطالة عمره، وإيضاح غرضه، وزيادة نصيب العشاق منه ، ومحو الحب من النفوس غير ممكن.

---

(١) همس الجفون اسم ديوان لميخائيل نعيمة.

وكثير من هذا الحب السري تنتج عنه علاقات وطيدة مستديمة بالرباط المقدس، إذ ليس كله باطلا، وأهم ما أفاده أهل الهوى من اللغات السرية هو الحد من مطاردة الناس لهم وإبعاد الحواجز المنصوبة بينهم وبين محبيهم على قدر الإمكان.



سيم المناديل

تعدد ألوان السيم في الحب يدل على تمسك العشاق بالعشق وراء ستار، لا لأنهم يقتدون بمن قبلهم، ولكن لأن السرّية هي طبيعته، وهذا هو ما يضفى عليه طابع السحر، ويدفع للمغامرة فيه، وفي كل سيم مستحدث تتجدد الطرائق، وتبتكر الأفكار لتأمين الحب، وسلّ الخوف من النفس، ويتمادى العاشق في الحذر، حتى لا يذاع عن حبه خبر.

وفي سيم الزهور تتغير الدلالة حسب نوع الزهرة، وفي إشارات العيون تتغير المعاني من إشارة لأخرى، أما في لحن المناديل فيكون المعنى المراد حسب وضع المرأة لمنديلها على أعضاء جسدها، فوضعها له على كتفها له دلالة ، وعقده حول خصرها ، له دلالة مختلفة، وهناك المنديل المطوي، والملفوف ، والذي تمسكه المرأة بإحكام ، والذي تسقطه عمدًا على الأرض، والذي تتلاعب به ، والمنديل في كل وضع من هذه الأوضاع له دلالة ومغزى.

وفي سيم الزهور قد يتبادل الرجل والمرأة الزهرات المختلفة التي تعبر عن المعاني المراد توصيلها ، وقد يكون هناك حوار بين النساء والرجال بإشارات العين في محفل، فتتلاقى نظراتهم وتتداخل، وتعبر عما في الصدور، أما مع المناديل فإن المرأة هي التي تعبر عن المرغوب فيه بمفردها، والرجل يشخص إلى أدائها، ولا يفعل مثل فعلها، وإذا وضعت المنديل قرب عينها، فلا يضع الرجل منديلا مثلها قرب أذنه.

إنه يتابع فحسب، وإذا كان هو المعنِي فعليه أن يتصرف بالأسلوب الذي يناسبه، لذلك أعتقد أن سيم المناديل من صنع النساء.



لغة المناديل:

وقد نشرت مجلة «سركيس» لحن المنديل تحت عنوان «لغة المناديل» وقدمت لها بقولها:

«للمحبين لغات يتفاهمون بها بشكل إشارات واصطلاحات لا يفهمها سواهم، منها لغة الزهور ، ولغة المناديل ، وهي كثيرة الاستعمال في فصل الصيف» ثم أوردت لغة المناديل على هذا النحو:

«وإذا أمرّت الفتاة منديلها على شفتها ، فمعنى ذلك كاتبني .

إذ أمرّته على عينها – إني حزينة.

إذا أمرّته بيدها اليسرى – أنا أكرهك.

إذا سمحت بسقوطه على الأرض – الأدق أن نكون أصدقاء.

إذا وضعته على خدها الأيمن – نعم، وعلى الأيسر – لا.

إذا أمرّته على كفتها – اتبعني.

إذا أمرّته على أذنها اليمنى – أنت غير مخلص.

إذا أمرته على اليسرى – لديّ رسالة لك.

أذا أمرته مطويا على عينيها – أريد مخاطبتك.

إذا لفّته من طرفه – انتظرني.

إذا لاكته بيدها – أنت قليل الاعتناء.

إذا لاكته بيدها اليمنى – أحب أغيرّك.

وباليسرى – لا أريد أن أعرف شيئًا عنك.

إذا عقدته على يديها – إنني لك وحدك.

إذا لعبت به – أنا مستأنسة بك.

إذا سمحت بسقوطه على جبهتها – أنا مرتابة فيك.

إذا دغدغته في يدها اليمنى – أنا لست لك.

وفي اليسرى – قلبي مخصص لك.

وفي كلتا يديها – يا خائن عرفت أنك تحب غيري.

إذا نقلته معقودًا في طرفه – قابلني غدًا.

إذا أمرّته باستواء على عينها – حياتي مشتبهة»[١].

هذا ما نشرته مجلة سركيس دون تعليق أو تعقيب ، وأعفت نفسها من شرح هذا الكلام بقولها: إنها لغة لا يفهمها سوى العشاق، وإنها حقا لغة مغلقة مبهمة ، فكيف نفهم من إسقاط المرأة منديلها على الأرض على أنها ترغب في ودادة هادئة، وصداقة صافية، لا في حب يغلي فيه القلب، أو إذا عقدت المنديل حول خصرها فإن هذا يعني إنها زوجة، والعاشق لا يثير عاطفتها، ولا ينبه قلبها.

---

(١) مجلة سركيس – عدد سبتمبر وأكتوبر ١٩٢٣.

ولغة المناديل تراعى كتمان أحاسيس الأنثى لأنها سهلة الأداء، موجزة التعبير تتركز في إصعاد اليد وإنزالها وهي ممسكة بمنديل تحركه في خفة وسرعة ، دون أن يفطن أحد إلى منديل تمرره على عينها، وكأنها تمسحها به، والسيم كله ميسور الفعل، ويستوفى حديثا ظاهره غير ملحوظ، وباطنه غير معروف.

وقد حاولت فهم لغة المنديل السرية ، فوقفت عند كلمة «لاكته» ودلالتها، وإلى أي حد ناسبت الكلمة معناها ، ولعل الصواب في «لاكت» المنديل هو «لكّت، فإذا تتبعنا كل معاني «لكّت» نجدها سلبية في لغة المنديل . فالمرأة مع هذا الاصطلاح رافضة للحب، نافرة من العاشق، وحسب ما جاء عن منديلها «إذ لاكته بيدها اليمنى» فهي ترغب في إثارته و«إذا لاكته بيدها اليسرى» فهي لا ترغب في شيء يخصه، و«إذا لاكته بيديها» فهي سيئة الظن به ، وهذه الدلالات الثلاث تبين وضع المحب عندها، ولا شك أنه وضع الإنسان المهمل والمغضوب عليه، وتعبير لكّت أو لاكت يوائم حالتها النفسية الهابطة ، ولاكت المنديل أي غضنته، أو لملمت أطرافه ، وأدخلت بعضها في بعض، وضغطت عليها في حالاتها الثالث، وهذا يلائم حالتها النفسية الغضبية ، فالغضب مرتبط بـ«لاكت» المنديل، ولماذا هي غاضبة؛ لأن العاشق لا شيء ، ولا تستطيع أن ترفل معه في الحب.

وتمرير المرأة منديلها على كتفها ، ودلالاته «اتبعني»، فهذا معقول، وكأنها تقوله له: ضع يدك على كتفي واتبعني، والمعنى العملي أنها تسير في الطريق وهو يتبعها بنظراته حتى تصل به إلى بر الأمان، أو إلى مكان يخلو منه إنسان يعرفهما.

أما دغدغة المنديل باليد اليمنى أو باليدين، فإنه حسب المعنى الدارج يعني ضغطه، أو الضغط عليه ولململته ، وفي لغة المنديل تعني الدغدغة هنا الإعراض والنفار عن المحبوب، والدغدغة تعرب عن امرأة منقبضة غاضبة.

ودلالة الاستئناس على اللعب بالمنديل يمكن أن تكون مقبولة لأن اللعب عموما يدل على طرب النفس ، ويبين انتعاش الأحاسيس، وانبساط الأسارير، فإذا لعبت المرأة بالمنديل فهذا موائم لمؤانسة المحبوب لها، ومؤلف هذا الكتاب لا يوفق بهذا الكلام بين حركة المنديل ودلالته، ولكن يقرب ما أمكن التقريب بين تشكيل المنديل ومعناه، وهو لا يدري شيئًا عن القاعدة التي استند عليها ، مبتدع هذه الاصطلاحات، ولا عن كيفية صياغته لها ، ويمكن أن يكون بعضها اتفاقا بين عاشقين ، ولكن ليست كلها من باب التواطؤ، فالمرأة التي تكره رجلا يتتبعها ولا ترغب فيه،

لا يمكن أن تتفق معه على علامة ، أو وضع يعرف منه أنها لا تطيقه أو يتفق معها على شيء إذا أظهره أو أخفاه يفيد أنه يبغضها.

وسيم المنديل لا يخلو من تعاطف وجفاء، فهو يعبر عن السخط والرضا، والكيد والأنس ، ففيه الوصال «قابلني غدا» والشغف «إنني لك وحدك» واللهف «إني حزينة» والأوقات اللاذة «أنا مستأنسة بك» والخيانة «يا خائن عرفت أنك تحب غيري» والهجر «أنا أكرهك» والشك «أنا مرتابة فيك» ، ولاشك في أن كل هذا مأخوذ من تجارب المحبين، ومما جرى في الحياة من حولهم ، ومما تكوّن في أذهانهم من حكايات الحب والأحباب ، والمشاق والمكابدات التي تعرضوا لها ، وجهود عشاق الأجيال المتعاقبة في التغلب على العقد والمعضلات.

ولا أعتقد أن مفردات لغة المناديل التي قدمتها مجلة سركيس هي كل معجمها، وإنما نشرت ما تيسر لها الحصول عليه، والظاهر أنه كان معمولا بهذه اللغة زمن نشرها أو قبل ذلك ؛ لأن المجلة قالت إنه يكثر استعمال هذه اللغة صيفا.



المناديل الملونة:

والمرأة في سيم المناديل تيسر الحب أو تعقده بتحريك المنديل إلى أعلى وإلى أسفل، أو بطيه وبسطه ، أما في المناديل الملونة، فإن اللون يحمل الدلالة على الغرض المنشود ، ويشكو الحالة المفعمة بالشجو والأسى، ورعدة الفشل في النجاة من صقيع الحياة ، أو الاستبشار بدنيا سارة لا تهدهدها الأحزان ، وتتلاقى فيها الأرواح المتحابة.

ولم يسجل أحد في مصر شيئًا عن التهادي بالمناديل التي تحمل دلالات سرية ، أو على الأقل لم يقع في يدي شيء من هذا في كتاب أو صحيفة ، وإن كان هناك مقطع في أغنية فيه منديل يحمل لمحات من أسرار المناديل ، ولكن الكاتبة التركية أليف كروتييه ذكرت في كتابها «عالم الحريم خلف الحجاب» عدة مناديل، كل واحد منها يحمل لونا له دلالة، أرسلتها حريم إلى عشاق.

وقبل أن نأتي بالمناديل الملونة ، نترك السيدة أليف.. تشرح لنا وضع الحريم خلف الحجاب في تركيا ، تقول:

«أما المرأة غير المقيدة بخصى يرافقها أو البارعة في تضليل

هـذا الخـصى فإنـه لرتابـة اللبـاس قيمـة كبـيرة في عتقهـا مـن المسؤولية، هـذه الرتابـة تجعـل المرأة غـير متميـزة عـن سـواها ، ولا يمكن لرجل أن يفكـر بـالاقتراب منهـا ، أو التحـدث إليهـا في الـشارع؛ لأن حجابهـا وجلبابهـا لهـا مـن الحرمـة مـا لأبـواب الحرملك ذاتها من حرمة - والزوج لا يستطيع أن يميز زوجته من بين بقية الأشكال القاتمة الرتيبة ، ولهذا كان بوسـع المـرأة أن تستفيد مـن حالـة الـلا تمـايز هـذه وتتـسلل إلى لقـاء غرامـي مـع عـشيقها، وهـي في طريقهـا إلى الحـمام في أغلـب الأحيـان ، وقـد لاحظ جيراردي نيرڤال:

«أما بالنسبة لحريـة الخـروج والقيـام بالزيـارات ، فقـد كانـت بدون شـك متاحـة للمـرأة الحـرة المولـد، وحـق الـزوج في هـذه المـسألة يقتـصر عـلى إرسـال الخـصيان ليرافقوهـا ، إلا أن هـذا الإجراء الاحترازي، كان ضئيل الجدوى ، إذا كـان مـن الـسهل تمامـا عـلى الزوجـات، إمـا أن يـشترين العبيـد بالرشـوة، أو أن يخـرجن متقنعـات إمـا مـن الحـمام ، وإمـا مـن أحـد بيـوت صاحباتهن، بينما يقبع مرافقوهن يراقبون عند الأبواب..».

وهـذا العـشق المـضطرم تـسبقه أو تلحـق بـه رسـائل غراميـة عبارة عن مناديل ملونة ، تقول السيدة أليف:

«كـان للمناديـل الـصغيرة مكانـة خاصـة في قلـوب نـساء

الحرملك ، فالهدايا والفواكه كانت تلف بها ، والقصص تحكى عن مناديل مفعمة بالبهجة التركية، تقدم خلسة لغرباء وعشاق حالمين، أما لون المناديل فقد كان على الدوام ينقل رسالة صامتة:

فالأحمر: الحب المتقد.

والبرتقالي: الحزن والغم.

الأخضر : التصميم على الزواج.

القرنفلي : وثاق الحب.

الأرجواني : عذاب الحب.

الأسود : اليأس ، الفراق.

الأزرق : الأمل بالاقتران.

والمنديل الذي يمزق ويحرق يفيد: إني أموت غما وحزنا، إني أذبل وأتلاشى»[١].

ومعاني الألوان هنا ليست نتيجة دراسة علمية تتبدى فيها خصائص كل لون ، وإنما هي لغة رمزية مهمتها توصيل رسالة عشقية. والمعشوق مرسل المنديل قد يختار اللون الذي يوحى

(١) أليف كروتييه : «عالم الحريم» .. مصدر سابق.

المعنى ، أو بعبارة أخرى يختار لونا قابلا للمعنى الذي يريد تبليغه فإذا فهم المرسل إليه المعنى المقصود ، يكون المرسل منه نجح في اختياره.

وإذا لم يوفق في اختيار اللون الموحي للمعنى فلا ضير، فإن الحب الوثيق ليس بالضرورة أن نرمز له بمنديل قرنفلي، وفي الواقع لا صلة بين الحب المكين ولون القرنفل ، ثم إن التأثير في المتلقي ليس باللون، ولكن بالمعنى الذي يحمله، فاللون الأحمر الناري الصاخب المثير ليس هو المؤثر، وإنما معناه وهو «حبك نار».

ولكن هناك مناديل تتماشى ألوانها مع ما تحمله من دلالات ، مثل المنديل الأزرق في مجموعة مناديل السيدة أليف، فالأزرق لون رقيق حالم وادع يُقرن بالصفاء، يجذب المرء لتأمله، ويتطلع إلى الدفء، وينفر من الانكماش ، ولعل هذه الأوصاف التي استوحيتها منه ، تناسب دلالة المنديل الأزرق وهي «الأمل بالاقتران».

والمنديل الأسود يرمز للحزن والفناء، ويُظهر عمق التشاؤم والاستياء في نفس مرسلته ، ويبين أن انطفاء شعلة أملها أمر

محقق، ومن هنا فاليأس والفراق يناسبان دلالة المنديل الأسود.

واللون الأخضر اليانع النضر رمز الحيوية والبهجة ، والذي يجعل الحياة مستعذبة، ولا يسبب انفعالات وإثارات كاللون الأحمر ، قد يلائم المنديل الأخضر رمز الزواج أو الاحتشاد له.

وبعيدًا عن مناديل الست أليف .. نسمع في أغنية تغنيها شهرزاد عن منديل أهداه أحد عاشقين لآخر، وهو منديل ملغز كله أسرار:

وكان منديل وبديع ومتعطر
يبان أخضر ولونه مش أخضر
على حرفه رسم حرفين
في أحضان بعضهم لاتنين
يبان حرف مش أكتر

ومن ألغاز المنديل أنه أخضر ، ولكنه «مش أخضر» أي أن لونه يخالف معناه ، واللغز الثاني أن في طرفه حرفين ، وهما أول حرف من اسم العاشق ، وأول حرف من اسم العشيق، وأن هذين الحرفين توشجا وتشابكا حتى صارا حرفا واحدًا وهو ما يفيد تلاشي أحدهما في الآخر بالزواج ، أو بتداخل القلبين.



حيل العشاق

سيم الحب كله من حيل العشاق ، فما دام حبا سريا فلابد من تمويهه وتغطيته ، ليكون في صالحهم، لذلك لا يعيشون عيشة رتيبة ، وإنما يحذرون أن يخطئوا في الحساب ويقعوا في الخطأ، ومن هنا فهم يخشون ، ويتوترون ، ويترقبون، ويتطلعون إلى الآتي، ويميلون إلى المداراة ، والعزلة، والتحدث بلغات سرية غير مفهومة ويقاسون في سبيل تأمين أصحابهم مقاساة شديدة، ويظلون في صراع خفي مع الوشاة والرقباء والعذال لنصرة الحب، والفوز بلذاته ، وتأكيد أهمية الحب للمحب.

ويضن العاشق بذكر الصفات التي تنفرد بها صاحبته في كلامه وأغانيه، إلى جانب إخفاء مواعيد اللقاءات حتى لا يسبق إليها رقيب، وعدم البوح بأخبار طقوسهما.



انتحال الأسماء:

ومن أهم ما يستره العاشقون عن غيرهم أسماء معشوقاتهم؛ لأن الناس تكون أكثر إصغاء لمن يذكر اسم محبوبته، ليفشوا

خبرها ، ويذيعوا على الملأ اسمها ، وفي هذا ما فيه من تمكين الناس منهما ، ومن يفعل ذلك كأنه يسبح في بحر الغرام من غير أن يعرف العوم فيغرق، وهناك من حذاق العشاق من يُكنّى عن اسم محبوبته كما يقول النابغة الجعدي:

أكنّي بغير اسمها وقد
علم الله خفيّات كل مكتتم

وقد يكنّى العاشق عن اسم بصفة واضحة متفردة فيها ، فيكون هذا مدعاة لمعرفة الناس بها ، وأنها فلانة المقصودة ، أو يذكر اسمها ولا يكنى فيفضح أمرها، ومن هذا أن شاعرًا عاشقًا نسب بامرأة ، فأرسلت إليه تلومه، وتشكو مما فعل ويعبر هو عما قالته بقوله:

وقد أرسلت في السر أن قد فضحتني
وقد بحت باسمي في النّسيب وما تكنّى[1]

ولكن هناك عاشقا يحب اسم حبيبته ، ويرغب في الترنم به، وفي الوقت نفسه لا يريد إحراجها ، منهم ذو الرّمة الذي كان يجلس في صحراء خالية ليردد لسانه اسم معشوقته، فيطرب

(١) نقلا عن كتاب «الكامل في اللغة والأدب» للمبرد.

نفسه، ويقيها كلام الناس[1] ويقول:

أحبّ المكانّ القفزّ من أجل أنّنى
أتغنّى باسمها غير مُعْجَم

ومن حيل العاشقين في مداراة اسم المحبوبة ، كتابة اسمها بداية من الحرف الأخير فما بعده إلى أول حروف اسمها، ومما حكى في ذلك أن «الحسن بن وهب» تعشق جارية يقال لها : «ناعم»، فنكس اسمها، ونقش على خاتمه: مُعان، وذكر ذلك في أبيات يقول فيها:

نَقَشتُ مُعانًا على خاتَمي
لكيما أعانّ على ظالمي
كذا اسم من هام قلبي به
وأصبح في حالة الهائمِ
نكستُ الهجاء فأعلنْتُهُ
بطرفي ليخفى على الحازمِ[2]

(١) ردد ذو الرمة في شعره اسمى ليلى ومي كثيرا.
(٢) الموشّي.

وكما يحتال الرجال على إخفاء أسماء المعشوقات ، فإن عُليَّة بنت المهدي أخت هارون الرشيد كانت تراسل خادمين هما «طل» و«رشا» ، وقيل: إنها كانت تحبهما ، وقالت في «طل»: .

قد كان ما كُلِّفْتُهُ زمنا
يا طل من وجد بهم يكفى
حتى أتيتك زائرًا عجلا
أمشي على حتفي إلى حتفي

فلما عرف الرشيد بهذا الشعر، حلف «ألا تكلم طلا الخادم، ولا تسمى باسمه فضمنت له ذلك» ، ولكنها كاتبت الخادمين، وكانت تكنّى عن رشأ بزينب، وعن طل بظل، فمن شعرها في «طل» وكنايتها له بظل على أنها جارية:

يا ربِّ إنِّي قد حرضتُ بهجرها
فإليْكَ أشْكُو ذاك يا ربَّاه
مولاة سوء تستهين بعبدها
نعم الغلام وبئست المولاه
ظلَّ ولكنّي حُرمتُ نَعيمهُ
وهواه إن لم يُغثني الله

وقالت عن رشأ الذي كنّت عنه بزينب:

وَجِـدَ الفُـؤادُ بزينبـا وَجْـدا شَـديدا مُتعبـا
أصبحت من وجْد بها أدعـى شـقيّا مُنْـصَبا
ولقد كنْيتُ عن اسْمها عمـدًا لكـي لا تغضبا
وجعلتُ زينب سُتْرةً وأتيـت أمـرًا مُعجَبـا
قالت وقد عزّ الوصا لُ ولمْ أجـدْ لي مـذْهبا
والله لا نلـت المـوَ دّة أو تنـالَ الكَوكَبـا[1]

وكانت عُليّة شاعرة ومغنية وموسيقية، ولم يذم أحد أخلاقها أو ينتقص من عقلها، أو يطعن في صيانتها لنفسها ، وكانت مشغولة بالصلاة، وكان الرشيد يرغب في أن يجلسها إلى جانبه على سريره، ولكنها كانت ترفض. وكانت تقول: «اللهم لا تغفر لي حرامًا أتيته، ولا عزما على حرام إن كنت عزمته، وما استغرقني لهو قط إلا ذكرت سببي من رسول الله ﷺ فقصرت عنه، وإن الله ليعلم إني ما كذبت قط، ولا وعدت وعدًا فأخلفته»[2].

(١) عن «كتاب الأوراق – قسم أشعار أولاد الخلفاء» مصدر سابق.

(٢) المصدر السابق.

وكـان ابـن المعتـز يكنّـى في شـعره عـن صـاحبته بـذكر اسـم أخرى، فـإذا عاتبتـه صـاحبته بأنـه ذكـر اسـم غيرهـا ، سـارع إلى استنقاذها من الغيرة ، وطمأنهـا بأنـه سـمّى غيرهـا. ولكنـه كـان يعنيها، وبذلك تسكن مشاعرها المهتاجة . يقول:

قالتْ: تبَدَّلت أخرى ، قلت: أفديك
مـن كـلّ سـوءٍ ومكـرُوه ، وأحميـك
قالت: وسميتها في الشعر، قلت لها:
سـميت غَـيرَكِ لكـن كنـت أعنيـك



حيل النساء:

وقـد بيّنـت قـصص الحـب أن النـسوة صـاحبات حيـل مثـل الرجال، وأثبتت أنهن عوامات في بحر الهوى الهـادر، وقـادرات عـلى إعـمال أذهـانهن في استكـشاف الفجـوات وردمهـا، بـل إن الواحدة منهن كفيلة برفع صاحبها إذا تعثـر، وتـصحيح الاتجاهـه إذا حاد عن الطريق، وفي أصغر وقت، وقد يكون في لمح البصر، تستطيع تبديل الموقف الخطير بموقف آمن، وذلك بـذكاء نـادر، وقوة أعصاب ؛ لأنه إذا هالها أمر هائل فلا تظهر أنه هالها.

ونضرب مثلا بليلى الأخيلية ، وكانت تحب توبة بن الحميِّر ويحبها ، وكان إذا أتى ليلى الأخيلية خرجت إليه في برقع، فلما شهر أمره ، تظلم أهلها إلى السلطان، فأباحهم دمه إن أتاهم؛ فمكثوا له في الموضع الذي كان يلقاها فيه، فلما علمت به خرجت سافرة حتى جلست في طريقه، فلما رآها سافرة فطن لما أرادت وعلم أنه رُصِد، وأنها سفرت لذلك تحذره ، فركض فرسه فنجا، وفي ذلك يقول توبة:

وكنت إذا ما جئت ليلى تبرقعت[1]

فقد رابني منها الغداة سفورها

على دماء البدن إذا كان بعلها

يرى لي ذنبا غير أني أزورها

وتقول ليلى : «وكنت أعرف الوجه الذي يجيئني منه ، فرصدوه بموضع ، ورصدته بآخر ، فلما أقبل لم أقدر على كلامه.. فسفرت، وألقيت البرقع عن رأسي، فلما رأى ذلك أنكره ، فركب راحلته ، ومضى ففاتهم»[2].

---

(١) الأغاني حـ١١ ط الشعب ١٩٦٩.

(٢) الأغاني .

وهكذا أنقذت ليلى صاحبها من ورطته ، ومن هَدْر دمه ولابد أن سفورها فحسب لم ينقذ الموقف، فلابد أنها أومأت إليه، ونظرت له، وأدرك من كل هذا أنه إن أوغل سيقتل، فاستدار وانسحب ، فبذكاء ليلى ، واستغلال إمكاناتها القليلة، ووقتها اليسير، منعت وقوع المأساة. وسفور ليلى هنا سيم طارئ، أو سيم خاص، أملته الظروف ، وأدى عمله.

وحسب ما جاء في «الأغاني» لم يكن بين توبة وليلى الحب المرنّق ، والإسفاف ، والنزول إلى الحضيض، وقد قُتل توبة، ورثته ليلى كثيرًا، وقيل: إنها كانت تزور توبة في لحده، ثم ركبت الجمل لتعود، ولكنها سقطت من فوقه ميتة، ودفنت إلى جواره والله أعلم .

وتتفنن المرأة في تحديد شخصيتها لمن تهواه بعلامات تبنيها له حتى لا يلتبس عليه أمرها ، ويتعامل مع غيرها، وهو يظن أنها هي، ومن الحكايات التي رويت في هذا الشأن ما جاء في كتاب «طوق الحمامة...» : « ومن بديع الوصال ما حدثني به بعض إخواني أنه كان في بعض المنازل المصاقبة له هوى، وكان في المنزلين موضع مطلع من أحدهما على الآخر، فكانت تقف له في ذلك الموضع، وكان فيه بعض البعد، فتسلم عليه ويدها ملفوفة في قميصها، فخاطبها مستخبرًا لها عن ذلك، فأجابته:

إنه ربما أحس من أمر ناشئ ، فوقف لك غيري، فسلم عليك، فرددت عليه، فصح الظن، فهذه علامة بيني وبينك، فإذا رأيت يدًا مكشوفة تشير نحوك بالسلام، فليست يدي فلا تجاوب»[1].

وفي هذه القصة تجتذب المرأة صاحبها، فلا يسلم على أخرى وتحقق بذلك أنانية الحب، وتسترعى انتباهه، وتنبه نظره إلى ضرورة الاستيثاق من هوية المرأة المنظورة، وفي الوقت نفسه تصرف نظر النساء عنه؛ لأنه لو أخطأ وتعامل مع أخرى ، ربما ظنت أنه يميل إليها، أو أنه يصبو إلى النسوة الحسان، هذا غير ما فيها من الحذر والتحذير. وهذا سيم سري خاص بين اثنين معينين ولا يعرفه عاشقان آخران ، وكل امرأة تمارس الوصال السري حسب ذكائها، واتساع أفقها ، وظروفها ، وأحوال صاحبها.

والملاحظ في كثير من حكايات العشق، أن المرأة هي دليل الرجل ومرشدته، وهي التي تأخذ بيده وتدبر له، وتُحكم الحيل في هذا ، وربما هذا يناسبها ؛ لأن الرجل يستطيع أن يذهب إلى صاحبته ويتلاقى معها في أي وقت وأي مكان، أما هي فلا

(١) كتاب «طوق الحمامة» مصدر سابق.

تناسبها إلا أوقات معينة وأماكن محددة، وفقا للظروف التي تحيط بها ، والمرأة لا تفكر في إتمام اللقاء فحسب، وإنما يهمها تتميمه وتأمينه، وعندما تسنح الفرصة تغتنمها، ولأنها قادرة على أن ترمز وتلغز، فإنها تخاطب صاحبها بالرموز والألغاز المعماة.

وحيل بعض النساء في مجالنا هذا لا تنفد، وتبصرها بالأحوال قد يكون شاملًا، وتعبيرها ، في رحلتها الغرامية السرية يكون مستغلقًا، وأغراضها مستخفية، ولا شك أنها ذكية، وذكاؤها يتألق عندما تنظر في أمورها الخاصة، ولا يستطيع أحد أن يغالب المرأة إلا من عرف سرها، ولأجل هذا فهي حريصة حذرة، وإذا أرسلت رسالة أو هدية إلى صاحبها، فإنها تكون عبارة عن مجموعة ألغاز، لا يتكشف فيها سر مخبوء، ولا تستطيع العين أن تنفذ فيها إلى ما وراء الغلاف، وإنما تظل عباراتها أو قطعها مغلقة مغطاة، وهناك رجال من هذه العينة، أو أبسط منهن قليلًا، لا تدرك مراميهم. ونحن يصعب علينا معرفة ما بين صاحبين إلا إذا باحا به ، أو أخبرنا به رسول كان يسعى بينهما ، أو إذا قضت الأقدار والمصادفات أن يقعا في خطأ، فتظهر بواطن الأمور، وهاتان الرسالتان بين صاحبين تظهران عمق حيلهما وفكرهما:

دعا رجل «محبوبته إلى النزهة ، فأرسل إليها بمروحة ، وباقة[1] نرجس وسُكّر نبات وشرّابة وعود ، فأرسلت إليه بخيط أحمر وصبّارة وثلاث كمونات سُود ، وغاسول وزُرّ. وفي ذلك من لطيف الإشارة ، ما يدق عن الأفهام، فإنه أراد بالمروحة: نروح، وبالنرجس: إلى الزهر، وبالسكر النبات: نبيت ليلة، وبالشرابة: نشرب، وبالعود: الغناء، وأرادت بالخيط الأحمر : أنها حائض، وبالصبارة: أن تصبر ، وبالثلاث كمونات: ثلاث ليالٍ، وبالغاسول : الاغتسال، وبالزر : الزيارة بعد ذلك».

فكل من الصاحبين كان يفكر ، ويتعمد أن تكون أفكاره غريبة وملتوية، بقصد التتويه والتضليل ، ومهما يجتهد المطالع لهاتين الرسالتين في فهمها فإنه لا يهتدي إلى شيء في مثل هذه الرسائل التي غشيها الإبهام.



(١) الصحيح طاقة.

هدايا العشاق

ويتبادل العشاق الهدايا الرامزة إلى الشوق الفياضة الدالة على الوفاء ، وبعضها لا يخلو من سيم يعني النداء واللقاء ، ومهما يكن من أمر فإن تبادل الهدايا في أية صورة من الصور يبين التواصل، ويظهر أن القلوب مازالت تخفق وتحب.

ومن هذه الهدايا الرامزة كرة من العنبر أهدتها جارية أو قينة مع خادم إلى عبد العزيز بن صلاح الدين ، وكان بينهما عشق حال السلطان الأيوبي دون تواصله واستمراره، فلما فتحها العاشق ألفى في كرة العنبر «زُر ذهب» ولم يفهم مراد محبوبته منه، فلما وافاه القاضي الفاضل وأطلعه على الأمر، كشف له عن الغرض وهو:

أهدت لك العنبر في وسطه ... زرّ من التبر دقيق اللحام
فالزر في العنبر تفسيره ... زُر هكذا مستترا في الظلام

وقيل: إن القاضي الفاضل استنبط كلمة «زُر» بضم الزاي من الزُر بتشديد الزاي وكسرها ، واهتدى إلى كلمة ظلام من

العنبر لسواد لونه، وهذا المثل يرينا أن السيم غير المتفق عليه يحتاج إلى ذكاء وحس دقيق، وقوة ملاحظة، وقدرة على الاستنباط، فإذا عدم المتلقى هذه الصفات، تعذر عليها فهم اللحن.



وأهدت عاشقة إلى بشار بن برد مسواكًا لتلهب مشاعره، وتشعل أحساسيه، فقال:

تسوكت لي بمسواك لتعلمي ... ما طعم فيها وما همت بإصلاح

لما أتاني على المسواك ريقتها ... مثلوجة، كزلال الماء بالراح

قبلت ما مس فاها ثم قلت له: ... يا ليتني كنت ذا المسواك يا صاح[1]

وإهداء المسواك له إيحاءات كثيرة، فهو يعني ضمن ما يعني عند متلقيه الوصل والضم والقبل، وهكذا الشعر يمثل الغزل الماجن الفاحش والكاذب أيضا عند بشار، والمسواك هنا رمز أو سيم يعني التذكير بما كان أو وعد بما سيكون عليه الحال في الأيام القادمة.

والمناديل، كانت ومازالت من هدايا العاشقين، وإنها بعد

(١) الموشي- مصدر سابق.

طى المنديل تصير طياته كصفحات كتاب يمكن للعاشق أن يكتب عليها ما شاء ، لذلك صارت المناديل رسائل وهدايا في آن واحد ، وقد سطر المحبون بين طياتها مشاعرهم واجتهد كل منهم في توصيل أحاسيسه إلى الآخر، وما يدور في خاطره، وما ينتابه من شوق أثناء البعد، وقد تحدث «الوشاء» في هذا الموضوع ، فقال عن المحبين:

«ولهم حسن التأني فيما يريدونه، ولطيف الحيل فيما يحاولونه، وخفى التلطف لما يطلبونه .. ولهم فيما استحسنوا من الهدايا بينهم والبر والملاطفة والمكاتبة والتحفة من غيرهم من يستصغر.

«ومن ذلك كتبهم الملاح، وألفاظهم الصحاح التي يعطفون بها القلوب ، ويسترون بها العيوب، ويستقيلون بها العثرات، ويستدركون بها الهفوات التي استخلصوها من بديع الحرير الصيني، ومليح الملح النيسابوري ، وصفيق الدبيقي الحقي، وتغلغلوا إلى الكتابة في ذلك بالذهب والمسك والزعفران والمسك (نوع من الطيب) واتخذوا لها طرائف المناديل الرقاق وجياد الزنانير الدقاق، وطيبوها بالمسك والذرائر، وعنونوها بمستظرفات الأمثال والنوادر، وطبعوها بنتف الألفاظ

المهلكة، وقد ضمنت من مليح المكاتبة، وطرائف المعتبة، وجميل المطالبة، وأشكال المداعبة، ما يقربون به البعيد، ويهونون به الشديد...».

وهناك أمثلة وافرة لمحبين أهدوا مناديل دونوا فيها أشعارًا تتضمن العتاب، وتشكو تباريح الغرام، وضعف الجسد من طول النوى، وحكما عالية مستنبطة من تجارب الحب، مع التذكير بما كان، وتمنى الوصال بعد النفار، وغير ذلك من الأحاسيس العاطفية، والمشاعر الإنسانية المؤثرة.

ومن هذا أن جارية كتبت لعاشقها في منديل بالذهب تخبره بأن جسدها ضعف ووهى إلى درجة أن أنفاس زائريها وعوادها تسقطها عن الفراش.

هأنذا يسقطني للبلى ... عن فرشي أنفاس عوادي
لو يجد السلك على دقة ... خلقا لأضحى بعض حسادي

ولم يكن عاشقها بأحسن حال منها فقد كتب في منديل إليها:

لا تسألي كيف حالي بعد فرقتكم ... ها فانظري وأجيلي طرف ممتحن
ترى بلى لم يدع مني سوى شبح ... لو لم أقل ها أنا للناس لم ابن

وكتب آخر في منديل أن العتاب لا يؤدي إلى الحب، ما لم تكن هناك محبة أصيلة وباقية في القلب.

أن بعض العتاب يدعو إلى العتـ ـب ويؤدي به الحبيب الحبيبا
وإذا ما القلوب لم تضمر الحـ ـبَّ فلن يعطف العتاب القلوبا

وكتبت جارية حمدونة بنت المهدي على منديلها تشكو صد محبها بلا ذنب أتته:

إليك أشكو رب ما حل بي من صد هذا العاتب المذنب
صد بلا جرم ولو قال لي لا تشرب البارد لم أشرب

وهذه المناديل التي عرضنا لها لم تتضمن معنى خفيا، أو سيما فيه تعمية.



الختام

كيف نشأ السيم؟ وماذا بقى منه؟

ما دام في الحياة فتى وفتاة ، رجل وامرأة ، فهناك حب، ولابد أن يكون بينهما لغة سرية لأسباب كثيرة منها.

- أن المدن والقرى والأحياء ، كانت صغيرة الحجم، ضيقة الدروب، ولا يستطيع فتى وفتاة التجوال فيها، أو الالتقاء في مركزها أو في ناحية من نواحيها.
- وأن تعداد السكان قليل في هذه المدن والقرى ، وكل واحد يعرف الآخرين ، فكيف يتلاقى متحابون؟
- والمرأة في تلك الأزمنة البعيدة محدودة الحركة، معدودة الخطا، لا تبرح خيمتها أو بيتها إلا بمقتضى.

وفي هذه الظروف القاسية يكون الاتصال بين عاشقين بواسطة رسل، وكان الرسول بين المتحابين إما جارية ، أو دلالة، أو امرأة عجوز، أو شخص موثوق به، وعلى صلة ما بالطرفين، وهذه الرسائل تنوعت وتعقدت حتى صارت ألغازًا

مثل رسالة العنبر الذي في وسطه زُر ، حتى لا يفهم حامل الرسائل دلالات ما تحمله، وتنوعت الرسائل حتى صارت تشمل الزهور والثمرات وبعض أجزاء النباتات، ولم أطالع كل الكتب لأحدثك عن مختلف لغات الحب السرية ، ولكن ثق أن ما وقع ، ولم تسجله الكتب أضعاف أضعاف ما سجلته الدفاتر، وما زلنا إلى الآن نستخدم السيم، فيقول: «أ» لزيد اذهب إلى ب ، وقل له: هات كذا وكذا بأمارة كيت وكيت، أي يعطيه أمارة ، والأمارة هنا هي السيم.

في ذلك الوضع الاجتماعي المثقل بالتقاليد والعادات وعدم الاختلاط بين الجنسين ، ظهر السيم، وأعتقد أنه اختراع نسائي تجاوب معه الرجل ، لأن الإدانة تقع عليها أكثر من الرجل، لذلك هي تبحث عن كل وسائل الوقاية والحماية، وهي التي تختار مكان اللقاء وزمانه وفق ما يناسبها، وهي أدرى بأحوالها، أما الرجل فإنه أوفر حرية ، وأقوى إرادة، ويملك نفسه ووقته، ويستطيع أن يذهب إلى أي مكان في الوقت المحدد ، لذلك لا يشترط في الغالب ولا يختار.

وغالبًا ما كان مكان اللقاء ظاهر القرية أو المدينة، أي خارجها في الخلاء أو في أي مكان مناسب، أما الزمان ، فالغالب عليه ، يكون ليلا ليسترهما من عين الرقيب،

ولا نستطيع أن ننكر اللقاءات ؛ لأن كثيرًا من الرسائل الذاهبة والآتية تتعلق باللقاءات، وإذا لم تكن هناك لقاءات فمن أين جاء كل هذا الشعر الذي يحكي تفاصيل كثيرة مما جرى وكان، وقد اعترفت ليلى الأخيلية بلقاءاتها مع توبة بن الحميِّر ، وتنفي التهتك والإسفاف، ولا يعني كلامي أنّ اللقاءات كانت سهلة ميسورة، وإنما أذهب إلى أنها كانت تتم إذا واتت الظروف وساعدت الأحوال.

كذلك فإن سيم المناديل من صنع المرأة؛ لأن المناديل والمناديل الملونة أقرب إلى طبيعة المرأة ، والنساء لا الرجال هن اللاتي ينقشن على أطرافها الحروف والقلوب ، كذلك لم يعرف عن رجل أنه وضع منديلا على كتفه أو تحت أذنه أو شد به وسطه ، فكل هذا من عمل النساء.

كل ما ذكرناه كان قائما حتى القرن التاسع عشر وبعده بقليل.

ثم أشرق نور العلم على المجتمعات التقليدية القديمة، وأضاءها ، وعاجلها بالمبتكرات التي غيرت كثيرا من ثقافاتها ومعالمها ، كذلك عمل الزمن على توسيع القرى والمدن، فصارت بعض القرى مدنا ، وصارت بعض المدن عواصم

إقليمية، وتزايد عدد السكان، واكتظت السبل بالسابلة، ولم يعد أهالي المدن الكبرى يعرف بعضهم بعضا، وإذا انتقل الشخص من حي إلى حي آخر داخل المدينة الواحدة، فقلما يعرفه أحد، وصاحَبَ اتساع المدن، وترامي حدودها ظهور سينمات، وكازينات وحدائق عامة، ومواصلات.

كذلك فإنه في الزمن الجديد تحررت المرأة، وسفرت، وتوظفت أو التحقت بعمل، وصار خروجها كل يوم من بيتها مبررًا، ولم تعد محدودة الحركة، معدودة الخطا، ولم يقتصر الأمر على هذا فحسب، وإنما فاجأنا العلم باختراع الموبايل والإنترنت.

في هذا المجتمع الجديد صار الإنسان ينتقل من مكان لآخر، وفي الزمن الملائم ليلتقى بمن يريد، ويقابله في كازينو أو حديقة أو سينما، ويقول له، ويستمع إليه، ولم تعد مواعيد الاجتماعات تحتاج إلى فك رموز الرسائل مثل رسالة العنبر التي في وسطها زُر، وقد قرب الموبايل المسافات، واختصر الزمن إلى أقل وقت، وهو تليفون خاص سري، كذلك يمكن إرسال رسالة سريعة بواسطة الإنترنت، ويأتي الرد في الحال.

لـذلك أخـذت اللغـات الـسرية الغراميـة تتـوارى ، ورسـل الغرام يختفون، والزهر أمسك عـن الإفـضاء بـأسراره، ولم تعـد أفكار المحبين شاردة ، وقلوبهم دقاقة خائفة، وذهبت المناديـل ، ومضى زمنها ، بل إنها تغيرت ، فقد كانـت قطعـا مـن القـماش، فـصارت قطعـا مـن الـورق، وبعـد أن كانـت تمـسك في اليـد، أصبحت توضع في حقائب.



وعادت الزهرة إلى حالتها الطبيعية ، وفقدت ما كسبته.

فهي زهرة طبيعيـة جميلـة الـشكل واللـون، فواحـة بالـشذى، نفاحة الطيب ، وعنـدما اسـتخدمها المحبـون فقـدت كثـيرًا مـن أوصافها ، وعبرت عن مشاعرهم، وصار لها مغزى ومعنى غير ما عرف عنها ، فبعد أن كان المرء يشمها ، صار العاشق يـضمها لأنهـا قادمـة مـن عنـد حبيـب، والزهـور في الطبيعـة صـامتة ، فصارت مع العشق معبّرة ناطقة ، وهـي ليـست قيمـة في ذاتهـا ، ولكن في الحب تكون قيمتها بما تحمله من سعادات ومـسرات ، ووردة الطبيعة سندها الطبيعة ، ووردة الحب سندها العاطفـة ، وزهـرة الحديقـة غايتهـا الإمتـاع ، أمـا وردة الغـرام فمهمتهـا

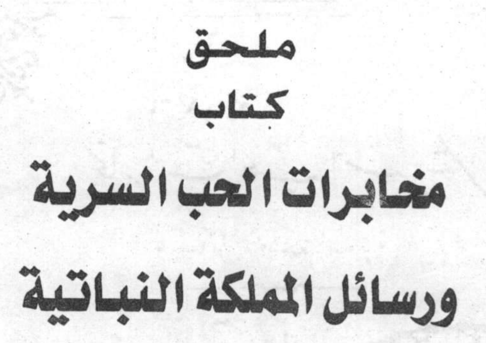
المؤانسة والمحادثة، وزهرة الروضة تذبل ويدركها الموات، وتدوسها الأقدام، وزهرة العشق حمالة المودات محظوظة محفوظة حتى وإن تيبس ورقها، ووردة الرياض لون وشكل ورائحة، ووردة الحب تبهج وتزعج حسب ما تتضمنه من أسرار وأفكار، وزهرة الطبيعة معرض من معارض الجمال، أما عند العاشق فإنها دفتر من دفاتر الأحوال النفسية.

كل هذه المكاسب التي حققتها وردة الغرام، ضاعت في زمن الموبايل، وعاد الزهر يعبق في حدائقه وينشر الروائح الذكية.

ولكن إشارات العيون، واختلاج الجفون، وتحريك الحواجب، وتمتمة الشفاه وانفراجها ومطّها، وزمّها وقلْبها، وابتسامها، وهز الأكتاف، وكل ما يحركه العاشق والمعشوق من أعضاء جسمه، ويؤدي معنى سريا، أقول كل هذا لم يؤثر فيه الموبايل، ولن يؤثر فيه شيء؛ لأن تعبير أعضاء الوجه واليدين ليس هناك ما هو أسرع منه، ولا أصدق، وستزرى هذه الأعضاء الحية بالإنترنت وما سيخترع ويبتكر، فمازال الحب يبدأ بالعين والشفاه، أي بنظرة وابتسامة وكلمة، ويعتمد

على التراثي المباشر والغزل الرقيق المستطاب، وتحسس أطراف الحديث المستعذب، ونجوى العيون ، واستطلاع المحب لمشاعر الآخر التي تبدو وتتوارى وتشتد وتتراخى أثناء حفاوة العين بالعين ، وغمز الجفن للجفن ، وارتياح النفس للنفس.

أحمد حسين الطماوي



ملحق
كتاب
مخابرات الحب السرية
ورسائل المملكة النباتية

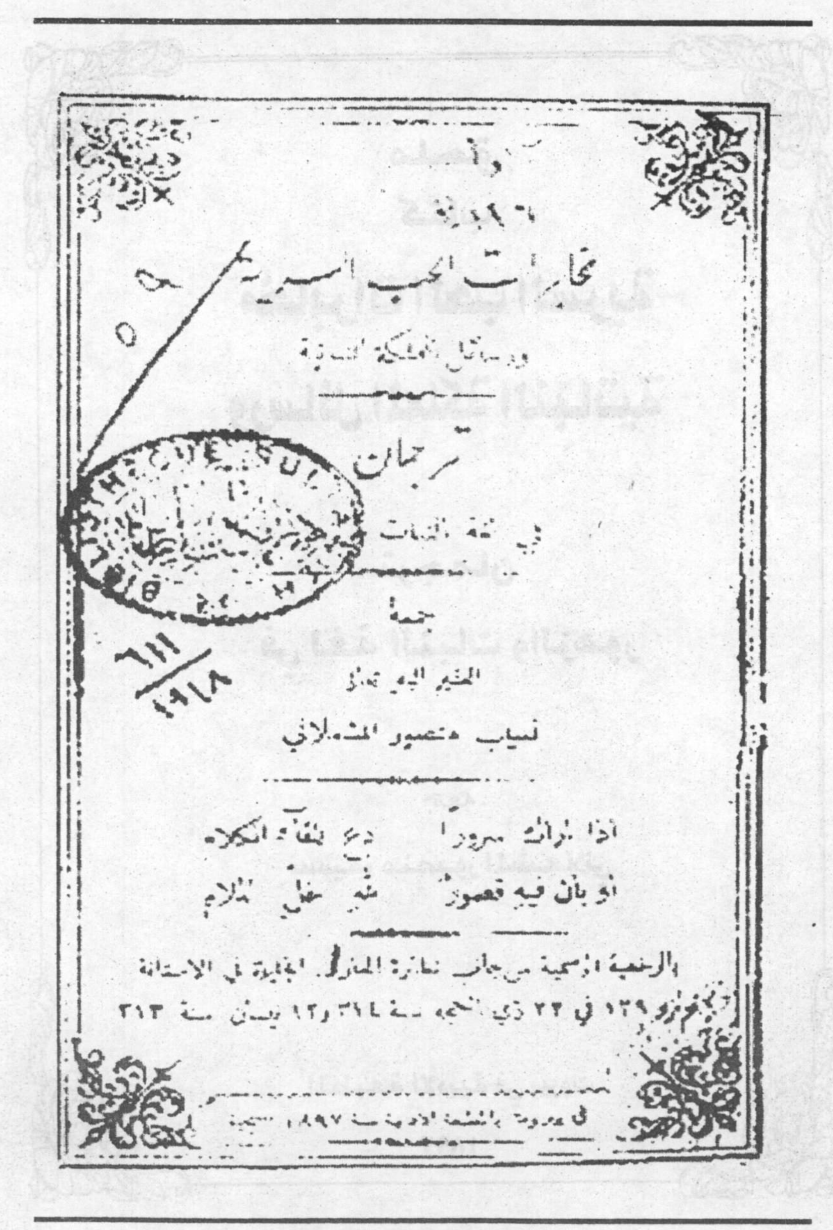
ترجمان
في لغة النبات والزهور

جمعه

نسيب منصور المشعلاني

المطبعة الأدبية في بيروت

١٨٩٧



[illegible]

[illegible]

ترجمان [illegible]

في لغة النبات [illegible]

جمعه

الفقير اليه تعالى

نسيب منصور المشعلاني

اذا لاقيت سرورا … دع لغيري انتقاد الكلام

او بان فيه قصور … [illegible] الملام

بالرخصة الرسمية من جانب نظارة المعارف الجليلة في الاستانة

[illegible] ١٢٩ في ٢٢ ذي الحجه سنة ١٣١٤ و ١٢ نيسان سنة ٣١٣

في [illegible] بالمطبعة الادبية سنة ١٨٩٧ مسيحية

٣

أُقَدِّمُ

كُتَيِّبي هذا

تذكاراً

لسيد الزهور وعنوان السعادة والسرور

أَلْبَنَفْسَجُ

الرقيق الخصال . البديع الهيئة والمثال . رسول اليمن والاقبال . وسفير النزاهة والاعتدال . والبشير بتحقيق الآمال . فحسبي ايتها الزهرة المحبوبة ان افتتح كلامي باظهار قيمتك . واعطرُ عباراتي بشذا رائحتك . واُشهرُ بين الملا ودادكِ وامانتك . فقد جملكِ المولى باحسنِ جمال . وكملك الخالق باوفر كمال . واقامكِ بين الزهور بقدٍ جميل . وخصرٍ نحيل . وكساكِ سندساً وديباجاً . وزمرداً وهاجاً . فنبتِّ على الحشمةِ والادبِ والأمانة . وازهرتِ بين الاخلاص والصراحة والرصانة . وبقيتِ على المراقبة والانتظار والسهر . ترعاكِ في النهار الشمس ويحرسك في الليل القمر . فاصبحتِ عنوان السعادة والاقبال . وتحقيق الرغائب والامال . لا زلتِ ملكةَ الزهور . ما زلتُ حافظاً عهودكِ مقراً بافضالكِ مدى الدهور



سبحان الخالق

الكائنات وما يرى منها وما في الغيب ما خلق المليك الاعظم تهدي الاله شكراً وعبادة حتى النبات قامت يتكلم

سبحانك يا مصدر الانعام ومصدر الاكرام يامنبع الجود ومنبع الوجود ياخالق السموات والارض وما فيها من بدائع الكائنات وغرائب الفرائد والموجودات سبحانك ما علت الزرقاء وغنت الورقاء وانبسطت البطحاء فاي مخلوقاتك لا تدل على علو قدرتك واتساع حكمتك ووفر عنايتك وجود سخائك وفرط رحمتك وكثرة رأفتك بل ايها لا تدل على انك باريها ورازقها ومحييها يامحيي الكون بكلمة يامحرك الجماد بقدرتك يامن تفرد بالكمال يامستحق العبادة والاجلال

خلق الله الانسان خاتمة خلقه وسلطه على كل الخليقة بل جعلها خادمة له تقدم له انواع الخدمة باسرها مما تتداوله الايدي او تنظره الاعين او يتلذذ به الفم او تسمعه الاذن او يتلذذ به الانف الى غير ذلك وقد حوى كل جنس من المخلوقات بدائع شتى ومعانياً جمة لا يستطيع الانسان ادراك كاملها بل انما يتمكن من تحصيل البعض فقد حوت من اسرار المعاني والقوى والماهيات اصنافاً وانسقت بترتيب وجمال كونته يد الاله بحيث صار يعسر تفضيل جمال الجنس الواحد على الاخر او لزوم الجنس الواحد اكثر من لزوم الاخر فالطبيعة او المسكونة باسرها اشبه بكتاب تاريخي كل فصل منه هو جنس من المخلوقات فكلها لازم لاتمام الكتاب وليس كاملاً بدونها او حلقات سلسلة مرتبطة ببعضها ولا كمال للسلسلة الا بوجود جميع حلقاتها

٥

وحين تقلب صفحات كتاب الطبيعة العظيم هذا نرى ما احتوت عليه من بدائع البدائع فلنغض الطرف الان عن كل باب من ابوابها العديدة ولنقف في فصل النبات فنمعن فيه النظر ونتلذذ باستنشاق عبيره واستقطار شذاه ولو خضنا زهوره العطرة اللامعة البديعة القد والجمال الرقيقة الهينة والتماثل الزكية الرائحة المرسومة على صفحات البسيطة وخضنا عباب البحث فيها ورأينا ما تحواه من المعاني والتشابيه العديدة وما تعبر عنه من الافكار المقدسة والتصورات العزيزة والذكرى الحميدة لاتملك النفس عن ان تخر مقرة بعظمة الخالق سبحانه وتعالى وحكمته الفائقة الوصف اذ شئت هذه المخلوقات في صحف الاقطار مثائل مفيدة للبشر فكل انسان يسر بالاحتواء عليها وتبتهج العين بمرآها وينال الانف حظه من التمتع بمغازلتها وضمها واعتناقها وتحبيبه اليها وتقدم للعقل الحاد والذهن الذكي مثائل مفيدة يكسبها ان كان من الطلاب المتأملين ويحرمها ان كان من المتكاسلين

هذا وان زهور ارضنا كواكبها كما ان نجوم السماء زهورها ومتى انقضت مدة اقامة هذه الزهور الجميلة على ارضنا واقترب اجلها فلكي تعوض لنا عن فقدنا اياها ولترفع افكارنا الى تأملات اعلى واسمى واشرف واقدس تبقى لنا منها بزوراً او جذوراً تخلف لها ذكراً حميداً ونسلاً مجيداً فترى خلفاءها يزهون باثوابهم القرمزية فالبيضاء فالسوداء فالصفراء فالخضراء الى غير ذلك على اختلاف الوانها ناظرة الى السماء وباريها كأنها تقول لمبدعها سبحانك ربي فلم اعرمتني النطق لكنت اعبر عن حاسات شكري لك وتمجيدك -
وهي من حين ظهورها الى عالم الوجود تراها رافعة رأسها ناظرة الى السماء مشيرة لنا ان نقطع افكارنا عن العالم وان ننظر الى السماء محلنا ووطننا الابدي المجيد

ومن المعلوم انه منذ الاعصر السالفة والازمنة الغابرة كانت تقدم الزهور من شخص لآخر فتظهر معنى يريده الانسان او عاطفة

يدفعها القلب مسلماً سرها للزهرة فتوصله بكل امانة وتترجم عنه بافصح لسان واجلى بيان فترى مخطوطاً على وريقات كل زهرة عدة تعابير وتعاليم مهمة حتى ان السيد المسيح له المجد كثيراً ما اتخذها مثالاً في كثير من تعاليمه موضحاً بها اشياء كثيرة ذات اهمية . ولا يخفى ما من المعاني الدقيقة في الايات التي قالها الفادي المجيد « انظروا زنابق الحقل انها لا تتعب ولا تغزل ومع ذلك فسليمان في كل مجده لم يلبس كواحدة منها ». وايضاً « هل يجتنون من الشوك عنباً او من الحسك تيناً » وسواه عن القمح والزوان والخردل والكرمة وما شاكل ذلك مما يظهر لنا انه سبحانه وتعالى لم يخلق هذه الزهرة بدون قصد ولا اوجدها لتنبت بضع ساعات او ايام تذبل فتموت فتداس فتنسى بل جعل لها واجبات ذات اهمية ان تعلمنا مسائل شتى وعلينا ان لا نتكاسل عن تعلمها بل ان ننظر اليها بالبحث والتنقيب لبلوغ المرام والسلام

ومن مراجعة التواريخ والتدقيق فيما اختص بعالم النبات نرى ان البشر باصنافها اتخذت النبات وزهوره خصوصاً كشعار يستعملونه لافهام معنى مقصود او لابلاغ افكارهم لبعضهم او اتخاذ زهرة وجعلها رمزاً لصفات يفتخر الفارس الشجاع انه حاز عليها . ومن ذلك الشاعر الانكليزي السير جيوفري شوسار اتخذ زهرة الربيع البيضاء شعاراً له يعبر به عن الجمال والفضيلة المحبوبة وسبب هذا الوصف هو ان اليونان قديماً كانوا يزعمون ان الملكة ألست جاهدت جداً لتخلص زوجها من القتل وفازت اخيراً بان قدمت ذاتها ضحية عنه فارتضت الالهة عن عملها ونسخت روحها الى زهرة جميلة هي زهرة الربيع البيضاء البديعة التي حصلت على هذا اللقب واكتسبت اختيار جيوفري المذكور . ولم يكن عابد ينحني قط لتقبيل المذبح الذي يعتبره لاعظم القديسين بورع وخضوع اكثر مما كان ينحني جيوفري لضم هذه الزهرة المحبوبة ولم يتغزل شاعر في قصائده الطوال باحسن مما

تغزل به رئيس شعراء الانكليز بهذه الزهرة التي دعاها دايزآي (Day's eye) اي عين النهار

وشجرة اللوز شعار الرجاء والحرص والانتباه التي تنمو بكثرة في بلادنا السورية كانت من اهم عرائس شعر الاقدمين في دواوينهم المقدسة وانموذجاً لمعانيهم المؤثرة . ويذكر الكتاب المقدس في سفر العدد ان عصا هارون التي افرخت كانت من هذا الشجر الجميل الذي اختصه دربدن بذاته وجعله شعار المواعيد المباركة .

والبنفسج نبات تاريخي رمزي وهيكل شعري تنسج عليه عرائس الافكار حلى الفصاحة والتشبيه واجاد باستعماله شعراء اليونان والرومان والاوروبيين فقلما كنت ترى قصيدة من منظوماتهم الا وتعطرت بوجود البنفسج وفاحت منها روائحه . ومن احاديث اليونان ان بلوتون تتبع بروسبرينو ونارسي ليقتلهما فوجدها يجمعان باقة من زهور البنفسج واذ كانت هذه الزهرة هي محبوبته فاكراماً لها عفى عنهما . وقيل ان ابولون سأل آيا ابنة اطلس ان تقتبله بعلاً لها فرفضت وهربت منه الى البرية فغضب عليها ومسخها الى زهرة بنفسج . ولما مات انديمون امرت كاليبسو العذارى ان يحرسن جسده المائت ويرششن عليه البنفسج دائماً . وكانت زهرة البنفسج الذهبية تعد من افخر الجوائز التي يجازى بها المنتصر من جيوش الطرب المعروفة بالتروبادور

والعليق نبات تتعلق به معان عديدة وتشابيه جمة وكانت بنات اثينا قديماً يأتين باغصان منه وينشرنها على مذابح الهيا كل التي يقدمن عليها نذورهن الحبية . وحسبه بعضهم شارة الرجاء والحق يقال ان احسن او الزم اوقات الرجاء حين يسكب الولهان نذرمحبته في اذان مستودعة اماله ومالكة فواده .

اما الشقيق فلم يأت اسم نبات مطابقاً لصفاته كما جاء فيه وقيل ان شاباً

توفي اخاه فابى ان يتعزى بعده وآلى على نفسه ان يقيم على ضريح اخيه الى ان يلحق به ولم يكن ليؤنسه في تلك البرية سوى زهرة شقيق نبتت على ضريح اخيه وبعد بضعة ايام دعته ظروف اضطرارية لسفر فسافر ولما رجع وجد ان الزهرة لا تزال على القبر فبهت فيها متاملاً انها كانت اكثر منه امانة في المحافظة على قبر الميت وقال عنها شعراً

قالت شقائق قبره ولرب اخرس ناطق
فارقته ولزمته فانا الشقيق الصادق

واتخذوا الخزام شارة للسرور والفرح وعينوا اياماً دعوها ايام الخزامى كانوا يقيمون له بها عيداً مذكوراً في لا كونيا فيقضون تلك الايام بالملاهي والمسرات ويهدون بعضهم زهور الخزام ويزينوا بها ذواتهم وبيوتهم حتى والطرق التي يسيرون فيها وقيل ان اصل هذه الزهرة هو ان اجكس لما راى ان عولس قد اغتصب اسلحة اشيل وكان هو احق منه بها غضب فطعن ذاته بخنجره فمات واذ سال دمه على التراب انبت هذه الزهرة ودعيت خزاماً

ومن الزهور ما احتملت وجهين من المعاني وكل يعكس الآخر ككف الثعلب مثلاً فهو نبات سام ولذلك يكرهه البعض بينما يعتبره غيرهم اذ يقولون ان له فائدة طبية مهمة تدل على ان الخالق سبحانه وتعالى لم يخلق شيئاً عبثاً بل عيّن لكل شيء فائدة . وقد وصفت هذا النبات الكاتبة الشهيرة باردو في احدى رسائلها قائلة « ان كف الثعلب الذي ينمو بين الصخور الصلبة اشبه شيء بالفضيلة التي تجاهد لتتغلب على النكبات القاسية فيظهر جمالها مضاعفاً بمقابلتها بضدها »

وجاء في كتابات ستريكلاند عن الزهرة المسماة لا تنسني ما يأتي . ان السجين التعيس هنري اوف لانكستر هو الشخص الذي اعطى هذه الزهرة معناها الجميل الذي لا يمحى من الذاكرة فانه كان يرسل لوالدته يومياً زهرة من هذه الزهور الزرقاء الصغيرة التي كانت تنبت على جدران سجنه

و يقول لرسوله « لا تنسني » ثم اقتصر على ارسال الزهرة فقط فكانت توصل معناه المقصود بكل امانة ومن ذلك الحين صارت هذه الزهرة عنوان التذكر وشارة لحفظ الوداد واتخذت لها مقاماً في تاريخ الزهور ليس باقل من مقام وردتي يورك ولانكستر وستيوارت وزنبقة البوربون و بنفسجة نابوليون وحقها ان تكون الاولى بينهن سيما وقد حصلت مع صغرها على اجمل منظر وابدع معنى فهي بعرق نحيل واوراق مستطيله ممتزجة اصفراراً باخضرار نصف شفاف نبت بين تعاريجها خيوط شبه ازرار ذهبية رُصعت دائرتها بالفيروز

وورد عن الوزال اقوالاً شتى اصدقها واقربها لاسمها اللاتيني ان ماتيلده العظيمة امبراطورة جرمانيا حين ودعت زوجها جيوفري بلانتاجنت ارل اوف انجو ابان كان ذاهباً للقتال وضعت في اعلى خوذته بعض ازهار الوزال . وكان جيوفري يخشى عاقبة الحرب لقلة عدد فرسانه ولكن صادفه التوفيق ووافقه الحظ فتغلب على اعدائه وفاز في حروبه . فنسب الظفر الى الزهرة التي وضعتها يد الحب على خوذته فدعاها باسم عائلته بلانتاجنيستا Planta Genista واوصى ان تكون شارته الخاصة وان يتخذها نسله من بعده

تولع شاب بحب ابنة وظهر له انها تحبه ايضاً ولكن لم يخلو لهما الجو لمبادلة حديث الحب وليتحقق كلٌ ما يكنّه له الآخر . وفي ذات ليلة اعد والد الفتاة ليلة رقص دعا اليها جم غفير من اصدقائه وانسبائه ومن جملتهم الشاب المذكور . ففي النهار ارسل الشاب الى حبيبته زهرة كاميليا مرفوقة بهذه العبارة . « ارجوك ان تضعيها هذا المساء على صدر الرجل الذي تحبين ان يكون لك بعلاً » . فاخذت الزهرة وانتظرت قدومه لتضعها على صدره لانها لم تكن تميل لسواه . وفي المساء افتتح الرقص قبل اتيان الشاب وكانت الفتاة واضعة الزهرة في صدرها بانتظار حبيبها . فتقدم اليها ضابط

من المدعوين وطلب اليها ان ترقص معه فلم يمكنها الرفض وبينما هما يرقصان سقطت الزهرة من صدرها . فانحنى الضابط بكل رشاقة والتقط الزهرة وخوفاً من توقيف مجرى الرقص وضع الزهرة في عروته بدون توقف ولا اخلال بالرقص . وحدث ان تلك الدقيقة دخل الحبيب وكله اعين فراى حبيبته مخاصرة الضابط والزهرة في صدره فظنها انتخبته عريساً لها فانقلب راجعاً وفي نفس الليل سافر الى بلاد بعيدة بعد ان حرّر لها كتاب وداع وتهنئة برفيقها الجديد

اما الفتاة فعلمت ما جرى وتأسفت انه لم يمهلها لتوضح حقيقة الامر واجتهدت لتعلم اين استقر حبيبها فلم تدرِ فصرفت بقية عمرها حزينة كئيبة الى ان سئمت الحياة ومرضت فماتت

ذهبت فتاة لزيارة ضريح حبيبها واخذت تندبه وتبكيه وهي تقول « على المحبين ان يترافقا في الحياة والممات فعلام فصلتنا ايها الموت» . واذ ذاك نظرت زهرتين من المارغريت ناميتين على ذلك الضريح فمدت يدها لتلتقط منهما زهرة وهي تقول . « لا احب ان اعرّيك من زينتك ياقبر الحبيب ولكني احب ان آخذ منك هذه الزهرة الواحدة تذكاراً» . ولم تكد تمد يدها لقطف الزهرة حتى نطقت الزهرة الاخرى بما يأتي «قد قلتِ ايتها الفتاة ان على المحبين ان يترافقا في الحياة والممات . وقد نبتُّ مع رفيقتي على هذا القبر في يوم واحد لنموت في يوم واحد فاما ان تاخذينا سويةً او تتركينا معاً» . فارجعت الفتاة يدها وقد تأثرت جداً مما سمعت حتى اغمي عليها ولما افاقت علمت انها لا تقوى على الحياة بعد فكتبت ما جرى لها وطلبت ممن يرى جثتها ان يدفنها بقرب عظام حبيبها واسلمت الروح

وهكذا وجد في كل عصر من الاعصر الغابرة قوم ينتحلون اسباباً لتسمية الزهور باسماء مختلفة واعطاءها القاباً حسبما تتفق لهم الحال وعلى التمادي اضحى لكل زهرة معنىً مختص بها وتألف من ذلك لغة مستقلة بذاتها ضبطت مواردها

وقيودت اوابدها فجاءت سهلة القواعد بسيطة العبارة سهلة الحفظ جامعة المعاني وتداولتها ايدي الناس واستعملوها في جهات كثيرة وترجمت الى لغات عديدة فقلما ترى بلاداً الا وفي مكاتبها مجلدات من هذه اللغة ولا ترى قوماً الا وقد استعملوا ولو اليسير منها . وقد عثرت موءخراً على شيء منها فاحببت تعريبه واثرت جمعه في لغتنا العربية تفهكة للقراء وخدمة لمن شاء ممارسة هذه اللغة البسيطة الخفية ورتبتها على الاحرف المعجائية تسهيلاً فجاء ما جمعته كتاباً صغيراً اقدمهُ بيد الخجل لحضرة القاري الكريم فاذا حصل على رضاه وسرّ به كانت تلك نعمةً ارومها

ولديّ كتاب آخر في الاسباب التي جعلت لكل زهرة معنىً والحوادث التي اوجبت ذلك مع قسم عظيم من انفس القصائد والتقاطيع التي بنيت على اساس هذه الزهور فاذا شممتُ استحسان هذا . باشرتُ حالاً باظهار ذلك والا سترته بنسيج النسيان وابعدته عن العيان كبعد الرقاد عن المتيم الولهان . وكأني بشخص يرى كتابي هذا فيسرهُ جداً وللحال يختار باقة من الزهور ويرسلها لمن امتنع عليه مرآه او عسر عليه لقياه لتوءدي عنه ما يكنه فواده من الامور ذات الشان . فاذ يرى هذه الواسطة السهلة يسكب عليّ الدعاء بالخير والنجاح وكأني بآخر تصله تلك الزهور وليس لديه كتاب يتوصل به لحلّ معماها وفكّ معناها فيقع في حيرة عظيمة ويذم من كان السبب في ايجاد هذه اللغة ومن ترجمها ويمطر عليّ مذمات بقدر ما سكب ذاك من البركات . وعلى كل حال لا بد للانسان من قوم يشكرون وغيرهم يذمون فما باليد حيلة وجلّ ما اتمناه ان يتساوى العددان فما يدفعه المبارك اقيده لحساب من يذمّ وانا ارتضي براس المال .

وتوجد لغات عديدة متفرعة كلغة المنديل ولغة طوابع البريد ولغة القفاز والمروحة الى غير ذلك غير ان هذه انحصرت في بعض كلمات او عبارات اختصت ببعض بني الحب ولم تتعداهم اما لغة الزهور فلم تقف فائدتها عند

هذا الحد بل تعدت جميع اصناف البشر . وكثيرون من علماء النبات جعلوا لكل يوم من ايام السنة زهرة او نبتة تدل عليه فكانت هي رزنامتهم الوحيدة وبعضهم استغنى عن الساعة لمعرفة الوقت واعتاض عنها بالمزولة النباتية وذلك بملاحظة تفتيح الزهور وانطباقها الذي يتم في ساعات ودقائق معينة كما ترى

وقت الانفتاح صباحا (ساعة)	(د ق)	اسماء النباتات	وقت الانطباق مساء (ساعة)	(د ق)
٩		الاقحوان البري	٣	
٧		الاقحوان الافريقي	٣	٤
٦	٧	اذان الفأر	٤	٥
٧		زنابق الماء	٥	
٥		الخشخاش العديم الورق	٧	
٥		الزنبق النحاسي اللون	٧	٨
٣	٥	لحية التيس	٩	١٠
٥		شوك الجمال	١١	١٢
٥		شوك الجمال الازرق الزهر	١٢	
٤		الهندباء البرية	١٢	٥

و يوجد غير هذه من الزهور التي تفتح على مدار ساعات النهار غير انه لما كانت غير معروفة انواعها في بلادنا اقتصرت على ما ذكر

وانا الان لا اروم ادخال لغة جديدة مهمة في حركة الاشغال وعليها تتوقف الحياة ولا اقصد ان آتي بنادرة لم يسبق لها مثال انما كما ذكرت سابقاً قد جمعت هذه الاسماء مع معانيها واحببت نشرها علها تروق في اعين القراء فتكون موضوع تسلية وسرور آملاً ان يضربوا صفحاً عما يجدونه من الخلل فالكمال لله وحده والكريم من عذر

تنبيه . اولاً يستوي في هذه اللغة المذكر والمؤنث

ثانياً ارجاع الزهرة لمهديها تكون جواباً مثلاً لو قدمت زهرة غار لشخص فهي تعني « اموت اذا اهملتني » فاذا ارجعها بنفس الوقت اعنت « لن اهملك قط » وقس عليه

قد اتينا الرياض حين تجلت وتحلت من الندى بجمانِ
ورأينا خواتم · الزهرِ لما سقطت من انامل الاغصانِ

يا مهديـاني بنفسجاً أرجاً يرتاحُ صدري لهُ وينشرحُ
بشرني عاجلاً مصحفـهُ بانَّ ضيق الامور ينفسحُ

ولقد خلوتُ مع الاحبة مرةً في روضةٍ للزهرِ فيها معركُ
ما بين منثورٍ اقام ونرجسٍ مع اقحوانٍ وصفهُ لا يُدركُ
هذا يشيرُ باصبعٍ وعيون ذا ترنو اليهِ وثغرُ هذا يضحكُ



كل الخلال التي فيكم محاسنكم . تشابهت منكم الاخلاق والخلق
كأنكم شجر الاترج طاب معا . حملا ونشرا وطاب العود والورق

ا

ابرة الراعي . خبيزة أفرنجية سوداء = كآبة . غم . حزن
آبنوس . شجرة = سفاهة . سواد الاعمال
ابهل . كوكلان = اسعاف . اغاثة
ابو صفير . ليمون = خداع . تزوير
اترج = جمال سيء الاصل
أثل = ذنب . جناية
اجاص = احفظ الوعد الذي حلفت به
اجاص ياباني = نار محرقة
ادونيس = تذكار محزن . ذكرى مؤثرة
أذان الدب . من زهور الربيع = الشبيبة الباكرة
اذان الدب . اصفر = عدم ثبات
اذان الدب . احمر = أجر وفضل بدون عضد
اذان الفار . لا تنسني = المحبة الصادقة . لا تنسني
اذان الفار . ازرق = اذكرني
ارز . ثمر = انا احيا لك
ارز . شجر = قوة
ارز لبنان = غير قابل التغير
ارز . ورق = حياتي لك
آس = محبة

اسفنجالي = احتياط . تحفظ

أثل = ليونة . طاعة

أشنة . طحلب اخضر = محبة الوالدة

اشنة . طحلب يابس = ضجر . وحشة . ملل

اضاليا = عدم ثبات

اضاليا صفراء = خوف

اضاليا صفراء ذابلة = نوح . بكاء

اقحوان = حزن

اقحوان احمر = علم الغيب

اقحوان افريقي = خساسة العقل

اقحوان افريقي ذابل = عديم الادراك

اقحوان الجنائن = هم . اضطراب . قلق

اقحوان فرنسوي = حسد . غيرة

اقحوان فرنسوي بري = عين شريرة . حسود

اقحوان مع عرق سرو = قنوط . قطع الامل

اكانثوس . جباب = ماهر بالفنون . صناعي

اكرار . نبات عباد الشمس = تعبد . خشوع . امانة

اكرار بيرو = خشوع

اكريمونيا = ممنونية . شكر

اكليل الجبل . عبيثران = تذكار

اكليل ورد = جزاء الفضيلة

اكونيت . خانق الذئب = توحش . شراسة . نفرة

اكونيت . وجل الغراب = صقل . تمليس

البقلة المباركة . هندباء = تقشف

البقلة المباركة . هندباء

أثنيا ٠ خطميه = اقتناع ٠ اعتقاد
الخطميه الشمالية = النظر في الامر قبل الوقوع به
الدالية السوداء ٠ ملعى = جمال عقلي
الشاب العائق = طيش ٠حماقة ٠خفة
الشاب العائق ٠ احمر = بكل قلق وارتعاش
الشاب العائق ٠احمر فاتح = تقلقل ٠ عدم ثبات
الشاب العائق ٠ بنفسجي = اعتمدت ان افوز٠ صممت ان اربح
الشاب العائق ٠ فرزي = تكبر ٠ اعجاب
العروس الحادة ٠ زهرة واحدة = قد فقدت كل شيء
العروس الحادة ٠عرق بزهوره = ارتباط تعيس
المرأة الحسناء ٠ بلادونا = يُبكوت
اليسم اصفر ٠سفرين = قيمتك تفوق جمالك
امبروسيا = ارجاع المحبة بعد السلو
اناناس ٠ تفاح صنوبري = انت كامل الصفات
انجم زهور صفراء = جمال كئيب
انجم زهور صفراء ذابلة = مهجور ٠ منسي
اوراق اشجار ذابلة = كآبة ٠ كدر ٠ سويداء
اوراق اشجار ٠ سوداء = حزن ٠ حداد
اوراق نبات دائم الاخضرار = ذكرك لا يبطل ابدًا
اوراق نباتات ذابلة = حزن

اهديتُ مشبه قدك المياسِ غصنًا نضيرًا ناعمًا من آسِ
فكأنما يحكيك في حركاته وكأنما تحكيه في الانفاسِ

وكأنما الابنذجُ سودُ حمائمٍ — أوكارهُ حمل الربيع المبكرِ
نقرت مناقرهُ الزمرد ممسّاً — فاستودعته حواصلاً من عنبرِ

واشجار اترجٍ كأنّ ثمارها — حقاق عقيقٍ قد مُلئن من الدرِّ
فطالعها بين الغصونِ كأنها — قدودُ عذارى في ملاحفها الخضرِ
أتت كل مشتاقٍ بريا حبيبهِ — فهاجت له الاشجان من حيث لا يدري

لما ادّعى المنثور ان الورد لا — يوني وان يصلى بنارِ سعيرِ
ودت ثغورُ الاقحوانِ لو انها — كانت تعض اصابع المنثورِ



وفشل الورد عن زهر الربيع سوى ان البنفسج اذكى منه في المهج
كانه وعيون الناس ترمقه اثار قرص بدر في خد ذي غنج

ب

بابونج	=	عزم في الشدة . نشاط في الضيقة
باذنجان	=	لا يبان على وجه المرء ما في قلبه
باقة زهور ربيعية	=	فقير ولكن سعيد
باميا . كستنا الفرس	=	الجمال النحيف
بانزي . زهرة الثالوث	=	افتكر بي . آمال
بتولا	=	رقة . وداعة
بخور مريم . دويك الجبل	=	حياتي في الحب ويبقى لماتي
بخور مريم . ذابل	=	حياء . ارتياب
برتقال . باقة زهور	=	عفة . ولائم الاعراس
برتقال . زهرة واحدة	=	طهارتك تساوي جمالك البديع
برتقال . زهور	=	طاهر . عفيف
برتقال . شجرة	=	سماحة . سخاء . كرم
برعم ورد ابيض لم تظهر اوراقه	=	صبوة
برعم ورد ابيض	=	قلبي لم يدر بعد ما هو الحب
برعم ورد احمر	=	طاهر ومحبوب . نقي وحسن
برعم ورد طحلبي . ابو فروه	=	اعتراف بالحب
بردي . حلفاء	=	عدم تبصر . طاعة . ليونة
برسيم . حندقوق	=	اخذ الثار . انتقام
برغل . قمح مجروش	=	مخاصمة . منازعة

برقروق	=	احفظ وعدك
بذرة · نواة	=	اطمئنان · سكون
بسله	=	سرور دائم
بسله · زهور	=	المسرات المخيفة
بسله · قرون	=	نوم هادي
بسله · ورق	=	سبات
بصل	=	احفظ السر الى الابد
بصل ورق	=	ستميتني
بصيله	=	اسفي واحزاني تتبعك الى القبر
بطاطه	=	احسان · محبة · عمل خير
بطم	=	قلبك خال من الحب
بطيخ · اخضر	=	كبر · ضخامة
بطيخ · كاكتس	=	حرارة · دفء
بطيخ اصفر	=	استمالة · تمليق
بقدونس	=	مسرات · ولائم
بقس	=	احتمال بصبر وتجلد
بقس · شجرة	=	عدم المبالاة بصروف الدهر
بقلة مباركة · هندباء	=	تقشف · زهد
بقلة الملك	=	حقد · ضغينة
بلح	=	هزل · مزح
بلسم	=	ميل · اشتراك بالحاسات
بلسم احمر	=	لا تلمسني
بلسم احمر بلا ورق	=	آمال لاصبر عليها
بلسم اصفر	=	ملل · عدم صبر

بلسم جلعاد	=	شفاء . ابراء . اسعاف . معونة
بلوط	=	ليس لك عليّ سلطة
بن . زهر	=	لا تخف عليّ
بن . غصن	=	انا فرحان
بن . ورق	=	اموت اذا فارقتني
بن . شجرة	=	وعيت الكل في فكري
بن . حب	=	تسلية
بن مسحوق	=	كيف اجتهد ان ابقيك فرحانا
بنج . نبات مخدر	=	عدم الكمال . نقيصة
بندق	=	صلح . وفاق
بنفسج	=	خلوص . امانة
بنفسج ابيض	=	حشمة . ادب
بنفسج ابيض كبير الاوراق	=	اخلاص . صراحة
بنفسج احمر	=	سهر . انتظار . مراقبة
بنفسج اصفر	=	سعادة هنيئة
بنفسج بري	=	آمال
بهار	=	شفقة
بهار البر . عرار	=	صبر
بوصير . لبدة بيضاء	=	حسن الطبع
بوصير . نبات الماء	=	طبيعة جيدة
بوقيصا . شجرة البق	=	شهامة
بلادونا . المرأة الحسناء	=	سكوت
بيض الجن	=	مسرات خطرة
بابيروس	=	قلبك ميال لكل من تنظره

اشرب على زهر البنفسج قهوةً تهدي السرور لكل صبٍّ مكمدِ
فكأنهُ قرصٌ بخدٍّ مهفهفٍ او اعينٍ زرقٍ كحلن باثمدِ

اما ترى البان الذي يزهو على كل الغصون بقده المياسِ
واتى يبشرُ بالربيعِ وقربهِ يختال في السنجابِ والبرطاسِ

اتانا غلامٌ فاق حسناً على الورى ببطيخةٍ صفراء في لون عاشقِ
فشبهتهُ بدراً يقد اهلةً من الشمسِ ما بين النجوم ببارقِ

وخلٍّ اتى في الكفِّ منه بدبةٍ وقد لاحَ في خديهِ شبهُ شقيقِ
فمال الى بطيخةٍ ثم شقها وفرقها ما بين كلِّ صديقِ
فشبهتها لما بدت في اكفهم وقد عملت فيهم كؤوس رحيقِ
صفائح بلورٍ بدت في زبرجدٍ مرصعةً فيها قلوبُ عقيقِ



تفاحةٌ كسيت لونين خلتهما   خدّي محب ومحبوب قد التصقا
تعانقا فبدا واشٍ فراعهما   فاحمرّ ذا خجلاً واصفرّ ذا فرقا

ت

تبن	=	خصام . عراك
تبغ	=	اياك والافراط
ترمس	=	نهم . شراهة
ترنج . (كبّاد)	=	جمال مسيء الاصل
تريليوم	=	جمال محتشم
تفاح	=	تجربة . اغواء
تفاح . زهرة	=	رجاء . أمل
تفاح . زهور	=	تعزية
تفاح . غصن بزهره	=	افضلية الشهرة تدل على عظمة وصلاحية
تفاح صنوبري . اناناس	=	انت كامل
تمر حناء	=	صفاتك تفوق محاسنك
تنباك	=	انسى كل همومي عند رؤياك
تنباك . شجرة	=	ارضيني فارضيك
تنباك . زهور	=	تركتك للابد
توت افرنجي . شجرة	=	اعتبار وحب
توت . شجرة بيضاء	=	حذاقة . حكمة
توت . شجرة سوداء	=	لا احيا بعدك
تين	=	برهان . حجة
تين احمر	=	جدال . عراك

تين بقراطي = بطالة ٠ كسل
تين شجرة = اقبال ٠ خصب

اهدى لنا التفاح من كفه ... من لم يزل يجنيه من خده
وخط بالمسك على بعضها ... قد عطف المولى على عبده

وتفاحة من سندس صيغ نصفها ... ومن جلنار نصفها وشقائق
كأن الهوى قد ضم من بعد فرقة ... بها خد معشوق الى خد عاشق



ان السماء اذا لم تبكِ مقلتها ... لم تضحك الارض عن شيءٍ من الثمرِ
والارض لا تنجلي انوارها ابدًا ... الا اذا رمدت من شدةِ المطرِ

ث

ثدي العنز (بزازالعنزة)	=	كره شديد ٠ حقد
ثمر افرنجي	=	توقع ٠ تسليف ٠ انتظار
ثوم	=	لا تقدر على كتمان السر
ثوم ٠ ورق	=	اياك ان تثلم صيتك فيعسر الاصلاح

اما ترى الارض قد اعطتك ثمرتها ... مخضرة واكتسى بالنور عاريها
فللسماء بكاء في جوانبها ... وللربيع ابتسام في نواحيها



بدا لنا الجلنار في القضُبِ والطلُّ يبدو عليهِ كالحببِ
كأنما أكؤُس العقيق بهِ قد ملئت من برادةِ الذهبِ

ج

جاردينير	=	لطف . تصفية . تكرار
جباب	=	ماهر بالفنون . صناعي
جبس . بطيخ	=	كبر . فخامة
جذر نبات	=	جمال دائم
جذر نبات معقد . بيض الجن	=	مسرات خطرة
جراب الراعي	=	انا اعطيك كل شيء
جلبان . زهور حمراء	=	المسرات النحيفة
جلبان . عرق	=	سرور مستمر
جلبان . ورق	=	موعد
جزر	=	الحب يزداد تأصلاً
جميز	=	فضول . تحرش
جوز	=	صاحب عقل حاد
جوز . ورق	=	انا في ضيق
جوز الطيب	=	استحسان . عجب

وجميزةٍ قد ضمها بيمينه لجمرة نارٍ وهي باردة اللمسِ
فقربها من خدهِ فتألقت فشبهتها المريخ في دارة الشمسِ



قضيبٌ من الحبق الذكي ولونهُ اذا ما بدا للعين لون الزبرجد
فشبهتهُ لما بدا متجعداً عذاراً تبدّى في سوالف أغيد

ح

حبال نباتات متعرشة	=	ربط • قيود
حب المال	=	غلط ورائي
حبق • ريحان	=	كره • بغض
حبق • زهور حمراء	=	احمرار الخجل
حبق • زهرة واحدة	=	أشواق شديدة
حبق الدجاج •	=	موعد • ملتقى
حبق الدجاج اوراقه مروسه	=	بسيط ولكن حاذق
حيل المساكين • ليلاب	=	خلوص • امانة
حرّاق • تربّص	=	وشاية • نميمة
حسن يوسف	=	ظرافة • شجاعة • شهامة
حشيش	=	طاعة • خضوع • نفع • فائدة
حشيشة البحر • يابسة	=	متغير • مهذار
حشيشة البحر	=	برودة وجمود • بساطة القلب
حشيشة الدينار	=	يراقبوننا
حشيشة الدينار • زهرة صغيرة	=	تواضع • تذلل
حشيشة الدينار • زهرة كبيرة	=	اكتساب الخاطر بالحيلة • تمليق
حشيشة القنطاريون	=	نحافة • رقّة
حشيشة المستحيية	=	شعور • خفيف الاحساس
حشيشة المستحيية • زهور	=	جبانة • خجل

حشيشة حبشية	=	جمال رائع
حلبلوب	=	زهد . تنسك
حلفاء	=	عدم تبصر . طاعة
حلق الست	=	ذوق حسن
حمص اخضر	=	سرور دائم . ناعم البال
حمص يابس	=	رحيل . فراق . سافارقك
حمص . زهور	=	المسرات النحيفة
حميض	=	حب . ميل . شوق
حميض . زهره	=	افراح باكرة
حميض . ورق	=	حنوّ
حميض افرنجي	=	حذاقة في غير وقتها
حميض بري	=	فرح . سرور
حميض بري . زهور	=	حنوّ الوالدة
حناء	=	صفاتك حسنة ومحاسنك احسن
حناء . زهور	=	اياك ان تفعل . منع
حندقوق	=	انتقام . سآخذ بثاري
حور . ابيض	=	وقت . لا تستعجل
حور . اسود	=	شجاعة

دخلنا الحديقةَ عند السحر — فصاحَ علينا الرقيب الحذرْ
فلا تقربوا الحورَ اذ انهُ — حزينٌ لفقدِ الجنى والثمرْ

نامَ طفلُ النبتِ في حجرِ النعامى ... لاهتزازِ الطلِّ في مهدِ الخزامى
كحلَ الفجرُ لهم جفنَ الدجى ... فغدا في وجنةِ الصبحِ لثاما
تحسب البدرَ محيّاً ثملاً ... قد سقتهُ راحة الصبحِ مداما

خ

خانق الذئب . اكونيت = توحش . شراسة . نفرة
خانق الكلب . ابوسينوم = خداع . كذب . انت كاذب
خبيزه = لطف
خبيزة ورق = عذوبة . رقة . لين
خبيزة افرنجية - اوراقها سنديانية = الصداقة الحقيقية
خبيزة افرنجية - اوراقها فضية = استرجاع - أرجع لي
خبيزة افرنجية . اوراقها قرمزية = تعزية . سلوى
خبيزة افرنجية . اوراقها مقلمة = مهارة . حذاقة
خبيزة افرنجية . بري = تقوى حقيقية
خبيزة افرنجية . جوز طيب = اجتماع منتظر
خبيزة افرنجية . زهور الباشا = تفضيل . افضلك على سواك
خبيزة افرنجية . عشق = اكرام عرسي
خبيزة افرنجية . كالليمون = التقاء غير منتظر
خد البنت . ورد = اذا كنت تحبني فالحص عن ذلك
خربق = اهانة . فضيحة . وشاية . غام
خردل . بزر = عدم اكتراث
خرطان = لي ميل للموسيقى
خروب . شجرة = ظرف . ملاحة

خروب . شجرة خضراء	=	وداد وحب يدومان لبعد القبر
خروب . ثمر اخضر	=	لا اقدر ان احبك
خروب . ثمر اسود	=	فراقك احرق قلبي
خروع	=	قل لي ماذا تريد ان افعل
خزام	=	شهرة . صيت
خزام . باقة	=	النظر محبوب ولكن الصيت محبوب اكثر
خزام ابيض	=	حسن غير فضولي
خزام ابيض . باقة زهور	=	محاسنك خادعة
خزام احمر	=	اشهار الحب
خزام ازرق	=	لعب . لهو . مزح . هزل
خزام ازرق زهوره كبيرة . وحواح	=	مواظبة . مداومة
خزام اصفر	=	حب بلا أمل ولا رجاء
خزام قرمزي	=	حزن
خزام مشكل	=	عيونك البديعة تقتلني
خس	=	ما ابرد قلبك
خشخاش ابيض	=	ياقاتلي انت تحبيني
خشخاش احمر	=	نوم . اسراف الوقت
خشخاش . زهر	=	تعزية
خطمية	=	اقتناع تام
خطمية . زهور	=	جودة . احسان
خطمية . سورية	=	فنيت شوقاً . ذبت وجداً
خطمية شمالية	=	النظر في الاحر قبل وقوعه
خطمية فينيس	=	جمالك لا يماثل
خطمية . نبات	=	سحر . عرافة

خطمية • نبات بزهوره	=	خصب • اقبال • اتمنى لك النجاح
خفت • سذاب	=	ليونة • طاعة
خنشار • مرخس	=	رقية • سحر
خنشار • زهر	=	هواجس • شرود الافكار
خوخ	=	عواطف الحب
خوخ • عرق بزهوره	=	إحفظ وعدك
خوخ بري	=	لا اريد ان تحكم علي
خوخ شجرة	=	تعزية • تسلية
خوخ • شجرة مزهرة	=	امانة • ولاء
خوخ هندي	=	خسارة • فقد • حرمان
خيار • زهور	=	لا يغيرني الا الموت
خيار	=	مهما تقلبت الاحوال ازداد ولاء

اهدى الي الصديق خوخاً منظره منظر انيق
من كل مخصوصة بحسن معناه في مثلها دقيق
حمراء صفراء مستعار بهجتها التبر والعقيق
كوجنة مسها خلوق فزال عن بعضها الخلوق



انظر الى الدفلى و كيف تعانقت وتفارقت بعد التعانق رجعا
كالصبِ حاولَ قبلةً من الفمِ ورأى المراقبَ فانثنى مسترجعا

د

دائم الاخضرار • شوك هليون	= تعزية في الضيق
دالية	= سكر • ثمل • انت اسكرتني
دالية سوداء • ملهى	= انا فقير
دراقن	= صفاتك ومحاسنك لا تماثل
دراقن زهور	= تجديد • ارجاع • اصلاح
دراقن • زهور يابسة	= حقود • سيء الطبع
دراقن • غصن فيه زهرة	= انا اسيرك
دراقن • شجرة	= نجاح
دردار • شجرة	= عظمة
دردار	= شهامة
دردار • لسان العصافير	= فطنة
دردار بري	= احب البقاء على ما انا فيه
دردار جبلي	= انت معي بكل امان
دردر	= خساسة • دناءة
درس • حندقوق	= انتقام
دفلى	= خطر • احترس • كن على حذر
دفلى • شجرة	= مجد
دفنه • غار	= تصوير • تلوين
دلب شجرة	= حذق • مهارة • ذكاء

دوار الشمس	=	غني كاذب
دير دور	=	الامانة الانثوية
دور دور . ملون	=	مشابهة
دور دور . ورق	=	سهولة
دويك الجبل . بخور مريم	=	حياتي بالحب و يبقى لماتي
دويك الجبل ذابل	=	حياء . ارتياب . عدم ثقة
ديسم	=	خلاعة . تصنع
ديسم . سالف العروس	=	خلود : حبي لك لا يعتريه ذبول
ديسم . عرف الديك	=	خداع . ادعاء . تصنع
ديشار	=	لطيف ولكنك صعب الانقياد
دينار . زهرة صغيرة	=	تواضع . تذلل
دينار . زهرة كبيرة	=	تمليق اكتساب الخاطر بالحيلة

سألت الدلب لم تعرى شتاء ... وتبدو في الصيف وانت كاسِ
فقال لي الربيعُ على قدوم ... خلعتُ على البشير به لباسي

قد قيل للاغصان ان الحرب سو ... ف تشب في كل الزهور المثمره
فاعارها القصب البديع رماحه ... واجاد في ترتيب عسكره الذره

ذ

ذرق . برسيم = اخذ الثار
ذره . قش = تحب الانتظام ولكن لا تعرف كيف
ذنب الهر = هزل . طرب . لعب

انظر الى ذُرَةٍ سوداء قد حملت ... اوراقها ثمراً ناهيك عن ثمرِ
تراه في اخضر الاوراق مستتراً ... كما اختبى الزنج في خضرٍ من الأُزُرِ





وغصن من الريحان اخضر ناضر تمايس غصني نرجس وشقائق
يريك اذا كف الصبا عبثت به شمائل معشوق وذلة عاشق

ر

راوند = مشورة . نصيحة
رتم . وزال = غضب . غيظ
رجل الطير = اخذ الثار . انتقام
رجل الغراب . آكونيت = صقال . تليع . تمليس
رجل الغراب . اوراق مقرنة = نظافة . طهارة
رجل المهر = سافعل على خاطرك
رشاد = ثبات . قوة
رشاد هندي = خطوط اظافرك دموية
رمان = جهل . حماقة
رمان . زهرة = انت عيوق كامل
ريحان = كره . بغض
ريحان . حبق = اشواق عظيمة

اقول وطرف النرجس الغض شاخص الي وللنمام حولي المام
ايارب حتى في الحدائق اعين علينا وحتى في الرياحين نمام



وزهرة من زنبق انوارها وهّاجة
صفراء في مبيضّةٍ كالراح في زجاجة

ز

زان = يوجد وقت
زان . شجرة = علو . ارتفاع
زعرور = حسن غاش . جمالك اصطناعي
زعرور . عرق مزهر = الانسان يُغش بمجرد المحاسن الظاهرة
زعرور بري = رجاء . امل
زعرور . شوك = قساوة . عنف
زعفران = احترس من الافراط
زعفران . كركم = هناء . فرح . طرب
زعفران . زهور = لذة الآمال
زعفران بري = قد مضت احسن ايامي
زمزريق = حق . صدق
زمور الباشا = انا افضلك على سواك
زمور الباشا احمر غامق = شهرة
زمور الباشا اوراق رمادية = افتراق . انفصال
زنابق الماء = طهارة . نقاوة القلب
زنبق = شهرة . صيت
زنبق ابيض = حسن غير فضولي
زنبق ابيض طاقي = عفة . طهارة . رقة . عذوبة
زنبق ابيض مكبس = ظرافة . انس . لطف

زنبق ابيض رفيق الورق	=	طهارة وحشمة • عفة وشهامة
زنبق احمر • وحواح	=	لهيب • انا احترق
زنبق احمر طاقي	=	اشهار الحب
زنبق أزرق	=	لعب • لهو • مزح
زنبق اصفر	=	كذب • غش
زنبق أصفر طاقي	=	حب عديم الأمل
زنبق الحقل	=	رجع السعادة • اعادة السرور
زنبق بري	=	طهارة • نقاوة
زنبق بنفسجي	=	نار
زنبق ملوّن	=	عيونك بديعة
زنبق مكبس	=	طهارة الحب الصادق
زنبق مار يوسف	=	جاوبني حالاً
زنبق خرزي	=	ارى في سعادتي حزناً
زنبق يومي	=	غنج • دلال
زهر البرتقال	=	طاهر • عفيف
زهر التفاح	=	تعزية
زهر الحلزون	=	فراق • رحيل
زهر الحلزون • جلبان	=	المسرات الخفيفة
زهر الحلزون • ابيض	=	يسرني جداً التذكر بك
زهر الحلزون • ازرق	=	صداقة باكرة
زهر الحيض	=	افراح باكرة
زهر الدراقن	=	حقود • سيء الطبع
زهر الربيع اميركاني	=	جمال بديع
زهر الزينة	=	تذكر الاصحاب الغائبين

زهر الشمع = قد تأثرت جداً

زهر العسل = المحبة السرية اللذيذة

زهر العسل . غصن مزهر = عواطف حبي مخجلة في تقديم خضوعها

زهر العسل . ليلاب = المحبة الاخوية

زهر العسل . غصن بدون ورق = روابط الوداد

زهر العسل . فرنساوي = جمال باطل

زهر العسل . بنفسجي = لون نصيبي

زهر العليق = سرور ممزوج بألم

زهر العليق . غصن = خشونة . فظاظة

زهر العليق . غصن بلا شوك = اتحاد الجمال بالبساطة والطهارة

زهر الغار = اموت اذا تركتني

زهر الوزال = محبتي لا تتغير

زهر اللؤلؤ = الوداع

زهر اللؤلؤ . غصن = سافتكر بذلك

زهر اللؤلؤ . بري = سنرى في ذلك

زهر اللؤلؤ . جنائني = اشاركك في حاساتك

زهر اللؤلوه . ملوّن قليلاً = حسن . جمال

زهر اللؤلوه . مكبّس = دائرة عديمة الانفصال

زهر الليمون = محبة الزيجة

زهر الليمون الحلو = الامانة في الحب

زهر البرتقال = طهارتك تساوي جمالك

زهرة التفاح = شهرتك تدل على عظمة وصلاح

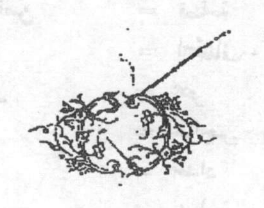
زهرة الثالوث = افكار . آمال

زهرة الجرس . برشاء = حزن

زهرة الجرس · بنفسجي	=	مداهنة · تمليق
زهرة الجرس · بيضاء	=	ممنونية · شكر
زهرة الجرس · زرقاء	=	اقرار · اعتراف · تسليم
زهرة الجرس · هرمية الشكل	=	عزم وثبات
زهرة الذبان	=	خطاء · غلط
زهرة الربيع	=	رقة · جاذبية القلب
زهرة الربيع · بيضاء	=	طهارة · عفة
زهرة الربيع · اميركاني	=	انت معبودي
زهرة الربيع · جنائني	=	اشاركك بحاساتك
زهرة الرتيلا · بيضاء	=	حذاقة · مهارة
زهرة الرتيلاء · غصن	=	تهنئة لوقت قصير
زهرة الرتيلا · حمراء	=	اعتبار ولبس حب
زهرة الرتيلا · حمراء · غصن	=	خفة · مهارة
زهرة الرمان	=	العيافة الكاملة
زهرة الشمس · مستديرة	=	سجود · عبادة
زهرة الشمس · مستطيلة	=	كبرياء · عجرفة
زهرة العليق · برية	=	خشونة · غلاظة
زهرة الغزار · قصب	=	ثقتي ورجاءي بالسماء
زهرة الكردينال	=	حقد · ضغينة
زهرة النحلة	=	اجتهاد · مواظبة
زهرة النحلة · غصن	=	فرح وسرور
زهرة النحلة · حمراء	=	سهو · غلط · خطاء
زهرة النحلة · نبات	=	دعني اذهب
زهرة النجم اميركاني	=	مرحباً بالغريب · سرور في الشيخوخة

زهرة عمشق · خماسية الاوراق	=	محبة الوالدة
زهرة مار يوحنا	=	حقد · بغضة
زهور الربيع · باقة	=	فقير ولكن سعيد
زهور الربيع · اذان الدب	=	الشبوبية الباكرة
زهور صفراء · برية	=	مهجور · منسي · جمال كئيب
زهور تفاح	=	رجاء · أمل
زهور درافن	=	انا اسيرك
زوان	=	مثالب الرذيلة
زوفاء	=	براءة · نقاوة
زيزفون · اشجار	=	محبة الزيجة
زيزفون اميركاني	=	زيجة
زيتون	=	سلم
زيتون · ورق	=	بشارة حسنة

زنبقٌ بينَ قضبِ آسٍ وبانٍ واقاحٍ ونرجسٍ وورودِ
كجبينٍ وعارضٍ وقوامٍ وثغورٍ واعينٍ وخدودِ



سفرجلة جمعت اربعا فكان لها كل معنى عجيب
صفار النضار وطعم العقار ولون المحب وريح الحبيب

س

ساق نبات	=	حب لا ينقطع
ساق القمح	=	مال . ثروة . غنى
ساق نبات مع القرمية	=	صبر . يجب ان تصبر
ساكينا	=	الفضيلة
ساكينا الجنائن	=	احترام . اعتبار
سالف العروس	=	حب لا يعتريه ذبول
سالف العروس . ديسم	=	خلاعة . تصنع
سبانخ	=	شرك . فخ
سبانخ . زهور بيضاء	=	قد غدروني . خانوني
سبانخ . زهور حمراء	=	محبة الصبا
سبانخ . زهور حمراء . غصن	=	الحب الاول
سحلب . نبات	=	انك حسناء
سدرة . نبق . غصن	=	فصاحة
سذاب . فيجن	=	استخفاف . احتقار
سرخس . خنشار	=	سحر
سرخس . زهور	=	هواجس . شرود الافكار
سرو	=	حداد
سعتر	=	خسامة
سعتر . زهور	=	نشاط . اجتهاد

سعتر دق = مرارة الاحساس

سفرجل = وسوسة . غرور . تجربة

سفرين = القيمة تفوق الجمال

سكسفراج طحلبي = محبة . وداد . شوق

سماق = رونق . بهاء

سمسم = نحافة . ظرف

سميسمة = وحدة . نسك . انفراد

سميسمة بيضاء = حظك جيد

سن الاسد = رايك لا يناسب

سنديان = حرية

سنديان . ابيض = استقلال

سنديان . ورق = ترحاب . ضيافة

سنديان شجرة = بسالة . شجاعة

سنط = صداقة

سنط . ابيض = ظرافة . انت جميل

سنط . احمر = كلك جميل

سنوبر = اشفق علي

سنوبر . غصن = الرجاء في الضيقة

سنوبر . ثمر = فلسفة

سنوبر . ورق يابس = صاحب قيمة

سوس = قطع العلاقة

سوسن = رسالة . تحرير . اكتب لي

سوسن بري = ليل . ظلمة

سوسن بري احمر . وحواح = المحبة تساعد في تقدير الانسان قدره

سوسن بري ازرق صغير . وحواح = سكون . راحة

سوسن جرماني = شملة . لهيب

سوسن بري كبير الزهر = امالي خمدت . مساعي لم تنجح

سوسن بري . لفاف = ربط . قيود

سيسبان = غيرة . حماسة

سوسن . خزام = شهرة . صيت

سوسن احمر = اشهار الحب

سوسن مشكل = عيونك جميلة

سوسن اصفر — حب بلا امل

سفرجلة صفراء تحكي بلونها محيا شجاه للحبيب فراق
اذا شمها المشتاق شبه ريحها بريح حبيب لذ منه عناق
وطيبة عند المذاق لطعمها كريق حبيب طاب منه مذاق

سقياً لارض اذا ما غث نبهني بعد الهدو بها قرع النواقيس
كأن سوسنها في كل شارقة على الميادين أذناب الطواويس

وسدرة كل يوم من حسنها في فنون
كأنما النبق فيها وقد جلا في العيون
جلاجل من نضار قد علقت في الغصون

قالت شقائقُ قبرهِ ولربَّ اخرسَ ناطقُ
فـارقتـهُ ولزمتهُ فانا الشقيقُ الصادقُ

ش

شاب العائق	=	طيش . حماقة . خفة
شاب العائق . احمر	=	بكل قلق وارتعاش
شاب العائق . اصفر	=	تقلب . تقلقل
شاب العائق . بنفسجي	=	لا احول عن عزمي
شاب العائق . قرمزي	=	تكبر . اعجاب .
شارب السبع	=	سذاجة . غباوة
شاهترّج . بقلة الملك	=	حقد . ضغينة . كره فائق
شاي	=	انتظرني لما ينام الجميع
شجرة آبنوس	=	فحشاء . سفاهة . سوء
شجرة البق . بوقيصا	=	شهامة
شجرة اللبن	=	وجودك ومرآك يخففان آلامي
شجرة البرتقال	=	سماحة . سخاء . كرم
شجرة بقس	=	عدم المبالاة بصروف الدهر
شجرة توت افرنجي	=	اعتبرك واحبك
شجرة توت بيضاء	=	حذاقة وحكمة
شجرة توت سوداء	=	لا احيا بعدك
شجرة تين	=	اقبال . خصب
شجرة خروب	=	ظرافة . ملاحة
شجرة خروب خضراء	=	ودادي وحبي يدومان بعد القبر

شجرة خوخ	=	تعزية ، تسلية
شجرة خوخ ، مزهرة	=	الامانة ، الولاء
شجرة دراقن	=	نجاح
شجرة دفلى	=	مجد
شجرة دلب	=	حذق ، مهارة ، ذكاء
شجرة زان	=	علو ، ارتفاع
شجرة سنديان	=	ترحاب ، قوة ، بسالة
شجرة شوم	=	دوام ، بقاء
شجرة غار	=	مجد
شجرة كبوش افرنجي احمر	=	حذق ، حدة
شجرة كرز	=	تهذيب جيد
شجرة كستنا	=	انصفني
شجرة لسان العصافير	=	عظمة
شحمة الارض ، فقعة ، كمأة	=	تعجب ، انذهال
شربين اسكوتسي	=	علو ، ارتفاع
شقايق النعمان	=	محاسنك براقة
شقايق النعمان ، بري	=	نكران الجميل
شقائق النعمان ، جنائني	=	كلك محاسن ، عندك جاذب قوي
شقيق احمر	=	محاسن ، ولاء
شقيق ازرق	=	ليس لك ولا دعوى
شقيق اصفر	=	نكران الجميل
شقيق اصفر ذهبي لامع	=	انا مسرور
شقيق اصفر ، مكبس	=	اشتهي الغنى
شقيق الجنائني	=	نسيان ، هجران

شقيق • بري = مرضت من الانتظار

شمرة = تستحق كل مديح

شنجار احمر = غلاظة

شنجار ازرق = لا تلمسني

شوفان = عذوبة الموسيقى

شوك اخضر وليع • هليون = تعزية في الضيق

شوك اسود = صعوبة

شوك الجمال = خشونة الطبع

شوك الجمال اسكوتسي = انتقام • تعويض

شوك الجمال يابس = نفرة من الناس

شوكران = انت سبب موتي

شوك • غصن = قساوة • عنف

شوم = دوام • بقاء

حييتها بشقائق في مجلس ... ورأى الرقيب فشق ذاك عليها

فاحمر من خجل فانبت خدها ... اضعاف ما حملت يداي اليها



اصبر قليلاً وكن بالله معتصماً لا تعجلنّ فان العجز بالعجلِ
الصبر مثل اسمه في كل نائبةٍ لكن عواقبه أحلى من العسلِ

ص

صبر = حزن ، مرارة
صبير = هجو ، انتقاد
صفصاف = خاوص ، صدق ، صفاء
صفصاف ، باكي = حزن ، حداد
صفصاف ، عشب = حجة ، دعوى
صفصاف ، فرنسوي = الشجاعة الانسانية
صفصاف ، مستحي = المحبة المنسية
صفصاف ، مائي = سأفعل مرادي بدون معارض
صفصاف ، نبات بعروق = حجة ، ادعاء
صمغ = لا يقدر أحد يفسخ حبي
صمغ اللاذم = سأموت غداً

ياصاح لاتكُ بالعلياء مفتخراً ان كنت لم تولِ نفعاً قط او ضرراً
اني ارى شجرَ الصفصافِ مرتفعاً الى العلوِ ولكن لا ارى ثمرا



طرفاه في مسلك الغصون كلؤلؤ رطب يصافحه النسيم فيسقط
والطير يقرأ والغدير صحيفة والريح تكتب والغمام ينقط

ط

طابة ثلج ، زهر الربيع = دائرة ، كرة
طحلب = محبة الوالدة
طحلب ، يابس = ضجر ، وحشة ، ملل
طحاب ايساندة = الصحة ، العافية
طرفاه = اثم ، ذنب ، جناية

هذا الربيع وهذه ازهاره متجاوب في ايكه اطياره
وبدا البنفسج والشقيق وطرفة والورد يضحك بينها وبهاره



هديةٌ شرفتنا من اخٍ ثقةٍ نعمَ الهدية اذ وافتكَ من يدهِ
نوعان من عنبٍ جاءا على طبقٍ كأنَّ طيبهما من طيب محتدهِ
فابيض العين يحكي لون ابيضهِ واسود العين يحكي لون اسودهِ

ع

عاشق الشجر · لبلاب	=	خلوص · امانة · زيجة · صداقة
عاشق الشجر · غصن باوراقه	=	انا اجتهد لأُرضيك
عبال · ورد جبلي	=	حبك يتناقص
عبب · عنب الثعلب	=	رياء · موار بة
عبيثران · اكليل الجبل	=	تذكار
عجد · كشمش	=	اشمئزاز
عجد · كشمش يابس	=	تقطيب وجهك يقتلني
عجد · غصن	=	سحر
عجرم	=	لا شيء يزعزع ثباتي
عرار · بهار البر	=	صبر
عرعر	=	جسارة · بسالة
عرف الديك · ورق	=	خداع · ادعاء · تصنع · خلاعة
عرف الديك · زهر	=	بدون رجاء ولكن ليس بدون قلب
عرف الديك · غصن	=	غرابة
عرف الديك · زهور بين اوراق	=	لا تظن اني قاسٍ فان كنتُ بلا رجاء فلست بدون قلب بل اعشق للموت
عرفج · اشنة	=	ضجر · وحشة · ملل
عرق الذهب	=	كن على حذر

عرق الذهب • غصن = تشجيع
عرق السوس = لا تكلمني
عروس حادّة = فقدت كل شيء
عروس الزرع = كبرياء • جبانة • جمال باهر
عشب الماء = صعوبة
عشب • ذنب الهر = هزل • طرب • لعب
عشب • صفصاف = لي عليك دعوى
عصا الراعي = ترتيب موافق
عصا الراعي • ورق = كسرت وعدي
عصا الراعي • زهور زرقاء = اتركني
عصيفيرة • عرق = حلاوة • ادب
عصيفيرة • بيضاء = هناء • سعادة
عفص = طياشة • تسلية
عليق = توبيخ الضمير
عليق • اميركاني = بساطة • سذاجة
علبق • عوسج = انا جرحت وانا اشفي
عليق • جربان = وداعة
عليق • زهور = خشونة • غلاظة
عليق • غصن مزهر = سروري ممزوج بألم
عليق • غصن مثمر ومزهر = اتحاد الجمال بالبساطة والعظمة والطهارة
عليق • كبوش = ألا يوبخك ضميرك
عمشق = محبة الوالدة
عمشق ينمو على الاشجار = سأتغلب على الصعوبات
عمشق • غصن باوراقه = انا مجتهد لارضيك

عمشق ڤرجينيا	=	ياحياتي انا التصق بك
عنب	=	سكر . ثمل
عنب الثعلب . كشمش يابس	=	تقطيب وجهك يقتلني
عنب الثعلب . ورق	=	تنجيم . عرافة . سحر
عنب الثعلب . غصن	=	مكر . عدم اخلاص . مواربة
عنب الثعلب . زهور	=	حق . صدق
عنب الثعلب . ورق يابس	=	تلفيق . تصنيف
عنب الثعلب . غصن مثمر	=	انت ترضي الجميع
عنب بري	=	محبة . صداقة
عوسج	=	دناءة . حسد
عوسج الكلب . عبال	=	نقص الحب
عين البقر . عرار	=	صبر
عين الهر	=	تذكّر

ولقد رايتُ الورد يلطم خدهُ ويقولُ وهو على العراعر يحنقُ
لا تقربوهُ وان تضوّع نشرهُ من بينكم فهو العدوّ الازرقُ



سقياً لهُ روضاً قدودُ غصونه — تختالُ في الابرادِ من اوراقها
جنَت به ورق الحمامِ صبابةً — او ما ترى الأغلال في اعناقها

غ

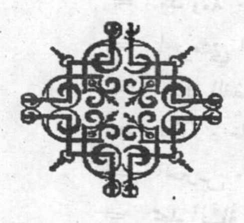
غار	= مجد
غار . جبلي	= طمع
غار . زدور	= أموت اذا أهملت
غار . سهلي	= مداومة . مواظبة
غار . ورق يابس	= احرمتني المجد والشهرة
غار . غصن	= جزاء الفضيلة
غار . قضيب	= لباقة . ظرف
غار وردي . دفلي	= احترس . يوجد خطر
غار وردي . شجرة	= مجد انساني
غار . ورقة	= انغير ولكن بعد الموت
غزار . زهرة	= الثقة والرجاء بالسماء
غزال دوردور	= الامانة الانثوية
غزال دوردور . ملوّن	= مشابهة
غزال دور دور . ورق	= سهولة
غصن زعرور	= قساوة . عنف
غصن شوك	= شراسة
غصن عمشق مع اوراقه	= انا اجتهد لأرضيك

غصن عنب الثعلب = انت ترغمي الجميع

غلفق . طحلب = ضجر . وحشة . ملل

قد سعينا نبغي زيارة دوحٍ قد حبانا باللطف والاكرامِ

ناولتنا ايدي الغصون ثماراً اخرجتها لنا من الاكمامِ



تفكرتُ في معنى الثمار فلم أجد لها ثمراً يبدو بحسنٍ مجرَّدِ
سوى الفستق الرطب الجني فانهُ زها بمعانٍ زيّنت بتجردِ
غلالة مرجانٍ على جسمِ فضةٍ واحشاء ياقوتٍ وقلب زبرجدِ

ف

فاغية . حناء	=	صفاتك تفوق محاسنك
فاغية . زهور	=	نهي . منع . اياك ان تفعل
فاغية . غصن	=	كُن عوناً لي
فاوابنا . نبات عود الصليب	=	خجل . حياء
فجل	=	كلما بعدت عني زاد ولعي بك
فراز . كبوش	=	المستقبل
فرينا . لويزه	=	صلي لاجلي
فستق	=	انا احفظ السرّ
فستق عبيد	=	تعويذة
فحمة	=	طيش
فطر	=	ظن . اشتباه . ريبة
فطر ينمو على الثلج	=	نظراتك تميتني برداً
فقعة . كمأ	=	تعجب . انذهال
فل	=	ظرافة . انس . لطف
فل مكبّس	=	عظمة . قوّة
فلفل	=	احرقت قلبي
فليفلة	=	سانتقم منك
فم السمكة	=	افتراض . ظن . تخمين

فم السمكة ٠ زهرة صغيرة	=	انا خائف
فم السمكة ٠ زهرة كبيرة	=	فخ ٠ شرك
فوخسيا ٠ حلق الست	=	ذوق
فوذنج ٠ حبق	=	احمرار الخجل
فوة	=	وشاية ٠ نميمة
فيجن ٠ سذاب	=	استخفاف ٠ احتقار

لم لا اهيمُ الى الرياضِ وحسنها　　واظلُّ منها تحت ظلٍ ضافي

والفلُّ حياني بثغرٍ باسمٍ　　والماء وافاني بقلبٍ صافي



انظر اليها انابيباً منضّدةً من الزمرّدِ خضراً ما لها ورقُ
اذا قلبت اسمها بانت ملاحتها وصار في عكسه اني بكم أثقُ

ق

قاقلة	=	اطراء . تمليق
قاقلة . حب الهال	=	غلط وراثي
قرانيا . شوم	=	بقاء . دوام
قرع	=	حجم . اتساع
قرفة	=	يمكنك اكتساب الخاطر بعد
قرمية	=	ظرف دائم . حب مستمر
قرمية نبات	=	جمال دائم
قرن الثور	=	زينة . زخرفة
قرنفل	=	جسارة
قرنفل . عرق	=	محبة المرأة
قرنفل . احمر	=	عشق تام
قرنفل . ابيض	=	مهارة . حذاقة
قرنفل . احمر غامق	=	واأسفاه على قلبي التعيس
قرنفل . احمر مكبّس	=	المحبة النقية الحارة
قرنفل . اصفر	=	احتقار . ازدراء
قرنفل . جبلي	=	انا مشتاق اليك
قرنفل . صيني	=	كراهة . اشمئزاز
قرنفل . طاقي	=	محبتي طاهرة
قرنفل . طاقي هندي	=	جفاء . نفرة . كراهة

قرنفل: مخطط = رفض، علامة الصدود

قرنفل، مشكل = عدم قبول

قرنفل، مكبس هندي = دائماً محبوب

قوّة، رشاد = ثبات، قوّة

قرّيص، زهور = وشاية، نميمة

قرّيص، ورق = قساوة

قزيزة = دعوى، حجة

قش الذرد = بدون ترتيب

قصب = مسايرة، ملاطفة

قصب السكو = عدم اكترات

قصب، حزمة = موسيقى

قصب، زهرة = الثقة والرجاء بالسماء

قصعين = تعجب انذهال

قضيب غار = لياقة، ظرف

قلحونة قصب السكر = عدم المبالاة

قلنسوة الراهب = شرود، ضلال

قمح = غنى

قمح، ساق = مال، ثروة

قمح قش = اتفاق

قمح مجروش، برغل = مخاصمة، منازعة

قمر وردمفتح جيداً موضوع على زرين = احفظ السرّ

قنّب = الجدّ في الخدمة البيتية

قنب، زهر = انا اشعر بلطفك

قنب، ورق = حظ، نصيب

قنب يابس = صداقة

قنب . اوراق ذابلة = عاقة . تمهّل

قنب . مجفف = فائدة . نفع

قنب . نسالة . كتبت = انا اشعر بعظم ممنونيتي

قندول = احسان . محبة عمل الخير

قنطاريون = نحافة . رقة

ورماحٍ لغير طعنٍ وضربٍ بل لاكلٍ ومصّ لبٍّ ورشفٍ

كملت في استوائها واستقامت باعتدالٍ وحسنِ قدٍّ ولطفٍ



ياحبذا كبادةٌ تحدثُ للنفس الطرب
كأنها كافورةٌ لها غشاء من ذهب

ك

كاكتس · بطيخ = حرارة · دفء
كاكيليا · قاقلة = اطراء · تمليق
كاميليا · بيضاء = حسن كامل
كاميليا · حمراء = فخر وحسن جميل
كياد · ليمون = جمال سيءُ الاصل
كبش قرنفل = رُفعة · شهامة
كبش قرنفل · ابيض = افتكر بي
كبش قرنفل · احمر = اجتهاد · مهارة
كبش قرنفل · ذو اربع ورقات = كن لي
كبش قرنفل · زهور = حذر · بصيرة
كبوش افرنجي · احمر = شراسة الطبع
كبوش افرنجي احمر · غصن = حذق · حدة
كبوش عليق = توبيخ الضمير
كبوش حامض = علاج القلب الكسير
كتان = نفع · فائدة
كتلة = لا احول عن عزمي ولا يغيرني العذل
كثيلت = انا اشعر بعظم ممنونيتي
كراث = نشاط · اجتهاد بالخدمة البيتية
كرز سنوبر = فلسفة

كرز . شجرة	=	تهذيب جيد
كردمين . حب الهال	=	غلط أرثي
كركم	=	لا تذم . لا تنكر المعروف
كركم . زعفران	=	هناء . فرح . طرب
كركم . ورق	=	لذة الأمل
كركم . ريحي	=	سرور الشبيبة
كزبرة	=	قيمتك ثمينة ولكن محجوبة
كزبرة البير	=	تمييز . حزم . اعيش معك
كستنا الخيل	=	بطر . تنعم . ترفه
كستنا الفرس . باميا	=	الجمال النحيف
كستنا . شجرة	=	أنصفني
كشة العجوز	=	محبة الوالدة
كشمش	=	تقطيب وجهك يقتلني
كشمش يابس	=	سحر
كلا	=	جمالك رائع
كما	=	تعجب . انذهال
كورونلا	=	يكلل النجاح كل رغائبك
كوكلان	=	اسعاف . اغاثة
كولشيك . زعفران سهلي	=	قد مضت احسن ايامي

وكثيرٌ لذيذ الطعمِ حلوٌ شهيٌّ جاء من دوحِ الجنانِ
مناقيرُ الطيورِ اذا افتتانٌ مغبّرة بلونِ الزعفرانِ



وبهدي الينا لوزةً قد تضمنت لمبصرها قلبين فيهـا تلاصقا
كأنهما حبَّانِ فازا بخلوةٍ على رقبةٍ في مجلسٍ فتعانقا

ل

لبدة بيضاء = حسن الطبع
لبلاب . حبل المساكين = خلوص . امانة . زيجة
لحلح . بنفسجي = هل تسمح لي ان اكلمك
لحلح . زهر = فرط الوجد يلزمني ان اعترف لك به
لحية التيس = عقل . صواب
لزّيق = كلما قطع لي أمل نبت عوضه امال
لسان الثور = كذب
لسان العصافير = فطنة
لسان العصافير . شجرة = عظمة
لفت = محبة . وداد
لوتس . نبق = فصاحة
لوتس . زهور = نفي الحب
لوتس . ورق = جحود . انكار
لوز . زهور = رجاء
لوف . مكحلة العبد = حمية . اجتهاد . حدة
لويزه . فربينا = صلي لاجلي
ليلك = احلام العشق
ليف = ماهر بالدهآء
ليلك . ابيض = طهارة الشبيبة

ليلك . بري	=	تذلل . تواضع . انكسار
ليلك . بنفسجي	=	اول هياج الحب
ليمون	=	اخلاص . امانة
ليمون ابو صفير	=	خداع . غش
ليمون برتقال . باقة زهور	=	عفة . ولائم العرس
ليمون برتقال . زهرة	=	طهارتك تساوي جمالك
ليمون برتقال . شجرة	=	سماحة . سخاء . كرم
ليمون حلو	=	قابلية وشهية
ليمون حلو . زهور	=	الامانة في الحب
ليمون كباد	=	جمال سيء الاصل

اما ترى الليمون في غصن من الزبرجد
كاكرة من فضة مملوءة من عسجد



تمايل منثورها في الدوح منتثرا كأنما صيغ من درّ وعقيان
والطير ينشد في اغصانها سحرا هذا هو العيش الا انه فان

م

مارغريت · طاقي	=	سافتكر بذلك
مارغريت · مكبس	=	أقاسمك حظك واشاركك بحاساتك
مار يوحنا · زهرة	=	حقد · بغض · خزعبلات
مازر يون	=	ارغب رضاك
ماغنوليا	=	محبة الطبيعة
ماغنوليا · اجمي	=	مداومة · مواظبة
ماغنوليا · اوراق	=	شهامة · حماسة
مجد الصبح	=	جمال مجيد
مجد الصبح · ورق	=	ادعاء · تظاهر · تصنع
مدّاد	=	حذق محتشم
مدّاد يزهر ليلاً	=	جمال زائل
مرّ	=	فرح · سرور
مرأة حسناء · بلادونّا	=	سكوت
مرزنجوش · حبق زهور	=	احمرار الخجل
مريرة	=	قوي الملاحظة · سريع النظر
مستحيية	=	شعور · تأثر
مسك	=	ضعف
مسمبر يا نشموم	=	بطالة · كسل
مسيكة	=	لطف · رقة

مشمش = عدم ثقة . شك

مشمش . زهور = لا اقدر اصدق

مصير بني = مهولة

مضعف = اذا رأيت الرقيب لا تتبعني

مقساس = بليد . ثقيل

مكحلة العبد = حمية . اجتهاد . حدة

ملحى بيضاء = عفة . اعتدال

ملحى دائمة الاخضرار = عوز . فقر

ملحى سوداء = جمال عقلي

ملفوف = ربح . نفع

ملوخية = لم يعد لي صبر على الغياب

منثور = ربط الحب

منثور . زهور = الخلوص في النكبات او البلايا

منثور مطرطش = عذراوية . عزوبية

منقاد الطير = حسد

منقاد الطير . ورق = سرعة

منقاد الغراب = غيرة

ميموسا . نبات حساس = شعور . احساس

لما تمادى الوردُ في زهوه ... وراح من اعجابه يرأسُ

تلوّن المنثور غماً به ... واصفرّ من غيظٍ به النرجس



رأيت في البركة نيلوفرا فقلت ماشانك وسط البرك
فقال لي غرقت في ادمعي وصادني ظبي الفلا بالشرك
فقلت ما بال اصفرار بدا فيك وما هذا الذي غيرك
فقال لي الوان اهل الهوى صفر ولو ذقت الهوى صفرك

ن

نارنج · اترج = جميل ولكن الاصل سيء
نباتات · حبال متعرشة = رُبط · قيود
نبات الجرجير = منازعة · مسابقة
نبات الخطمية = سحر · عرافة
نبات الخطمية · زهور = خصب · اقبال
نبات السحلب = مخدّرة · كاعب · حسناء
نبات الصفصاف بعروق = حجة · دعوى
نبات الكتان = الجدّ في الخدمة البيتية
نبات · اوراقه مثلثة الخطوط = تشوّه
نبات حساس · مستحيية = شعور · نحافة الاحساس
نبات النحل = دعني اذهب
نبات · ساق = صبر
نبات امبروسيا = اوجاع المحبة
نبات عباد الشمس · اكرار = تعبد · خشوع · امانة
نبات عود الصليب · فاوانيا = خجل · حياء
نبات · قرمية = جمال دائم
نبات مخدّر · بنج = عدم الكمال · نقيصة

نبات معقد . يمض الجن	=	مسرات خطرة
نبق . ورق	=	فصاحة
نبق . زهور	=	ابعاد او نفي المحبة
نبق . غصن	=	جحود . انكار
نجم قصب السكر	=	عدم اكتراث
نخل	=	انتصار
ندى الشمس	=	انتظرك عند الصباح
نرجس	=	اعتبار
نسالة قنب . كتيت	=	انا اشعر بعظم ممنونيتي
نسرين	=	تصوير . رسم
نسرين . زهور	=	جرحت لاشفي
نسرين . غصن بزهوره	=	اتمنى مقابلة ودادي بالمثل
نسرين امير كاني	=	بساطة . سذاجة
نسرين . بنفسجي	=	بخل . طمع
نعناع . زهور	=	فضيلة . صلاح
نعناع	=	حرارة الاحساس
نعناع . بري	=	اهرب حالاً
نواة . بزرة	=	اطمئنان . سكون
نور حناء . تمر حناء	=	صفاتك تفوق محاسنك

وروضة وجنات الورد قد خجلت   فيها ضحى وعيون النرجس انفتحت
تشاجر الطير في افنانها سحراً   ومالت القضب للتعنيق واصطلحت
والقطر قد رش ثوب الدوح حين رأى   مجامر الزهر في اذياله نفحت

٥

هذ لاحظ الهليون طرف النرجس المزورِ قالَ وقولهُ لا يدفعُ
فتح عيونك في سوادي انني عنذي قبالة كل عينٍ اصبعُ

هـ

هليون	=	تعزية في الضيق
هندباء	=	اقتصاد . تقشف
هندباء . البقلة المباركة	=	نسك . زهد
هندباء بري . من الاسد	=	راي فظّ
هليوتروب	=	احفظ الوداد

حياكَ من تهوى بهليونةٍ ناعمةٍ مقدودةٍ غضّة
فجلدها من ذهبٍ اصفرٍ وجسمها الناعمُ من فضّة



الوردُ احسنُ ما رأت عيني واذ | كي ما سقى ماآه السحاب الجامدُ
خضعت نواويرُ الرياضِ لحسنهِ | فتذللت تنقادُ وهيَ شواردُ
واذا تبدّى الغضُّ في اغصانهِ | يزهو فذا ميتٌ وهذا حاسدُ
واذا تعرّى الوردُ من اوراقهِ | بقيت عوارفهُ فهنّ خوالدُ

و

وحواح	=	مساعيّ ذهبت ادراج الرياح
وحواح . احمر	=	المحبة تساعد في تقدير الانسان قدره
وحواح احمر . غصن مزهر	=	لهيب . انا احترق
وحواح . ازرق	=	سكون . تعال في الليل
وحواح . بنفسجي	=	نار
ورد	=	محبة
ورد بلا رائحة	=	جمال
ورد ابو فروه	=	سرور
ورد ابيض	=	انا استحقك
ورد ابيض واحمر . خد البنت	=	اذا كنت تحبني اكتشف على ذلك
ورد ابيض . ذابل	=	افضل الموت على فقد طهارتي وعفتي
ورد احمر . غصن	=	بهاء . جمال
ورد احمر غامق	=	خجول جداً
ورد احمر	=	محبة شديدة للموت
ورد اصفر	=	نقص المحبة . حسد
ورد اوراقه كثيرة متلاصقة ببعضها	=	رسول الحب
ورد . اكليل	=	جزاء الفضيلة

ورد الميلاد	=	أرح همي . خفف قلقي . هدّي روعي
ورد . برعم ابيض	=	قلب يجهل معنى المحبة
ورد . برعم ابيض وسط بعض اوراق	=	صبوة . فتوة
ورد . برعم احمر	=	طاهر ومحبوب . نقي وحسن
ورد برعم طحلبي	=	اعتراف بالحب
ورد برغندي	=	جمال لا يشعر به
ورد بلا شوك	=	ارتباط او حب باكر
ورد جبلي . نسرين	=	جرحت لأشفي
ورد جبلي . عبال	=	نقص الحب
ورد جوري	=	لا يمكنك اخفاء هذا الحب الشديد عن النظر
ورد دفلى	=	كن على حذر
ورد لونه زهر	=	طلعة بهية . لون جميل
ورد وزهر العليق	=	سرور وألم
ورد صيني	=	جمالك دائماً جديد
ورد طاقي	=	إخلاص . بساطة
ورد طاقي . دايره ابيض	=	لا تقل اني جميل
ورد طاقي . مفرد	=	استحق محبتي فقط
ورد عرائسي	=	محبة سعيدة
ورد فرنسا	=	علامة الحب
ورد . قمر مفتح جيداً موضوع على زرين صغار	=	سر . اخفاء . كتمان
ورد كارولينا	=	المحبة خطرة
ورد كثير الاوراق	=	نعمة . عظمة

ورد مئة ورقة	= سمو العقل ٠ عظم الادراك
ورد مئةورقة ٠فرواحد مع اوراقه	= فخر ٠ كبرياء
ورد مسكاوي	= جمال غريب الخلق
ورد مسكاوي أوراقه مقرنة	= بديع ٠ فاتن
ورد مطرطش	= شتاء ٠ عمر ٠ قدمية
ورد غساوي	= كلك جميل ومحبوب
ورد ياباني	= انت مغرور بالجمال فقط
ورد بومي	= اشتاق الى تبسمك
ورق ارز	= انا احيا لك
ورق اللونس ٠ نبق	= جحود ٠ انكار
ورقة غار	= اتغير ولكن بعد الموت
ورق ذابل	= حزن ٠ كآبة ٠ سويداء
ورق سنديان	= بسالة ٠ شجاعة
ورق سنوبر يابس	= قيمة
ورقة سوداء	= سانقطع عن العالم
ورق غزال دور دور	= سهولة
ورق نبات دائم الاخضرار	= ذكرك لا يبطل ابداً
وزال	= تواضع ٠ نظافة
وزال يابس	= غضب ٠ غيظ
وزال ٠ زهور	= محبة لا تتغير

مذقيل للاغصان ان الورد قد   وافى الى الازهار وهو اميرُ
بسمت ثغور الاقحوان مسرةً   لقدومه وتلونَ المنثورُ

اشرب على ورد الخدود فانها   ايام وردٍ والصبوحُ يطيبُ
ما الورد احسن منظراً من وجنةٍ   حمراء جادَ بها عليكَ حبيبُ

ان تكن في خطر من عدو لا تنم
او بأمن فاستروح بظلال اللاذن

لا

لا تنبني · اذان الفار = المحبة الصادقة · لاتنسني · احفظ الوداد
لا ذنم = برودة · عدم مبالاة
لاذنم · صمغ = معروف · فضل
لاذنم · ورق = بامان من الخوف
لاذنم · زهور = ساموت غداً
لاركس · عرعر = جسارة · بسالة · وقاحة
لاوندا = شك · عدم ثقة
لاوندا · بيضاء = حق · صدق
لاوندا · حمراء = انا عاشق
لاوندا · صفراء = محبة محتقرة
لاوندا · صيني = سرور ولو في الضيقة

اوصلا بالأمن في زهرة الحبيب طالما نيمني
واعلاه اني اهديته زهرة يدعونها لا تنسني



والارض تبسمُ عن ثغورِ رياضها　　والافقُ يسفرُ تارةً ويقطبُ
وكانَّ مخضر الرياضِ ملاءةً　　والياسمين لها طرازٌ مذهبُ

ي

ياسمين	= لطف ٠ وداد ٠ انس
ياسمين ٠ ورق	= محبوب وجميل
ياسمين ٠ ابيض محمرّ	= شدةّ الفرح
ياسمين ٠ ابيض مصفرّ	= افتراق ٠ انفصال
ياسمين ٠ ابيض مكبس	= انا سعيد ومسرور جداً
ياسمين اسبانيولي	= حب الشهوات
ياسمين ٠ اصفر	= نعمة وظرافة
ياسمين ٠ هندي	= ارتباط ٠ تعلق ٠ حب
ياسمين هندي ٠ غصن مزهر	= انا مرتبط بك
يبروح ٠ لفاح	= هول ٠ خوف ٠ رعدة
يقطين ٠ قرع	= حجم ٠ اتساع

يبروحكم حاز لذات الورى فغدا　　على الفواكهِ بالتفضيل مشهوراً
كالراحِ طعماً وشم المسكِ رائحةً　　والتبرِ لوناً وشكل البدر تدويراً

كتبتهُ يدي والعقلُ يشهدُ لي
اني ساتركهُ يوماً وارتحلُ
ياساكن الدار لا تنسى الرحيلَ غدا
فكل ساكن دارٍ سوفَ يرتحلُ



فقنَ الظباءَ سوالفاً ونحورا ... والخيزُران معاطفاً وخُصورا
ثم اتخذنَ منَ المدامِ مراشفاً ... ونظمنَ من حبَبِ المدامِ ثغورا
ونظرنَ غِزلاناً ونحنُ خمائلاً ... وخطرن اغصاناً ولُحن بدورا
وسكنَّ حباتِ القلوبِ كأنما ... غادرنَ حباتِ القلوبِ خدورا
لو لم يزدنَ بنا فتوراً في الهوى ... ما مسنَ عجباً واكتحلنَ فتورا
ولما كشفن عن الوجوهِ براقعاً ... ولما عطفن على الخصورِ شعورا
غازلننا يومَ الحِمى فهتكنَ من ... حجُبِ القلوبِ سريرةً وضميرا
وبرزنَ في وشيِ البرودِ كأنما ... أسبلنَ من فوقِ الحريرِ حريرا
إني اغارُ من العيونِ ولا هوى ... إلاّ اذا كان المحبُّ غيورا
ولو استطعتُ حجبتهنَّ بناظري ... وجعلتُ اهدابَ الجفونِ ستورا



كتب للمؤلف

- الديوان المجهول لخليل مطران – دار الفرجاني ١٩٨٥.
- «ما هنالك» من أسرار بلاط السلطان عبد الحميد – تحقيق ودراسة المركز العربي للإعلام والنشر ١٩٨٥.
- «ما هنالك» من أسرار بلاط السلطان عبد الحميد ط٢ ، مكتبة جزيرة الورد ٢٠١٢.
- صبري السربوني – سيرة تاريخية وصورة حياة – الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٦.
- فصول من الصحافة الأدبية – دار الفرجاني ١٩٨٩.
- علي أدهم بين الأدب والتاريخ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠.
- قبس من وحي التراث – دار الفرجاني ١٩٩١.
- الهلال مائة عام من التحديث والتنوير – دار الهلال ١٩٩٢.
- جرجي زيدان – «سلسلة نقاد الأدب» الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٢.

- محمد لطفي جمعة في موكب الحياة والأدب – عالم الكتب ١٩٩٣.
- محمد صبري السربوني «سلسلة نقاد الأدب» الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٤.
- ليلة باسمة في حياة مي – دار الفرجاني ١٩٩٦.
- سيم العشق والعشاق – الهيئة العامة لقصور الثقافة ٢٠٠٠.
- سيم العشق والعشاق ط٢ مكتبة جزيرة الورد ٢٠١٢.
- بيلوجرافيا أعمال محمد صبري السربوني – المجلس الأعلى للثقافة ٢٠٠٣.
- محمد لطفي جمعة – دراسة بيلوجرافية ٢٠٠٥.
- أفراح ملوك ورؤساء مصر من محمد علي إلى محمد حسني مبارك – مكتبة جزيرة الورد ٢٠٠٧.
- سارة العقاد أو أليس داغر – مكتبة جزيرة الورد ٢٠١٢.
- رواد ومعاصرون – مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس للنشر الأدبي ٢٠١٢.

دراسات مطولة تصدرت بعض الكتب:

- تذكار الصبا - لمحمد لطفي جمعة - عالم الكتب ١٩٩٩.
- حوار المفكرين - رسائل أعلام العصر إلى محمد لطفي جمعة - عالم الكتب ٢٠٠٠.
- المروءة والوفاء «مسرحية شعرية» للشيخ خليل اليازجي - الهيئة العامة لقصور الثقافة ٢٠٠٦.
- علي بك أو فيما هي دولة المماليك «مسرحية شعرية» الطبعة الأولى المفقودة - الهيئة العامة لقصور الثقافة ٢٠٠٧.
- ديوان وطنيتي وأشعار أخرى لعلي الغاياتي - مكتبة جزيرة الورد ٢٠١٠.
- ثورة الجزائر في إبداع شعراء مصر.

جمعت مادته الشعرية وكتبت موجز تراجم الشعراء، ولحسن فتح الباب دراسة. صدر عام ٢٠٠٥ من الدار المصرية اللبنانية.

الفهرس

الموضوع	الصفحة